عدد ممتاز

# كتابي



١٠ قروش

حسناء فى الغابة

من بطلات قصص "ديكنز" للرسام "و. فريث"

## حلمي مراد



**مدام هاملان**

لوحة مشهورة للرسام « جاك لويس دافيد » ( ١٧٤٨ – ١٨٢٥ )

# كتابى

كتاب شهرى لتلخيص الكتب العالمية

يصدر أول كل شهر

صاحبه ورئيس تحريره : حلمى مراد

شعار الكتاب

مصباح الفكر عند الإغريق

أطلب مع هذا العدد ملحقاً مستقلا يحوى
فهرس جميع موضوعات الـ ٥٩ عدداً السابقة

الكتاب الستون ( السنة السادسة ) : مارس ١٩٥٧
الاشتراكات ومجموعة الاعداد السابقة : اقرأ التفصيلات بالداخل

الادارة : عمارة الجندول - ١٤ شارع ٢٦ يوليو - بالقاهرة
تليفون : ٥٩٥٥٦

# محتويات الكتاب

# « كتابى » فى ثوبه الجديد

## عزيزى القارىء ..

• عندما اقترب « كتابى » من عيد ميلاده الخامس ، وأوشك أن يسلخ من عمره عاما ، ليبدأ عاما جديدا ، انتابنى ذلك الشعور من الاشفاق المبهم الذى يراودنى فى مستهل كل عام جديد من حياة هذا الكتاب .. الاشفاق الذى هو مزيج من القلق ، والطموح ، والشعور بالمسئولية !

فكما يدنو المرء من يوم امتحان عسير ، واجف القلب ، موزع النفس بين عوامل الأمل والاجفال ، أحس أنا – كلما اقتربت بداية عام جديد



من عمر « كتابى » – أننى مقبل على يوم عصيب ، أواجه فيه مسئولية ضخمة ، هى مسئولية تقديم الحساب اليك عن مادة « كتابى » فى العام الذى انقضى ، وتقديم البرنامج الجديد لمادته فى العام الذى يوشك أن يبدأ !

وأحسبك تقدر مدى الرهبة التى أستشعرها كلما أوجست خيفة من أن أطالعك على عتبة عام جديد وأنا متخلف – لا قدر الله – عما كنت فى عام مضى ، أو حتى واقفا حيث كنت .. فأنت تعلم أن مهمة اصدار كتاب أو مجلة دورية – ومجلة ثقافية بوجه أخص – مهمة قاسية لاترحم ، وان المجلة التى لا تسير فى كل عدد خطوة الى الأمام ، لا تستطيع حتى أن تقف حيث هى ، وانما يصير حتما أن تدفعها عجلة المنافسة الرهيبة الى الوراء !

وقد وضعت نصب عينى ، حين اقتربت بداية العام السادس لكتابى ، أن أستعرض مختلف الرغبات التى تلقيتها منك خلال الأعوام الماضية ، والتى لم تتح لى الظروف أن أحققها لك قبل الآن ، كى أنتقى لك منها ما أستطيع تحقيقه . ورغم أن الظروف التى تواجه الصحافة فى هذه الأيام قد عقدت مشكلة الحصول على الورق – ومواد الطباعة على اختلاف أنواعها – الا بالسعر الفادح .. رغم ذلك فقد عز على أن أضن عليك بالمزيد من التحسين والتجديد ، مهما اقتضانى الأمر من تضحية ، سواء بالجهد أو المال .. كما أنه كان عسيرا على أن يستقبل هذا الوليد المدلل عامه الجديد ، محروما من أن تنعكس على صفحة

وجهه ، وفى بريق عينيه ، اشراقة الفرحة والزهو بالثوب الجديد ، شأن الأطفال فى العيد !



اذن ماذا أفعل ؟ وأى جديد أدخل على « كتابك » ؟ .. أدركتنى حيرة مرة ، وأحسست بفداحة العبء الذى أطالب به نفسى - قبل أن تطالبنى به أنت - فلم أر مخرجا من حيرتى أفضل ، ولا أمتع ، من ان أخلو الى رسائلك ، التى تحتل من مكتبى - ومن قلبى - مكانا عزيزا .. فنشرتها أمامى ، ورحت أستعيدها ، وأمعن النظر فى الاقتراحات التى تضمنتها ..

.. وقفز من بينها اقتراح وجيه طالما راودنى خاطر تحقيقه ، وان حالت دون ذلك عقبات كثيرة

وصممت فى هذه المرة على أن أتحدى هذه العقبات !

## اللوحات الفنية .. بالألوان الطبيعية !

• وكان الاقتراح من شقين : الشق الأول هو طبع الصور واللوحات الفنية الداخلية بالألوان الطبيعية ، لا بلون واحد - أزرق أو بنى - كما ألفت أن أقدمها لك .. والشق الثانى هو طبع هذه الصور على ناحية واحدة من الورق، وليس على الناحيتين ، كى تبدو روعتها كاملة ، فلا يفسد الواحدة ظل الأخرى ، من جهة .. ومن الجهة الأخرى كي تستطيع - اذا شئت - أن تنزع الصورة التي تعجبك من الكتاب لتضعها فى اطار تعلقه على جدار ، بغير أن تضحى من جراء ذلك بالصورة الأخرى المطبوعة على الوجه الآخر للورقة ..

ذلك هو الاقتراح الذي تلقيته في أكثر من مناسبة ، فى عدد كبير من الرسائل ، والذى آليت على نفسى تحقيقه فى هذه المرة ، رغم جميع العوائق التى تعترضه : عوائق الجهد، والاشراف الفني، والوقت، والمال !

على أني وأنا أقدم لك هذا الاقتراح منفذا لأول مرة، في العدد الذى بين يديك ، أعترف لك بأن هذه التجربة الأولى له لم تؤت النتيجة التى أرجوها وأطمح اليها ، وأن الوصول الى الكمال - والجمال - الفني الذى أنشده لها يحتاج الى تجارب وتجارب ، وصبر ، وانتظار أرجو ألا يطول .. وحسبى فى هذا المقام أن أعدك بأن يكون هدفى الملح الذى أضعه دائما نصب عينى هو أن تكون صور كل عدد أجمل وأروع -

طباعة ، وانتقاء ، واتقانا - من صور العدد الذى سبقه ، وهكذا ..

## مطالعاتى ومشاهداتى .. ملك لك

• هذا عن الجانب الفنى ، وجانب « المظهر » ، من التجديد الذى أدخلته على « كتابى » فى عامه الجديد . اما من حيث المادة ، فالتطور فيها يشمل بابين جديدين : أحدهما باب طالما اشتقت الى تقديمه لك ، وعنوانه : « قرأت وشاهدت لك ، فى الكتب .. والمسارح .. والحياة ! » ، وقد اعتزمت أن أصطحبك معى - على صفحاته - فى سياحة فكرية واسعة النطاق ، نجوب فيها شتى الآفاق ، ونطوى مختلف العصور ، فنقرأ معا صفحات من أمتع الكتب ، ونتصفح أشهر المجلات والصحف العالمية .. ثم نطوى الورق جانبا كى نقضى سهرة فى مسرح ، أو أوبرا ، أو دار للسينما ، نستمتع خلالها برواية ممتازة .. أو نزور متحفا ، أو معرضا للفن ، أو صالة للموسيقى .. الخ . وقد نفرغ أحيانا من هذا أو ذاك ، كى ننصت الى قصة واقعية من قصص الحياة ، يرويها القدر بأفصح لسان ! . . أو نرسم صورة حية لحدث من الأحداث ، أو شعور من المشاعر ، أو شخصية من الشخصيات الجديرة بأن تستمد منها العظة والعبرة ، أو تتخذ مثالا بشريا يحتذى !

## تبسيط العلوم ، فى فجر العصر الذرى !

• أما الباب الثانى الجديد الذى تطالعه بين دفتى هذا العدد ، فهو باب سوف يختص بتبسيط العلوم تبسيطا « شعبيا » يجعلها فى متناول فهم أى انسان لا صلة له بالعلم وآفاقه . وقد اخترت لك، كاستهلال لهذا الباب ، كتابا شائقا عن « عالم الغد » كما تصوره مؤلف الكتاب . والمؤلف ليس روائيا يتخيل فيخال ، وانما هو عالم متمكن كانت له نبوءات سابقة حققتها الأيام ، نبوءة بعد أخرى ، وهو اليوم يبنى نبوءاته الجديدة على أساس من الإستقراء العلمى الدقيق والنظر



السديد

والى جانب هذين البابين المستحدثين ، تجد بين دفتى العدد الحالى مجموعة منتقاة من الشوامخ العالمية المنوعة ، التى أتركها تتحدث عن نفسها .. وأرجو أن تحدثنى أنت بدورك عنها

وكل أملي أن أكون ـ بهذا التجديد ـ قد وفيتك بعض صنيعك الذى تطوق به عنقى ، فى كل مناسبة !

## أزمة ضمير .. أو مأساة « نشل » الثقافة !

• وما دمت بصدد استعراض رغباتك وأمانيك ، كما تنعكس فى رسائلك ، فلأشر الى رغبة شارك فى ابدائها عدد كبير من أصحاب هذه الرسائل ، ألا وهى الرغبة فى «قص» ملازم الكتاب من الناحية العليا أيضا ، علاوة على الناحيتين اليسرى والسفلى ، كي لا تتمزق أطراف الصفحات عند فتحه من أعلى بواسطة سكين أو مطواة ..

والحق أنى ، بازاء هذه الرغبة ، أحس بحرج شديد : فلعلك تعرف أن الحكمة من ترك الكتاب مغلقا من أحد جوانبه ـ وهى ظاهرة صارت عامة فى تسعة أعشار المجلات العربية ـ هى معالجة هذا الداء « العضال » المتفشى فى بلادنا العربية وحدها مع الأسف الشديد ، والذى لا أعرف له مثيلا فى بلاد أخرى ، وأعنى به داء اعادة المجلة بعد قراءتها الى أحد الباعة و «مقايضتها» بمجلة أخرى ، نظير أجر معلوم يتقاسم ربحه البائع والمشترى .. أما الناشر ، الذى أنفق على تحرير المجلة وطبعها باهظ النفقات ، فليخرج من هذه المقايضة « صفر اليدين » ، ولترد اليه النسخة المقروءة وكأنها « يا بدر » لا بيعت ولا قرئت !

والمسألة كما ترى «مأساة ضمير» قبل أى شىء آخر . وهى مأساة لا علاج لها غير ترك أحد جوانب الكتاب دون قص ، لقطع السبيل على هذه الفئة من «نشالى» الثقافة ، الذين لا يتورع الواحد منهم عن محاولة قراءة الكتاب « مجانا » ، دون أن يتململ ضميره خجلا من هذا الاستنزاف الحرام لمال ، وجهد ، كل من الأديب والطابع والناشر فى وقت معا !

على أننى ، رغبة منى فى ايجاد حل للمشكلة يرضى القارىء الحريص على أناقة الكتاب ، سأحرص من جانبى منذ هذا العدد على أن أكفل له الحصول على نسخته « مقصوصة الأطراف » من جميع نواحيها ، اذا هو اشترك فى الكتاب ، أو فى « مطبوعات كتابى » ، بحيث ترسل اليه نسخته بالبريد . ورغبة فى التيسير عليه فى دفع قيمة الاشتراك ، سأقبل منه الاشتراك لأية مدة ، طالت أم قصرت ، ولو لثلاثة شهور ـ رغم ما يسببه ذلك من متاعب للمشرفين على قسم الاشتراكات فى الادارة ، من حيث القيد فى الدفاتر ، والاخطار بانتهاء الاشتراك ، ثم الشطب اذا لم يجدد الاشتراك .. الخ

## الاشتراك تضحية من المجلة للتيسير على القارىء

• وبهذه المناسبة ، سألنى البعض فى أكثر من رسالة عن علة جعل سعر الاشتراك فى « كتابى » أو مطبوعاته مساويا لثمن شراء الأعداد من الباعة ، فى حين جرت عادة المجلات على ترغيب قرائها فى الاشتراك بتخفيض القيمة بعض الشىء . وردى على هذه الملاحظة أننا المجلة الوحيدة التى ترسل نسخها كلها الى المشتركين بالبريد «المسجل» كى لا تفقد فى الطريق ( كما كان يحدث بالفعل قبل أن نتبع هذا الاجراء مضطرين ) ! .. وغير خاف أن أجر البريد المسجل وحده (وهو ٢٦ مليما للنسخة الواحدة ) يستنفد كل احتمال للتخفيض فى سعر الاشتراك عن سعرالشراء من البائع . وحسب المشترك امتيازا أن يضمن وصول الاعداد جميعها اليه فى عقر داره، أينما كان، نظيفة أنيقة « مقصوصة الأطراف » ، ومغلفة بظروف مغلق يقيها كل سوء ! .. وهكذا لايضطر المشترك لأن يشغل فكره بالتنبه الى يوم صدور العدد ، وبمطاردة الباعة كى يحصل على نسخته قبل أن تنسخ أو تنفداو تردالى الادارة.. والواقع أنه يكفى أن يعجز القارىء عن الحصول على عدد أو أكثر من أعداد المجلة خلال السنة، فتظل مجموعته ناقصة، كى يؤمن ويقتنع بان اشتراكه فى مجلة من المجلات التى يحرص على قراءتها ، دون أى زيادة فى القيمة عن ثمن شرائها من البائع ، انما هو كسب له ، وتضحية من المجلة .. لا أكثر ولا أقل .

## فهرس السنوات الخمس !

• بقيت كلمة أخيرة ، تتصل بأمنية لك طالما أعربت عنها فى رسائلك ، وهى نشر فهرس نصف سنوى للموضوعات التى تنشر فى كتابى ، وأسماء مؤلفيها ، وارقام الأعداد والصفحات التى نشرت فيها . وقد حال انشغالى المستمر ، وضيق الوقت ، دون تنفيذ هذه الرغبة فى الماضى . لكنى أعدك بتنفيذها ابتداء من هذا العام السادس لكتابى ، على أن ينشر هذا الفهرس كل ستة أشهر ( باعتبار أن كل ستة أعداد تجلد فى مجلد واحد ) ، بحيث تجد الفهرس فى ذيل عدد «أغسطس» وعدد «فبراير» من كل عام ان شاء الله . أما فهرس موضوعات الاعوام الخمسة الماضية، فقد رأيت أن أقدمه لك كملحق منفصل لهذا العدد ، كى تجلده اذا شئت فى نهاية المجلد الاخير من السنة الخامسة المنصرمة ، أو تحتفظ به منفصلا مع المجموعة فى مكتبتك اذا آثرت ذلك

## باب جديد لرسائلك

• والآن ، احسبنى قد أطلت عليك .. فلأدعك كى تطالع هذا العدد ، ثم تصارحنى برأيك فيه ، وانتقاداتك له ، بغية أن يكون كل عدد من أعداد هذه السنة الجديدة أقوى من سابقه ، وأضعف من الذى يليه . وبهذه المناسبة ، اعتزمت أن أفرد مكانا من كل عدد ( ابتداء من العدد القادم باذن الله ) للرد والتعليق على رسائلك واقتراحاتك ، واشراك بقية القراء فى موضوعها .. حتى نبلغ سويا بهذا الكتاب ، المرحلة التى نتطلع - أنت وأنا - اليها ..

والله ولى التوفيق

حلمى مراد


قرأت وشهدت لك
فى الكتب .. والمسارح .. والحياة !

# تعال معى .. الى صومعتى

• تعال معى ولا تشفق من وحدتنا فى هذا المكان المغلق ، بين أربعة جدران .. فأحيانا تكون الحجرة الضيقة أفسح من الفضاء العريض ، والأفق المنبسط ! .. هنا عالم بأسره يكشف لنا عن مفاتنه ، ويحدثنا - بكل لسان - عن أسمى القيم الانسانية .. عن حضارة الجنس البشرى ، منذ بدء الخليقة ! .. فمن فوق هذه الأرفف المحيطة بنا ، المحملة بالكتب ، يهمس لنا الانسان - همسا «صاخبا» ! - بقصة الانسان .. القصة الخالدة فى كل زمان ومكان . يكفى ان تجيل بصرك بين أسماء هذه الكتب ، التى انفق عباقرة الانسانية أعمارهم فى تدبيجها وتصنيفها ، وفى تضمينها زبدة تجاربهم فى الحياة ، كى تؤمن معى بعبقرية الانسان ، الخالق والمخلوق : عبقرية الانسان « الخالق » لهذه الحضارة ، فى قوته وجبروته .. وعبقرية الانسان « المخلوق » ، فى ضعفه ونزواته !

والايمان بالانسان ، هو أول مراحل الايمان بالله .. خالقه !

## فى رواق العباقرة

■ وما دمنا بصدد عبقرية الانسان ، فتعال نقرأ شيئا عن العبقرية والعباقرة .. فالعبقرية بمعناها المتداول اليوم تختلف اختلافا بينا عنها بالامس . انها اليوم - فى قواميس اللغة - تعنى « أسمى صورة ممكن تصورها للقدرة الاصيلة ، الخارقة للمألوف ، والمتجاوزة لأبعد ما يمكن أن تصل اليه الشجاعة أو الثقافة »

أما فى العصور القديمة ، فقد كانت للعبقرية معان أخرى : فالعبقرية عند الرومان كانت تعنى قدرة ربى العائلة - الرجل والمرأة - على كفالة استمرار العائلة ، بانتاج الذرية ! ثم تطورت المعانى بعد ذلك عند اليونان ، فى ظل نمو فكرة الفردية ، والاعتقاد بأن لكل انسان «روحا حارسة» ، ففقدت العبقرية معناها الاصلى وصارت تعنى الصورة

المجسمة لشهوات الفرد ورغباته ..
ثم تطورت مرة أخرى الى معنى « الملاك الحارس » أو الذات السامية للانسان .. وفى مناسبات أخرى صار يرمز بها الى أخلاق الفرد وطباعه . وفى عام ١٣٩٠ استعملت الكلمة للتعبير عن غرائز الانسان الادبية المتأصلة ، لكنها ظلت كلمة نادرة الاستعمال حتى القرن السادس عشر ، حين أخذ الكاتب المسرحى الانجليزى « بن جونسون » يستعملها بين الحين والآخر . وقد يدهشك ان شكسبير لم يستعملها فى جميع مسرحياته سوى ست أو سبع



مرات ، ( وذلك فى روايات : ماكبث ، يوليوس قيصر ، هنرى الرابع ) . وقد وصف بها فى أكثر المرات « أشياء » لا « أشخاصا » ، فأشار مرة الى « عبقرية المجاعة » ، وعبر فى مرة أخرى بقوله : « كانت الادوات العبقرية والادوات الميتة تتشاور معا ! »

## الفارق بين العبقرية .. والموهبة !

■ وفى منتصف القرن السابع عشر استعملت « العبقرية » كمرادف لمعنى « الموهبة » ، وذلك فى كتابات الروائى المسرحى « درايدن » . ثم تواتر استعمالها فى مؤلفات الكتاب الانجليز « دكتور جونسون » و « فيلدنج » و « جولدسميث » و « هوراس والبول » ، فقد أعطوها جميعا معناها الحالى ، وتحدث ثانيهما فى قصته المشهورة « توم جونز » - عام ١٧٤٩ - عن « القوة العجيبة للعبقرية ، التى لا تستمد أقل عون من تعليم أو ثقافة »

على أن التفرقة بين العبقرية والموهبة لم يبرزها الانجليز قدر ما أبرزها الالمان والفرنسيون . بل لقد كان الباحث الايطالى « سيزار لومبروزو » ، ( ١٨٣٥ - ١٩٠٩ ) ، أول من حدد - فى كتابه : « العبقرى » - الفارق الاساسى بين الموهبة ، ( أو المقدرة ) ، وبين العبقرية .. فأوضح أن خيال الشخص ذى الموهبة « يعيد تصوير » الحقيقة المقررة ، أما الهام العبقرى فيخلقها خلقا جديدا .. فالاول يكرر ، بينما الثانى يخترع أو يخلق ! .. الموهوب يهدف الى غاية تبدو عسيرة المنال ، أما العبقرى فيهدف الى غاية لا يراها سواه ! .. انه يكتشف المجاهل ، و « يحدس » الحقائق قبل أن يعرفها تماما ! .. أو على حد تعبير « فولتير » فى وصفه لعبقرية مواطنه الاديب « كورنى » : « انه قد أنشأ مسرحيته ( هوراس ) ،

كما ينشىء الطائر عشه ! »



وقد تبدو بوادر عبقرية العبقرى فى سن مبكرة : فقد عزف «موزار» وهو فى الثالثة من عمــره ، وألف ألحانا فى الرابعة !.. ونظم «دانتى»



شـعرا ، فى التاسعـة .. وكتب « جيته » قصة ، بسبع لغات ، وهو



لم يجاوز العاشرة .. ولـكن ، من الناحية الاخرى ، هنـاك مفارقات ومتناقضات غريبة فى العبقـرية ، فهناك عباقرة كانوا فى طفولتهم أمثلة صارخة للغباء ، ومنهم : فلوبير ، نيوتن ، جولدسميث ، تشاترتون .. بل منهم العالم «اينشتين» نفسه ، صاحب نظرية النسبية !

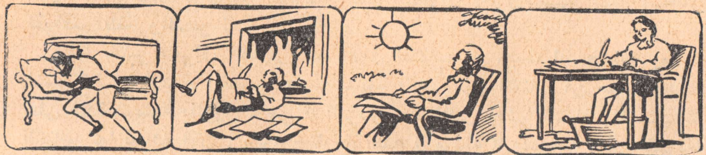
## الخيط الفاصل بين العبقرية .. والجنون !

■ والعبقرى يصدم الناس فى العادة بآرائه الجديدة ، فهو ينطلق كعاصفة عاتية مضادة لاتجاه الريح!.. ويصفه «هافيلوك الليس» بانه يستقبل كل شىء فى البداية استقبالا سلبيا ، رافضا أن يعترف به أو تكون له به أية صلة .. ثم تنتهى الصلة بينهما بالعذاب والموت !.. وهو كثيرا ما يصدم الناس بمسلكه الشاذ ، وعدم توافقه معهم فىشئون الحياة اليومية .. وقد يفأفىء ـ «يتهته» ـ فى كلامه ، ويبدو مضطربا فى مشيته ، « ملخوما » فى حركاته ، يختلج وجهـه أو أطرافه اختلاجات عصبية .. وتعتريه نوبات من الكآبة العميقـة والاسى الجاثم على صدره . وفيما يتصل بالبديهيات ، والامور العادية أو التافهة ، يظهر غباء وشذوذا واضحين ! من ذلك ان « موزار » كان يصيب أصـابعه بجروح فى أكثر الاحيان كلما أراد أن يقطع قطعة من اللحم كى يأكلها ! وبقدر ما كان مرهف الحساسية نحو نفسه ، كان عديم الاحساس بل فظا قاسيا مع الآخـرين !

وهذه الخصائص هى التى أدت بالكثيرين ـ فى شتى العصور ـ الى الخلط بين العبقرية والجنون .. حتى لقد اعتبر « لومبروزو » وتلاميذه أن العبقرية « حالة مرضية » وثيقة الصلة بالجنون . وقرر « هافيلوك الليس » أن الميل

الى الصعوبة فى النطق ، واختلاج العضلات ، و « اللخمة » الجسمية ، وقف على فئتين : العباقرة والبلهاء !.. وهو يرى وجود صلة قربى بين الفئتين !

ويعمد العباقرة – لتنشيط طاقتهم وشحذها – الى وسائل « اصطناعية » غاية فى الغرابة : فقد كان الشاعر الالمانى « شيللر » يضع قدميه فى وعاء به ثلج . وكان « روسو » يعمد ، كى يستغرق فى تأملاته، الى تعريض وجهه لضوء الشمس المباشر الذى يعشى الابصار .. أما « شيللى » فكان يؤثر أن يستلقى على السجادة بجوار المدفأة ، ويدنى رأسه من النار !.. وكان الفيلسوف « ديكارت » يدفن وجهه فى حشية الكنبة . بينما كان الشاعر « ميلتون » ينظم قصائده ورأسه متكىء على مقعده المريح . أما الموسيقى « بايزيللو » فكان يضع ألحانه وهو غارق تحت تل من البطاطين الثقيلة ! .. فى حين كان «بونيه» يعتزل فى حجرة باردة ويدثر رأسه بأغطية ساخنة !



وقد أظهرت دراسة أسرات العباقرة ان العبقرى يكون فى العادة اكبر أو أصغر اخوته .. وانه ينبت من أسرات كبيرة العدد ، ومن والدين متقدمين فى السن .. وان العبقرى « الذكر » يجىء من سلالة والدين يغلب على ذريتهما الذكور ، « والعبقرية » الانثى تجىء من سلالة والدين تغلب على ذريتهما الاناث .. واخيراً ان العباقرة قد يرثون المقدرة والكفاءة من الاب ، اذا كان هو المقتدر ، أو يرثونهما من الام – اذا كانت هى المقتدرة – بنسبة واحدة ، وعلى حد سواء ..

وحسبنا هذا من حديث العبقرية والعباقرة .. وتعال ننتقل الى حديث آخر . أى كتاب من هذه الكتب المتراصة تود أن نقرأ الآن ؟.. وعلى ذكر الكتب ، التى ندين لها بكل هذه المتعة ، والتى تنشر المعرفة فى كافة أركان الارض – بسرعة دوران آلة الطباعة ! – ماذا تعرف عن نشأتها وتاريخها ؟ .. تعال نسترجع هذا التاريخ العجيب فى سطور ، لنستمد منه اعتزازا ببلادنا ، واعزازا ، كما سترى ..

# كتب من (( الطين )) !

■ فرغم ان الكتاب ، بصورته الحالية ، لم يعرف قبل القرن الخامس عشر بعد الميلاد .. فانه ، كانتاج أدبى مكتوب ، يرجع الى نحو أربعة آلاف سنة قبل المسيح ، حين اخترعه ((السومريين)) ، ثم أدخلوه الى العراق القديمة - ( بلاد مابين النهرين ) -عند غزوهم اياها حوالى عام ٣٥٠٠ قبل الميلاد . وفى تلك الحقبة كان أولئك القوم ، وجيرانهم من شعوب بلاد الشرق الادنى العربية ، يسجلون كتاباتهم ( الدينية ، والسحرية ، والتاريخية ، والعلمية ، والقانونية ، والاقتصادية ، وملاحمهم الشعرية الحماسية ) على أقراص من الطين ( أو الطفل ،أوالصلصال ) .. فاذا أطلقنا على تلك الاقراص-تجاوزا- لفظ (( كتاب )) ، أمكن القول بأن أقدم صورة محفوظة للكتاب هى اسطوانة عتيقة من الطين عثر عليها فى مدينة ( نيبور ) وارجع تاريخها الى نحو عام ٢٤٠٠ قبل الميلاد ، كماعثر بعد ذلك على اسطوانة أخرىتتضمن أقدم تسجيل لقواعد اللغة والنحو !

وكما يعتبر العراق القديم المهد الاول للكتاب من حيث استخدامه وسيلة لنشر الانتاج الادبى ، تعتبر مصر القديمة المهد الاول للكتاب من حيث اعداده على مادة شبيهة بالورق ، هى (( البردى )) ، الذى يعتبر السلف المباشر للكتاب كما نعرفه الآن . ويرجع تاريخ أقدم (( بردية )) محفوظة ( غير مكتوبة) الى نحو أربعة آلاف سنة قبل الميلاد ، أما أقدم بردية مكتوبة فعمرها ٢٤٥٠ سنة ق . م

وقد كانت للمصريين كتابات فلكية وحسابية وطبية ، علاوة على ثروة أدبية ضخمة من الاساطير ، والقصص القصيرة ، والاهازيج ، واغانى الحب ..فكانوا يسجلونها على اوراق البردى ثم يلصقون احداها بالاخرى بواسطة الغراء ، أو يخيطونها بالدوبلرة ، وفى النهاية يثبتونها الى عصا خشبية ، تلف عليهاحتى تطوى عن آخرها ( كما نفعل نحن بالخرائط حتى الآن ) . ولقراءة الكتاب المطوى على هذه الصورة كان الشخص يمسك العصا بيده اليمنى ، ثم ينشر الورق المطوى بيسراه ، ويشرع فى القراءة .. وكلما فرغ من (( صفحة )) أو (( عمود )) واصل نشر المطوى أكثر فأكثر - وطوى مافرغ منه ، بيسراه - حتى ينتهى من الكتاب كله ، وعندئذ يواجه المهمة الثقيلة : مهمة طوى الكتاب كله من جديد - للقارىء التالى - من اليمين الى اليسار ..

وكانت كمية المادة التى يحتويها ملف البردى الواحد ،تقرب من مادة كتاب من كتب العصر الحديث !.. وكان عرض الملف ، أو ارتفاع (( صفحة )) البردى، فى النسخ الادبية ، عشر بوصات ، ( أى اطول من ارتفاع صفحة الكتاب العادى

الآن ) . اما طول البردية الكاملة فكان يبلغ فى البرديات الدينية أكثر من خمسين قدما - ( ومنها ما زاد على المائة قدم ، مثل بردية « جرينفيلد » بالمتحف البريطانى ، وتبلغ ١٢٣ قدما .. وبردية « هاريس » المشهورة ، بنفس المتحف ، وتبلغ ١٣٣ قدما )

وعن المصريين ، أخذ اليونان والرومان الفكرة ، واستمروا يستعملونها حتى القرن الرابع بعد الميلاد . كما اخذها اليهود فسجلوا عليها التوراة بالعبرية، وجعلوا لها عصاتين ، واحدة فى كل طرف . لكن طول لفائف اليونان كان يتراوح بين ١٤ و٣٥ قدما فقط .

## ظهور المخطوطات .. ثم اختراع الطباعة !

▪ على أن هذه الطريقة فى تسجيل الكتابة كانت لها عيوبها، وأهمها صعوبة الاستئناس بمحتويات الملف والرجوع الى فقرات منها عند الحاجة - فان ذلك كان يعنى فك البردية بأكملها ثم اعادة طويها ! - ومن هنا نشأت فكرة المخطوطات المصنوعة على شكل صفحات الكتب الحالية . ويرجع استعمال هذه المخطوطات الى القرن الاول قبل الميلاد ، ثم تداولها واستعملها المسيحيون بكثرة منذ بداية القرن الثانى بعد المسيح ، فعرفت واشتهرت . وقد استمرت الكتابة فيها على أوراق البردى اجيالا أخرى ، حتى استعيض عنها بورق « البارشمان » ، الاكثر احتمالا وبقاء . على انه يمكن القول انه خلال الحقبة بين القرنين الثالث والسادس بعد الميلاد ، اختلطت فى مجال التداول جميع الانواع السابقة : البرديات المطوية ، مع مخطوطات البردى ، مع البارشمان المطوى ، مع مخطوطات البارشمان !.. ثم انحصرت الحظوة فى الاخيرة ، فاستقر الكتاب - كما نعرفه الآن - فوق عرشه الخالد ، قبل التطور الاوربى الذى أحدثه اختراع الطباعة - فى القرن الخامس عشر - بعدة قرون .

وفى سنة ١٤٥٧ شهدت اوربا أول نسخة مطبوعة ، وموقع عليها ، من كتاب . وكان قد مضى على اختراع « جوتنبرج » لآلة الطباعة نحو عام ، أو عامين . ولم يحل عام ١٤٩٠ حتى كان عدد المطابع فى ( فنيسيا ) وحدها نحو مائة !.. وفى نهاية القرن المذكور كان عدد الكتب التى طبعت فى أوربا نحو أربعين الف كتاب مختلف ، من جميع الاصناف . لكن هذا الفن المستحدث كان بطيئا فى عبوره بحر المانش ، فظلت انجلترا متخلفة فى هذا المضمار - كعادتها - بحيث لم يطبع فيها اول كتاب الا فى ١١ نوفمبر سنة ١٤٧٧ .



الجمال المثير للحواس ، كما عبر عنه الفنان (( بوشيه )) فى هذه اللوحة التى تظهر براعته فى رسم انحناءات جسم المرأة

# جمال المرأة .. فى (( ثلاثيات )) !

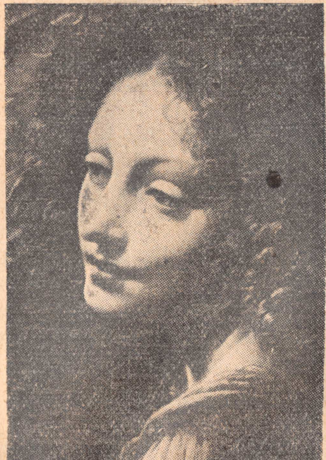
■ ولنواصل سياحتنا الذهنية فى هذه الصومعة الهادئة .. هل تحب ان تقرأ معى كتابا عن ((جمال المرأة))؟ .. اذن تعال نقلب صفحاته. انه كتاب ممتع وطريف اصدرته فى العام الماضى احدى دور النشر الانجليزية . وهو يتألف من عشرين فصلا ، تتناول العشرة الاولى منها الموضوعات التالية ، بالترتيب : الجمال ((الصوفى)) فى مصر الفرعونية. الجمال فى اليونان القديمة . نساء الرومان بين الفضيلة والتهتك . نساء اوروبا فى القرون الوسطى . حسان عصر النهضة . الجمال فى البلاط الانجليزى فى القرن السادس عشر . غانيات انجلترا فى القرن السابع عشر . الحسان المترفات فى القرن الثامن عشر . عصر مدام ريكامييه وليدى ستانهوب والامبراطورة أوجينى . الجمال النسوى فى القرن العشرين

ثم ينتقل الكتاب من هذا التدرج الزمنى ، الى تقسيم آخر (( نوعى )) ، فيتحدث فى فصوله

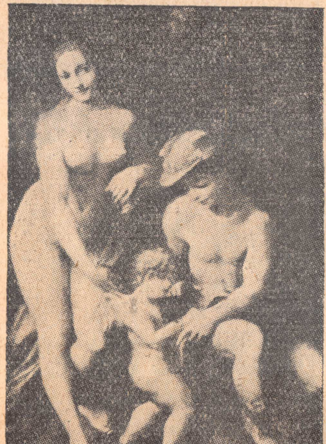
العشرة التالية عن : الجمال المثير للحواس . الجمال الروحى . الجمال الملهم للفنانين . النساء كنماذج للنحاتين . «مدام بومبادور» الالمانية . الجمال الكلاسيكى . فن الخداع عند المرأة . غانيات أم عاهرات . الجمال الخارق للطبيعة . الجمال كما يراه الآخرون

ولما كان الكتاب من الامتاع بحيث يغريني بأن ألخصه لك تلخيصا وافيا فى عدد تال ، فلست أحب ان أفسد عليك الامر بالتحدث عنه هنا حديثا مطولا .. وانما حسبى ان أنقل لك منه فى هذا المجال فقرات عابرة طريفة :

يقول الكاتب فى الفصل الذى عنوانه :«الجمال،كما يراه الآخرون» ان من الصعب ـ بل من المستحيل ـ تقدير رد الفعل الذى يصدر من الرجل لدى مشاهدته لجمال امرأة، فلكل رجل ذوقه الشخصى ونظرته الخاصة . على أن محاولات كثيرة قد بذلت فى الماضى لتحديد العناصر الرئيسية فى جمال المرأة ، وقد



جمال البراءة فى لوحة « عذراء الصخور » لليوناردو دافنشى



جمال المرأة ـ فينوس ـ كما عبر عنه الفنان « كوريجيو »



جمال المرأة « السينمائى » منذ ٢٠ عاما ( جريتا جاربو )



.. وجمال المرأة السينمائى اليوم ( مارلين مونرو )

---

انتهت هذه المحاولات الى حصره فى الثلاثين عنصرا التاليـــة ـ (حسب أكثر المقاييس شيوعا) ـ وبذلك تعتبر المرأة «مثالية الجمال» متى توفرت لها :

ثلاثة أشياء بيضاء : البشرة ، والاسنان ، واليدان .
وثلاثة سوداء : العينان ، والاهداب ، والحاجبان .
وثلاثة حمراء : الشفتان ، والخدان ، والاظافر .
وثلاثة طويلة : القوام ، والشعر ، واليدان .
وثلاثة قصيرة : الاذنان ، والاسنان ، والقدمان .
وثلاثة ضيقة : الخصر ، والفم ، والكاحلان ( الكعبان ) .
وثلاثة ممتلئة : الفخذان ، والذراعان ، والساقان .
وثلاثة دقيقة : الاصابع ، والشفتان ، والشعر .
وثلاثة صغيرة : الانف ، والرأس ، والثديان .
وثلاثة عريضة : الجبهة ، والصدر ، ومابين الحاجبين .
.. فما رأيك أنت ـ كشرقى ـ فى هذه المقاييس ؟

والى عدد تال ، كى أقدم لك تلخيصا مطولا لهذا الكتاب الشائق الطريف ، مصحوبا بالصور واللوحات الفنية المعبرة عن جمال النساء ، فى جميع العصور

# قاتل زوجته .. واهمية الباعث على الجريمة !

■ وهذا كتاب حديث ممتع وضعه (( سير ترافيرس همفريز )) ، القاضى بالمحكمة العليا بانجلترا ، وضمنه ذكرياته عن اشهر القضايا والمحاكمات الجنائية التى عاصرها، أو كان له دور فيها. واذا كانت الكتب التى تصدر عن الجرائم والمحاكمات كثيرة منوعة ، فان الكتب التى يكتبها قضاة بارزون ، قليلة بل نادرة !

ومؤلف الكتاب ، الذى يحمل لقب (( الرايت أونورابل سير .. )) ينحدر عن أب كان بدوره من رجال القانون . وقد تلقى الابن علومه بجامعة ( كمبردج ) ، ثم مارس القانون من سنة ١٨٨٩ الى ان اعتزله فى عام ١٩٥١ . وخلال تلك الحقبة الطويلة تقلب فى شتى مناصب القضاء بانجلترا .

والفصل الذى اخترته لك من كتابه الشائق يتناول محاكمة شاب صينى يدعى (( شونج يو مياو )) امام محكمة جنايات ( كارليل ) فى اكتوبر سنة ١٩٢٨، بتهمة انه قتل ـ يوم ١٩ يونيه من ذلك العام ـ زوجته ((واى شيونج)) ..وكانت (( العروس )) القتيلة ـ فقد كان الزوجان فى (( شهر العسل )) ! ـ امراة على قدر كبير



المؤلف : سير ترافيرس همفريز

من الذكاء والجاذبية ، فى التاسعة والعشرين من عمرها ، صغيرة الجسم ، تلقت علومها فى كلية اجنبية للبنات بمدينة ( هونج كونج ) ، وعرف عنها الميل للبر والاحسان . وكان ابوها (( ينج شان سين )) تاجرا كبيرا من الاثرياء، فلما توفى ـ فى عام ١٩٢٤ ـ تبين انه اوصى بتعيينها المتصرفة الوحيدة فى تركته . وفى سنة ١٩٢٧ سافرت الابنة الى الولايات المتحدة وفى جعبتها مجموعة كبيرة من التحف والكنوز الفنية التى خلفها والدها ، كى تبيعها هناك .

وفى ١٠ اكتوبر التقت فى

( نيويورك ) بزوجها المقبل . كان شابا وسيما طويل القامة ، بالنسبة للصينيين ، وفى الثامنة والعشرين من عمره . ورغم ان احدا لم يكن يعرف شيئا عن اسرته ، فان الفتاة لم تر مايدعوها للارتياب فى صدق قوله بأنه ينتمى الى الطبقة الاجتماعية ذاتها التى تنتمى هى اليها .. وان اسرته تقطن فى احدى ضواحى ( شنغهاى ) .. وانه حصل على درجة علمية فى القانون من الصين ، واخرى من جامعة (لويالا) بشيكاغو .. وان منصبا تعليميا قد عرض عليه فى وطنه .. الخ

## مسرح الجريمة !

■ وتوطد التعارف بين الشاب والفتاة سريعا ، وتقدم نحو غايته بخطوات حثيثة ، فعقد زواج الاثنين فى نيويورك فى الثانى عشر من مايو عام ١٩٢٨ ، وفقا لطقوس المذهب البروتستنتى ـ اذ كانت العروس مسيحية ـ ولم يلبث الزوجان ان غادرا امريكا فى رحلة شهر العسل الى اسكتلندا وانجلترا ، فى طريق عودتهما الى وطنهما ( الصين ) .

وفى يوم ١٨ يونيه هبطا قرية ( جرانج انبورودبل ) الانجليزية ، حيث شغلا غرفة بفندق القرية . وفى اليوم التالى ـ الثلاثاء ١٩ يونيه ـ خرجا الى نزهة على الاقدام فى الصباح . وبحكم سحنتهما الصينية تنبه اليهما عدد كبير من أهالى المنطقة . ثم قفلا راجعين الى الفندق حيث تناولا الغداء ، وخرجا للمشى مرة اخرى بعد الساعة الثانية بقليل . وحوالى الساعة الرابعة شوهد الزوج يعود الى الفندق بمفرده . ونحو الساعة السابعة والنصف رؤيت الزوجة « نائمة » ـ على ما حسب القروى الذى رآها ـ بجوار نهر فى غابة قريبة ، على قيد أمتار من بقعة يرتادها الاهالى أحيانا للاستحمام فى مائها . وكانت ثمة مظلة مفتوحة فوق رأسها .. وذكر القروى الواقعة ، دون قصد ، لصديق له كان يعمل « كونستابل » فى المباحث . ورغم ان رجل المباحث كان وقتئذ فى « أجازة » من عمله ، فقد أثار اهتمامه أن تظل امراة نائمة بمفردها فى الغابة بعد هبوط الظلام ! وتذكر الرجل انه كان قد صادف الزوج بمفرده فى بقعة مجاورة ، فى نحو الساعة الرابعة بعد الظهر ، فخطر له أن يستوثق من ان شيئا غير عادى لم يحدث .. فاتجه الى المكان المذكور ، وهناك وجد العروس المفقودة .. ميتة !

كانت قد خنقت بقطعة من « الدوبارة » البيضاء ، بطريقة جزم معها الطبيب بأنها قد فقدت وعيها فورا بمجرد شد الدوبارة .

وكانت الطريقة « شرقية » بحتة ، توحى بأن الجانى فاجأ المجنى عليها من الخلف وهى جالسة على الارض فالقى « الانشوطة » ـ حلقة

الدوبارة ـ حول رقبتها وجذبهامن طرفيها بقوة وسرعة، بكلتا يديه، ثم عقدها من الخلف . وعلى اثر ذلك بذلت محاولة لاظهار الحادث



فى صورة اعتداء ذى حافز «جنسى»: فقد رفعت ثياب المرأة وعريت ساقاها ، ولكن لم يكن ثمة مايدل على ان اعتداء من هذا النوع قد وقع عليهابالفعل . والى جوارها وجدت الفردة اليسرى من قفازها،

كما بدت على الاصبع السبابة من يدها اليسرى علامات انتزاع خاتم او خواتم منها بالقوة .. وان بقيت حول معصمها ساعة مرصعة بالماس . وكان المكان الذى وجدت به الجثة يبعد نحو مائة متر عن البقعة التى شوهد فيها العروسان فى الساعة الثانية والنصف من بعد ظهر ذلك اليوم !

وثبت من أقوال الشهود أن العروس كانت تحمل ـ وهى جالسة الى مائدة الافطار فى الصباح، والى مائدة العشاء فى الليلة السابقة ـ خاتما ماسيا ثمينا ( سوليتير ) فى سبابتها ، وكذا دبلة زواج مرصعة بالماس !

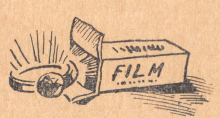
## تخبط .. وارتباك !

■ واستدعى الزوج ليوضح للمحقق كيف ولماذا ترك زوجته بمفردها فى بقعة منعزلة من غابة غير مطروقة ، فكانت اجاباته « غير مقنعة » !... وقررت احدى خادمات الفندق انها سألته لدى عودته من الخارج فى الساعة الرابعة عما اذا كان سينتظر عودة زوجته كى يتناولا الشاى سويا ، فأجابها بأن زوجته ذهبت الى المدينة القريبة لشراء بعض الحاجيات ولن تعود قبل السادسة . وفى الساعة السابعة تناول الزوج عشاءه بمفرده ، وحين سئل عن زوجته قرر انها ذهبت الى المدينة لتشترى ثيابا داخلية شتوية ، وانها لاحظت اصابته ببوادر برد خفيف فنصحته بأن يتناول عشاءه مبكرا ويأوى الى فراشه . وحين عرضت عليه احدى النزيلات ، متطوعة ، ان تنتظر زوجته عند محطة الاتوبيس الذى سيصل قادما من المدينة فى الساعة التاسعة ، اجاب بأن زوجته لن تعود بالاتوبيس لانها لا تحب ركوبه ، وانما ستعود بسيارة خاصة. ولم يحاول أن يوضح كيف ستعثر الزوجة ـ «الغريبة» عن البلاد ـ على سيارة خاصة ، واين ستقضى ساعات الانتظار بعد موعد اغلاق حوانيت المدينة !؟ .. واخيرا ، شهدت خادمة الفندق ان الزوج قال لها حوالى العاشرة والنصف : « ماذا ينبغى ان نفعل ، فى رأيك ؟ هل نبلغ البوليس ؟ »

# الخاتم المفقود .. والورقة الممزقة !

■ وبادر البوليس المحلى الى العمل بسرعة وحزم ، فاعتقل الزوج فى فراشه فى الحادية عشرة ، وبعد ان نقله الى مقر التحقيق اجرى تفتيش غرفته بالفندق .. فعثر فى حقيبته - داخل ثنايا قميص سهرة مكوى - على حلقة بها مفاتيح ، من بينها مفتاح صندوق مجوهرات الزوجة ، الموجود فى حقيبتها الخاصة ! .. وبمجرد محتويات صندوق المجوهرات وجدت كاملة لم تمس . وكانت قيمة هذه المحتويات تقدر بنحو ٣٤٠٠ جنيه !

ووجدت فى حقيبة الزوجة علبتان من الكرتون بهما فيلمان لآلة




تصوير استعملا لكنهما لم يحمضا بعد او يطبعا ، فسلمهما البوليس الى مصور محلى كى يتولى مهمة تحميضهما وطبعهما . وفيما هو يخرج أحدهما من علبته ، تدحرج على المنضدة الخاتم ( السوليتير ) الماسى ودبلة الزواج اللذان كانت القتيلة تضعهما فى سبابتها ! .. وحين سئل الزوج تفسيرا لذلك قال انه رأى زوجته تخلعهما وتضعهما فى علبة الفيلم ، وكان ذلك بعد الغداء مباشرة فى يوم الحادث. ثم اضاف انه لم يدهش لاختيارها هذا « المخبأ » لهما لانه كان قد الف رؤيتها تضعهما فى اماكن شتى لا تخطر بالبال !

وظهرت اثناء التحقيق شاهدة جديدة ، هى خادمة بفندق فى مدينة ( ادنبرة ) باسكتلندة كان العروسان قد اقاما به قبل وصولهما الى انجلترا . وقد قررت انها عثرت فوق صوان بغرفة العروسين على ورقة ممزقة الى ثلاثة اجزاء ، كتبت على كل جزء منها عبارة باللغة الصينية . وحين ترجمت العبارات الثلاث كانت كالآتى : ١ - يجب ان تفعلها على ظهر السفينة - ٢ - لا تفعلها فى السفينة - ٣ - فكر فى الامر مليا حين تصل الى اوروبا . واعترف المتهم بان العبارات كتبت بخطه ، لكنه نسى ما كان يقصده منها !

## متى انتزع القفاز من يد القتيلة ؟

■ وندب الاتهام خبيرا فى الطب الشرعى من ( ليفربول ) ، فأفتى بوثوقه من أن فردة القفاز اليسرى قد انتزعت من اليد « بعد » الوفاة بوقت وجيز ، بينما كان الدم ما يزال يتدفق من الفم ويتفصد من الجسم .. وهو قول يكذب زعم الزوج بان الخاتمين اللذين كانا تحت القفاز قد خلعتهما الزوجة بنفسها قبل خروجها للنزهة معه !

وقد كان ظهور الخاتمين على هذه الصورة دليلا يلصق بالزوج تهمة القتل ، وان ظل الباعث على الجريمة لغزا محيرا غير مفهوم : فلماذا يفكر أى صينى عاقل - متزوج حديثا من سيدة جميلة وغنية - فى ان يقتل عروسه ، فى ظروف لا مفر من ان تؤدى الى القاء القبض عليه ؟!.. والأغرب من هذا ان يفعل ذلك فى بلد اجنبى ليس له فيه اصدقاء ، بل ويجهل كل شىء عن عادات اهله وتقاليدهم !

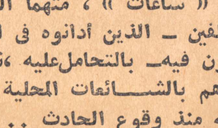
## المداولة .. والحكم !

■ وقد حاول الدفاع انقاذ رأس المتهم ، بالقول ان الجريمة ارتكبتها عصابة (( شرقية )) من اللصوص الذين بهر ابصارهم واطاش صوابهم اختيال العروس بمجوهراتها الثمينة . واستشهد الدفاع لتعزيز نظريته هذه بشاهد قرر انه رأى فى المنطقة رجلا صينيا غريبا عنها .. غير ان هذا الدفاع الواهى لم يستطع ان يقف على ساقين ! .. وعندئذ لجأ محامى المتهم الى سند اخير ، هو انتفاء وجود اى (( باعث )) يدفع المتهم الىقتل زوجته !.. لكنهذا السند انهار بدوره أمام قوة القرائنالمعززة للاتهام ( رغم ميل القضاء الانجليزى الىالارتكان على فكرة ((الباعث)) !)

وخلا المحلفون للمداولة

ولم يجدوا صعوبة فى الوصول الى قرار اجماعى .. بالادانة !

وطعن المتهم فى الحكم بالنقض . واستغرقنظر الطعن يومى ١٩ و ٢٠ نوفمبر . وأفسحت المحكمةصدرها للمتهم ، بحكم أنه أجنبى ،فسمحت له باستدعاء شهود آخرين قرروا رؤيتهم لوجوه أشخاص غرباء فى منطقة الحادث . وحين جاء اوان المرافعة أعفى المتهم محاميه ((مستر جاكسون )) من الدفاع ، وتولاه بنفسه .. فراح يخاطب المحكمة



طوال (( ساعات )) ، متهما القاضى والمحلفين - الذين أدانوه فى الحكم المطعون فيه- بالتحامل عليه ،نتيجة لتأثرهم بالشائعات المحلية التى أدانته منذ وقوع الحادث .. كما اتهم البوليس بالتراخى فى البحث عن القاتل (( الحقيقى )) !

.. غير ان المحكمة لم تجد فى دفاعه جديدا .. فقضت برفض النقض !

## لماذا ارتكب الجريمة ؟

■ ويعلق مؤلف الكتاب على القضية في النهاية بابداء رأيه الخاص في الحكم، وفي المتهم ، فيقول انه مقتنع بأن الشاب كان هو مرتكب الجريمة، وانه استحق عقوبة الشنق التي نفذت فيه .. (( لكنى كنت ولا أزال عاجزا عن الاجابة على هذا السؤال البسيط ، وهو : لماذا فعل ذلك ؟ ))

وهكذا يظل الباعث على ارتكاب تلك الجريمة لغزا محيرا ! .. ولئن قيل ان الشاب ارتكب جريمته طمعا في مجوهرات زوجته ، فهذا الافتراض مردود بأن انتفاعه بثراء هذه الزوجة وهي على قيد الحياة كان انفع له ألف مرة من تعريض رقبته للمشنقة في سبيل الاستيلاء على مجوهراتها !

اذن فهل يكون التفسير الصائب هو ما ساقه المؤلف ــ وهو القاضي الكبير ذو الخبرة الطويلة ــ في احدى فقرات تعليقه على الجريمة ، اذ يقول ما خلاصته : ان القانون يعتبر الانسان اما عاقلا أو مجنونا ، وهو عاقل الى أن يثبت العكس . غير ان هذه النظرة من جانب القانون تغفل حالة عدد كبير ــ ومتزايد ــ من الاشخاص ، الذين وان كانوا يعلمون ما يفعلون ، ويعرفون انهم يرتكبون خطأ ، الا انهم من الغرور ، والغطرسة ، وعدم الاتزان ، بحيث يفقدون القدرة على السيطرة على أفكارهم وتصرفاتهم . وأحيانا يكونون من المصابين بالتهوس الديني ، ومن قبيل ذلك ما قرره الزوج المتهم أمام محكمة النقض من أنه اعتاد استخارة ربه حين يتعذر عليه الاختيار بين أمرين ، فكان يعد ورقتين صغيرتين متماثلتين ، يكتب على كل منهما أحد الامرين اللذين يحار بينهما ، ثم يصلى طالبا من الله الهداية ، وفي النهاية يسحب (( القرعة )) باختيار احدى الورقتين !

ويختتم القاضي الكبير (( سير ترافيرس همفريز )) تعليقه بقوله : (( الا ينم هذا المسلك وحده من المتهم ، عن اضطراب في العقل والتفكير ، يكفى لان يدفعه الى التورط في أية جريمة ؟ ))

فما رأيك أنت ؟

## لماذا تعاقبونني ؟

وبهذه المناسبة ، تحضرني فقرة بليغة أوردها (( مكسيم جوركى )) في كتابه الرائع الذي اطلق عليه : (( شذرات من مفكرتي )) ، وقد افرد للفقرة المذكورة فصلا مستقلا ، رغم انها لاتزيد على العشرة سطور !.. وفيما يلي ترجمة ذلك (( الفصل )) من كتابه ، بنصه الكامل ، وبساطته الساحرة :

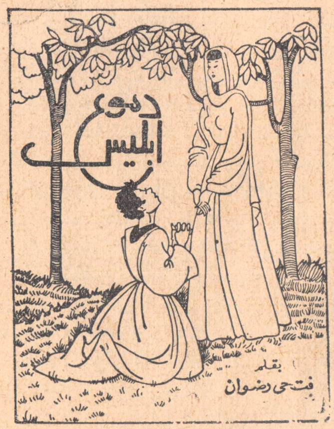
(( عندما مثل المدعو (( موكوف )) ــ الطالب بجامعة موسكو ــ أمام محكمة الجنايات ، متهما بقتل زوجته ، كانت كلماته الاخيرة في الدفاع عن نفسه

هى هذه : « لقد ماتت . انها شهيدة ، ولعلها الآن قد صارت كائنا قدسيا فى الجنة .. بينما انا باق هنا على الارض كى أحمل ، حتى آخر ايامى ، صليب الجريمة والندم ، بثقله المضنى .. فلماذا تعاقبوننى ، فى حين أنى قد عاقبت نفسى بالفعل ؟ .. انى ما زلت أستطيع أن آكل التفاح الصغير الشهى ، والبيض الطازج ، كما كنت افعل قبلا ، لكنه لم يعد يحوى نكهته العذبة القديمة !.. لا شىء بات يدخل البهجة على قلبى الآن .. فلماذا تعاقبوننى ؟ »

# دموع ابليس !

■ والآن ، تعال نطالع كتابا من الانتاج الادبى المحلى - أى العربى - الحديث . وقد اخترت لك هذا الشهر تمثيلية اصدرها أخيرا السيد الاستاذ فتحى رضوان ، وزير الارشاد القومى - ولعلها السابقة الاولى من نوعها فى تقاليد الحكم فى مصر ، ان نرى وزيرا لا يغفل الانتاج الادبى ، رغم اعباء المنصب وتبعاته ..

والمسرحية فى الحق رصينة ومحبوكة ، ذات مغزى وطرافة .. فهى طريفة من حيث تركيبها ، اذ تألفت من أربعة فصول ، تضم ثمانية عشر منظرا ، دون أن يحشوها المؤلف حشوا بشخصيات تزحم المسرح .. وهى طريفة من حيث الحوار ، فقد جاء مطعما بالآراء والافكار بدرجة ملموسة .. واخيرا




هى طريفة من حيث فكرتها ، فان الوزير الاديب ، أو الاديب الوزير ، ابى الا ان يبكى « الشيطان » ! .. وقد وفق بالفعل الى انتزاع دموعه ، بطريقة مبتكرة :

تبدأ التمثيلية فاذا الشيطان واتباعه قد ضاقوا ذرعا بقديسة عذراء تدعى « عصماء » ، نذرت نفسها للفضيلة وهداية الناس ، فلم يعد امام الشيطان بد من أن يزيحها عن طريقه ، حتى لاتفسد عليه رسالته . ولهذا هبط الى

الارض فى شكل قديس شاب ـ جمع بين التقوى والجمال ـ وسعى الى اغراء الفتاة .. لكنه وهو بسبيل ذلك ، وقع فى هواها !.. واذ يفطن الى أنه بحبه يخون رسالته ـ رسالة الكراهية والبغض والحسد ـ يستمد من هذه الرسالة قوة اغواء ، فيجرد « عصماء » من عفتها وطهرها !

ويشتد الندم بالفتاة ، اذ تنكرت لرسالتها .. وتبرح بها الحيرة بين الحب والكراهية : « اننى احبه أقوى الوان الحب ! .. الحب الذى يمتزج بالكراهية .. انى أكرهه بقدر الحب الذى أطوى عليه صدرى له .. أكرهه لانه حملنى على حبه ! » .. على ان حب الشيطان يطغى على رسالته ، فيحاول أن يسترضى عصماء ، وان يكفر عن ذنبه ، قائلا لها : « صدقى أن فى مقدورك أنت أن يقف عمل الشيطان والابالسة ، وان يسود حياة الناس سلام وسكينة ، وان ينقطع عنهم خطر الغواية والضلال .. انا الآن انسان متمرد على الشيطان .. انا اليوم تائب ومستغفر ونادم ، فخذى بيدى وارحمينى . انت التى تستطيعين ان تغيرى تاريخ الناس اجمعين ! »

ولكن « عصماء » لاتغفر له انه اضلها ، بل تقرر ان تنتقم منه ، بان تبقى على ثمرة خطيئتهما ، ثم تقتل نفسها بعد الوضع : « ولنر كيف تكون الدنيا حينما يكون فيها الشيطان وابن الشيطان ! » . ويبكى الشيطان عجزا وأسى ، فهو لن يقوى على أن يفسد ابنه ويضله ، كما لن يقوى على أن يدع هذا الابن يفسد عليه رسالته .. ولن يسعد فى الوقت ذاته بغرامه !

ولا تلبث عصماء ان تعهد بابنها ـ حين تلده ـ الى خادم أمينة ، ثم تنتحر . وتتولى الخادم تنشئة الولد بمعزل عن الناس ، حتى اذا صار فى العشرين من عمره ، أقبل على الناس يحارب الرذيلة فيهم ، ويعطف على فقيرهم وضعيفهم ، فسرعان ما احبوه وتبعوه !

وضاق أعوان الشيطان بالشاب ، أما الشيطان نفسه ـ أبوه ـ فقد ضعف عن اداء رسالته الشريرة نحوه ، منذ عرف الحب والرحمة . وسلط الاعوان « حواء » على الولى الشاب ، فاذا بها تتبعه بدلا من أن تغويه ! .. فانتهى الابالسة الى ان لامفر لهم من ازاحة الشاب عن طريقهم ! .. ويبذل الشيطان محاولة أخيرة ، يذهب فيها الى حد مصارحة الشاب بأنه أبوه ، ويقول : « أحدنا يجب أن يخلى الطريق للآخر .. ان انت بقيت ضاع سلطانى ، وان أنت مت ورثت انا الحسرة والفجيعة والوحشة ! » .. ويخفق الشيطان فى اغراء ابنه ، فينزل عند الحاح أبالسته ، ويتخلى عن حمايته . ويقع الاختيار على « شيطان الحقد » للتخلص من الابن الذى يفسد على الابالسة رسالتهم ، فيسلط على الولى الشاب انسانا يغتاله ! .. وما ان ينتهى الانسان من مهمته ، حتى يمسك الشيطان بتلابيبه صارخا : « لقد قتلت ولدى .. لماذا ؟ » .

فيجيبه القاتل بأن شيطان الحقد هو الذى أغراه ، فيصيح هذا : « أيها الاحمق ، انك اقوى من الشيطان حينما تريد ! »

ويبكى الشيطان ! واذ يلومه أحدأعوانه ، يقول : « هذه أولى دموع ابليس .. عرفها حين عرف الحب . ولكنه لن يعرف الحب بعد الآن ، ولن يرى الناس لابليس دموعا بعد اليوم ! »

وهكذا استطاع فتحى رضوان أن .. يبكى الشيطان !

# شاى وحنان ! .. ومراهقة وتمرد !

• وحسبنا هذه الجولة فى عالم الكتب ، ولنقم بجولة مماثلة فى عالم المسارح ، ودور السينما .. فننتقل بذلك منالمطالعات ، الى المشاهدات .. أو ننتقل من مجال نتلقى فيه المتعة من جمادات ، من حبر وورق .. الى مجال نتلقاها فيه من بشر أحياء ، من لحم ودم ، أو من خيال وظل .. وفى الحالين ، نتلقاها بالسمع وبالبصر معا !

فتعال نبدأ جولتنا بشريطين ممتازين من أشرطة السينما ، عالجا موضوعين مرتبطين ، أو موضوعا واحدا من زاويتين مختلفتين .. هو موضوع الفتى المراهق ، والفتاة المراهقة ! .. والفيلمان اللذان أعنيهما هما : « شاى وحنان » ، و « المراهقة المتمردة » ، وقد شهدتهما القاهرة فى وقت واحد منذ أيام . والى جانب مشكلة المراهقة ، يعالج كلا الفيلمين مشكلة اجتماعية أخرى لها خطرها : هى أثر طلاق الوالدين فى نفسية أولادهما ، والعقد والمركبات التى تتولد عنه فى أعماقهم !

أما الفيلم الاول ـ « شاى وحنان » ـ فقد بلغ قمة الروعة فىالتحليل ، والتمثيل ، والاخراج ، والتلوين ، بحيث يعتبر بحق « دراسة » سيكلوجية واجتماعية نادرة المثال . وسأحاول ، فى هذا المجال الضيق ، أن أنقلك الى جوه ـ أو أنقل جوه اليك ـ قدر الطاقة :

نحن فى «بيت الطلبة » باحدى الجامعات ، وهو بيت معد لاقامة طلبة القسم الداخلى ، ويشرف عليه أحد أساتذة الجامعة ـ « مستر ارنولدز»ـ تعاونه زوجته ، التى تنحصر مهمتها ( كما أوضحها لها زوجها عند قدومها معه الى مقر عمله ) فى أن تقدم الى نزلاء البيت من الطلبة : الشاى ، والحنان ـ أو العطف والمشاركة فى تفهم مشكلاتهم ـ ولا شىء أكثرمنذلك !

وتلتقى زوجة المدير فى البيت بفتى من نزلائه ، فى السابعة عشرة ، يميل الى العزلة والانطواء على نفسه ، فلا يشارك زملاءه صخبهم وتهريجهم ، وألعابهم ورياضتهم العنيفة ، ومغامراتهم الغرامية والجنسية ، وانما ينفق

وقته فى هواية واحدة : هى الاستماع الى اسطواناته الموسيقية المحببة ، وتعلم الغناء .

ويلفت انطواء الفتى زوجة المدير ، فتهتم بأمره ، وتحاول أن توفر له فى البيت جوا عائليا مريحا - سيما حين تعلم منه ان أباه قد انفصل عن أمه بالطلاق منذ كان هو طفلا - أما فى عقلها الباطن فقد كان سر اهتمام زوجة المدير به انه يوقظ فى نفسها ذكرى حبيبة اليها ، هى ذكرى زوجها الاول ، الذى كان فتى يافعا فى مثل سنه وانطوائه ، ثم ذهب يوما الى الحرب متطوعا ، ليثبت لنفسه - ولها - شجاعته .. فلم يعد !

ويسند الى الفتى تمثيل دور « فتاة » فى احدى المسرحيات المدرسية ، فيتردد على زوجة المدير كى تعد له الثوب المناسب للدور ، ويذكى هذا الاتصال فى قلب الفتى المنطوى ، المحروم من الأم ، شعور الحنين الى الأم .. كما يذكى فى قلب الفتى المراهق ، المحروم - بسبب انطوائه - من صحبة الفتيات ، شعور الحنين الى المرأة .. ويجد الشعوران مصبهما فى التعلق بزوجة المدير ، وملازمتها كظلها . وفيما هى جالسة مع صديقتين لها على الشاطىء ذات يوم ، يترك الفتى أنداده منهمكين فى ألعابهم العنيفة ويتسلل الى حيث يجلسن ، ويجره حديثهن الى اظهار براعته فى حياكة أزرار قمصانه ، منذ دربته خادمة البيت على ذلك فى صباه . ( وهنا تظهر هذه اللفتة العابرة ، البارعة ، مدى خطورة ترك الصبيان فى صحبة خادمات جاهلات ! )

ويشاء سوء طالع الفتى أن يراه زميل له فى جلسته تلك وهو يخيط الزرار ، فينشر الخبر بين الطلبة جميعا .. ومنذ تلك اللحظة يطلق الجميع عليه لقب « المخنث » ، ويفتنون فى ايذاء شعوره بكافة ألوان السخرية والتهكم ، بل التعريض والازدراء .. وينبذونه من أوساطهم ومن مجتمعاتهم .. حتى تصيبه من جراء ذلك عقدة نفسية توهمه بأنه « فاقد الرجولة » حقا ! واذ يستبد به عذابه من هذا الهاجس ، يشير عليه صديقه الاوحد الباقى على صلته به ، بأن يسترد اعتباره فى أعين زملائه باثبات رجولته لهم ، وليس لذلك غير سبيل واحد : هو أن يقضى ليلة فى مخدع ساقية البار الخليعة ، وهى كفيلة بنشر الخبر فى أوساط الطلبة ، بدافع الزهو واثارة الغيرة فى نفوسهم !

لكن زوجة المدير تسمع الفتى وهو يواعد الساقية على اللقاء ، فتدرك خطورة الخطوة التى يوشك أن يقدم عليها . انه بسبيل أن يلقى بنفسه فى معترك ليس أهلا له ، سعيا وراء اثبات رجولته واسترداد ثقته بنفسه كما ألقى زوجها الاول اليافع بنفسه فى أتون الحرب مختارا ، ليثبت شجاعته

ويسترد ثقته بنفسه ! .. رباه ، ان التاريخ يعيد نفسه !

وتحزم المرأة أمرها على قرار خطير : أن تنتهز فرصة تغيب زوجها عن البيت فى رحلة مدرسية ، وتنقذ الفتى من مفامرته .. بأى ثمن !

وبالفعل ، تزينت وتجملت ، وارتدت أبدع ثيابها .. وفى اللحظة التى هبط فيها الفتى السلم من غرفته متسللا الى الخارج ، فتحت بابها .. ودعته الى الدخول ! .. دعته وهى تعلم الى أى مدى يتعين عليها ان تمضى فى تجربتها ، وحنانها ! .. وكلما تعجل الفتى الخروج الى موعده الخفى ، احتالت على اعاقته ، بشتى الطرق ، وتقدمت فى تضحيتها خطوة ، بعد خطوة ! .. وكلما فشل من أسلحتها سلاح ، جردت من جعبتها سلاحا أحد ، وأمضى .. حتى اعترفت له بأن الليلة توافق ذكرى زواجها الاول ، وقصت عليه قصة ذلك الزوج ، الذى يشبهه ، والذى لن تنساه .. فلم يملك الفتى نفسه من الاعتراف بأنه يغبط ذلك الذى استأثر بحبها ، ويحسده حتى على ميتته سعيدا بكونه زوجا لها ، سعيدا بأنه استطاع قبل موته أن يثبت لها شجاعته ! ألا ليته هو يستطيع أن يثبت رجولته ، ثم يموت !

ويجترىء الفتى ، فى نشوة الاستجابة لحنانها ، على تقبيلها .. لكنها ترده وقد أجفلت برغمها من المضى فى خطتها . ترده وهى تتمنى أن تمنحه نفسها ! وقبل أن تسترد شجاعتها يخرج الفتى يائسا ، الى موعده مع الساقية !

لكن طبيعته العاطفية تعجزه عن النجاح فى مغامرته الخاسرة . واذ تلمس الساقية منه فشله تنهال عليه تهكما وتحقيرا ، وتروح تتندر بتلقيب اخوانه له بلقب (( المخنث )) ! واذ ذاك يثور فيه عجزه المكبوت ، فيختطف سكينا كى يقتل بها نفسه أو يقتل المرأة !

ويفصل من المدرسة . يفصله مدير بيت الطلبة ، الذى يجد فى الحادث فرصة للتنفيس عن غيرته على زوجته من الفتى . وتثور الزوجة فتعترف لزوجها بأنها تمنت بالامس لو أتاحت للفتى فرصة اثبات رجولته .. معها ! .. ثم تخرج باحثة عن البائس المنكود ، حتى تعثر عليه مستلقيا فى المزارع يجتر تعاسته ، فتؤكد له رجولته .. ولكن أنى له أن يصدق ؟

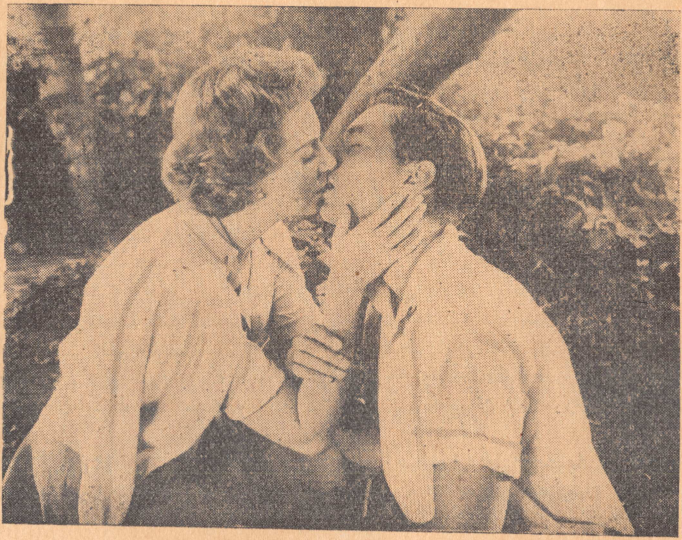
ــ سوف تتزوج ، وتستيقن من الامر

ــ هيهات .. ليتنى استطيع تصديقك

ــ لقد أحسست بذلك من قبلتك . كانت أشهى قبلة تذوقتها !

وتلتقى أعينهما فى نداء خفى متبادل .. ثم تلتقى شفاههما من جديد !

... ... ... ... ... ... ... ... ... ... ... ...



الزوجة التى ضحت بعفتها كى تنقذ شابا من الانهيار !

.. وأيقن الفتى من رجولته ! ولم تجد الزوجة فى نفسها الشجاعة على أن تعود الى زوجها مجللة بعار تضحيتها الشريفة ! .. فهجرته

وانقضى عامان ، شق الفتى خلالهما طريقه فى جامعة أخرى ، وتزوج ، وسعد فى زواجه .. ثم عاد ذات يوم ليزور غرفته القديمة فى بيت الطلبة ويستعيد فيها ذكرياته .. والتقى بمدير البيت - أستاذه السابق - فسأله عن زوجته !

- لقد اختفت من حياتى .. اليك رسالة منها اليك ارسلتها منذ شهور ، لأنها لا تعرف مقرك !

وفض الفتى الرسالة ، وانسابت دموعه .. مع ذكرياته : « لقد هجرت زوجى منذ تلك الليلة ، فحطمته .. ولن أغفر لنفسى ذلك ! .. لشد ما يسرنى انك تزوجت ، وسعدت .. ونجحت .. فلقد قرأت كتابك الذى نشرته ورويت فيه قصتك مع زوجة استاذك ، لكنى أود أن أصحح لك واقعة واحدة : انك فيه وصفت الزوجة بانها كانت قديسة طاهرة .. وأنا لم أكن كذلك ! »

# الآباء يأكلون الحصرم .. والابناء يضرسون !

■ اما الفيلم الآخر - (( المراهقة المتمردة )) - فيعالج المشكلة من زاويتها المضادة ، زاوية الفتاة المراهقة لا الفتى .. فنرى زوجين يدب بينهما الشقاق والكراهية ، فينفصلان بالطلاق . ويظفر الزوج - الثرى - بحضانة ابنتهما الوحيدة التى فى الثامنة ، فيغذى فيها شعور الكراهية لامها ، بحجة انها ابغضته لانها أحبت آخر ، وحين انفصلا تزوجت بالفعل من ذلك ((الآخر)) .. وينمو فى قلب الابنة شعور متزايد بالجفوة والنفور من أمها ، حتى تنقضى السنوات السبع التى أعطى القانون خلالها للاب حق حرمان مطلقته من رؤية ابنتها .. فتطالب الام (( بارسالها )) اليها كى تقضى عندها ثلاثة أسابيع . ويرحب الاب بهذه الفرصة المواتية لابعاد ابنته عن جو البيت ، ريثما يعقد زواجه على امرأة تعلق بها .. بل انه يكلف محاميه بالتفاهم مع مطلقته على ابقاء ابنتها فى كنفها نهائيا !

وتلتقى الام الملتاعة والابنة النافرة ، لقاء فاترا ! .. وعبثا تحاول الاولى ، وزوجها (( الثانى )) ، استمالة قلب (( المراهقة المتمردة )) اليهما ، فانها تظل على بغضها الصريح لهما ، وشراستها نحوهما ، ولهفتها على انتهاء الاسابيع الثلاثة الكريهة ، كى تعود الى ابيها الحبيب ( الذى لم تعلم بعد بنواياه الجديدة نحوها ، واعتزامه الزواج مرة ثانية ! ) .. وفى تلك الاثناء تعمد الام وزوجها الى (( رشوة )) ابن الجيران الجذاب اللطيف كى يتودد الى الابنة ويظهر لها الميل والاهتمام ، لعل الحب يلين قناتها ويكسر شوكة جموحها !

ويفلح هذا السلاح بالفعل ، فتقع المراهقة فى هوى جارها .. ويبدلها الحب مخلوقة أخرى ، مرحة ، لطيفة ، حالمة ، وديعة ، لا تفكر طبعا فى الرحيل للعودة الى أبيها ! .. ولكن ، هنا تبدأ المشكلة فى التعقد : فان ابن الجيران لم يتعلق بها فى الواقع ، بل ظل على حبه لفتاة أخرى كان على صلة بها . وحين تفاجئه هذه بالحضور قبيل موعد احدى حفلات الشباب الساهرة ، كى يصحبها اليها .. يتخلى الحائر المعذب فجأة عن (( المراهقة المتمردة )) ، ويصارحها - فى سذاجة - برشوة اهلها له كى يتودد اليها !

وتسقط المسكينة من حالق ! .. تسقط الى هاوية اليأس المرير . وبتأثير صدمتها المروعة فى (( حبها الاول )) ، تصر على العودة فورا الى ابيها .. فتصحبها أمها ، كى تدبر الامر مع زوجها السابق . وهناك ، ينحسر عن عينى الفتاة الغريرة قناع الزيف ، فتصدم بمسلك أبيها ، وبرغبته الواضحة فى التخلص منها بارسالها الى مدرسة داخلية مهجورة لتقضى فيها فترة الصيف !.. فتنطلق دامعة العين تركض وراء السيارة التى استقلتها الام



لتحملها الى المطار .. وتخور قوى الابنة من طول الركض فتخر على الارض وهي تطلق صرخة أخيرة يائسة ، تبلغ لحسن الحظ مسامع امها فى آخر لحظة ، فتوقف السيارة .. وتتعانق الملهوفتان ، وترحلان معا !

وإذا كان هذا الفيلم ، كسابقه ، يعالج فى الظاهر مشكلات المراهقة .. فانه – فى باطنه – انما يعالج ، كسابقه أيضا ، أخطر المشكلات الاجتماعية على الاطلاق ، فى كل زمان ومكان : مشكلة « الطلاق » بين الوالدين ، وما يجره على الاولاد من كوارث ، وعقد نفسية ، ونزعات « تمردية » ! .. وانه لمن المصادفات العجيبة حقا أن يعرض فى القاهرة ، فى وقت واحد ، فيلمان من انتاج شركتين مختلفتين ، يعالجان موضوعا واحدا .. ومشكلة واحدة !

وقد كنت أحب ان نمضى معا فى جولتنا ، فنشهد برنامج فرقة الباليه الروسية التى قدمت لنا روائع فنها على مسرح دار الاوبرا فى الشهر الماضى .. ثم أخلت مكانها لفرقة « سلوك » التشيكوسلوفاكية التى أمتعتنا بفنها الشعبى الغنائى الراقص .. وكذلك كنت قد اعددت لك نزهة قصيرة شائقة فى روضة الشعر ، العربى والاجنبى ، نقتطف خلالها من كل بستان ثمرة ، ونتغنى بأهازيج الشعراء وملاحمهم الخالدة .. لكن جولتنا فيما يبدو قد بلغت غايتها ، واستنفدت المكان المخصص لها .. فمعذرة ، والى اللقاء فى العدد القادم باذن الله



**كبرياء .. منذ الطفولة!**

لوحة للرسام الشهير « رينولدز » ( ١٧٢٣ - ١٧٩٢ )


للفضيحة.. أرجُل!
قصة مصرية: بقلم يوسف جوهر

« ماذا يا مدحت ؟ ٠٠ هل نسيت ان علاقتنا بدأت نقية بريئة ، وانك وعدتنى أن تكون كذلك دائما ؟ ٠٠ ألم يكن الذى ألف بيننا انك كنت تشكو لى متاعبك من زوجتك ، وانني كنت أشكو لك ما يضايقنى من زوجى ، وانك كنت تلتمس لسالم الأعذار ، وانني كنت أوصيك باحتمال « فكرية » ، امرأتك الصغيرة الجميلة المدللة ؟!

**« لقد كنت سعيدة بصداقتك ٠ لكن جاء يوم بدأت فيه نظراتك تتغير ٠٠ بدأت تنسى أن زوجى هو صديقك ! »**

« وقد حاولت ان اختفى من طريقك ٠٠ ان لا أظهر فى حياتك ٠٠ ان أنقذك من الخطأ الذى بدأ قلبك يغرق فيه ٠٠ لكنك تعقبتنى ٠ تبعتنى دائما ٠ وقد صدقتك لما وعدتنى بأنك ستحبنى حبا كريما عفيفا ، وان حق زوجى سيكون دائما مصونا ! مازلت أذكر كل حرف من رسالتك الأولى لى التى قلت فيها : « **أنا راض بأن أترك له جسدك وجمالك ٠ ان كل ما أطمع فيه أن أرى وجهك ٠٠ أن أسمع صوتك ٠٠ أن تتكىء نظراتى المتعبة الهائمة على عينيك الحنونتين ! لست أريد الا ركنا متواضعا منعزلا في قلبك ٠ لماذا تضنين بأن تسعدى رجلا كل مناه أن يقتات من فتات نظراتك وابتساماتك وحديثك ؟ ان ذلك لن يكلفك شيئا !** »

« أليست هذه هى رسالتك الأولى بحروفها ؟! ٠٠ لكن هل هدأت أنت فى ذلك الركن المتواضع فى قلبى ؟ ألست أنت الضيف الذى لم يلبث قليلا حتى بدأ يتضايق من صاحب البيت ، ويتبرم به ، ويدفعه الى الخارج شيئا فشيئا ؟! وبعد أن كنت تهون على ما يسخطنى من سالم صديقك ، أصبحت تجسم لى أخطاءه ، وتفضح ما استتر من عيوبه ، وتجرح شخصيته فى غير اشفاق ! ٠٠ وكان ينبغى ان أفطن الى انك صاحب مصلحة ،

لكن قلبى الذى كان يشاركك فى ضلالك أعمـــانى ، فكرهت زوجى ! ٠٠ وأعطيتك مفتاح الشقة الثانى ، لتدخل وقتما تشاء فى الليالى التى يكون فيها غائبا ٠٠ لقد أبحت لك ذلك راضية ، مغتبطة بأن أجد رجلا أمينا يؤنس وحشتى ، ويقنع منى بحب عفيف !

« انها غلطتى ٠٠ كان ينبغى ان لا أتمادى فى الثقة بالطبيعة البشرية الى هذا الحد ٠٠ وان أحسب حساب انك رجل ٠٠ واننى امرأة ٠٠ وأن جلساتنا الطويلة فى الليل الكتوم لن تمر بسلام!

« اننى لأفكر الآن ٠ أراجع الماضى ٠٠ فأدرك ان وحدتنا أو خلوتنا هى المسئولة عن ذلك الشر الكبير الذى يبدو فى أفق حياتنا ، والذى نوشك ان نرتكبه !

« والآن ما العمل ؟! ٠٠ لقد استعبدتنى ٠ لم أعد أقوى على عصيانك ، مع معرفتى بضلالك وبطيشى ! لماذا أطيعك ؟ ماذا يخضعنى لك : وجهك ؟ أم عيناك ؟ أم ضحكتك ؟ أم صوتك ؟

**« نعم ٠٠ اننى لم أعد أطيق ان أرى تلك القشرة من الدموع تكسو عينيك ، وتفضح رغبتك ، ولهفتك ، وضـــعفك ٠٠ لا تحسب اننى قاومتك ليلة الأمس وأنا قوية ٠٠ لقد كنت على وشك التسليم ! لم تكد تغادر البيت حتى سقطت كالمائتة ضعفا واعياء وولها ٠٠ وقد ظللت بقية الليل ساهرة ، حزينـــة لأننى أغضبتك ٠٠ لأننى رددت حبك المتمرد ٠٠**

« فى الوقت الذى كان فيـــه قلبى يتمزق ، كان ضميرى يعيرنى ٠٠ فان هناك غير حبك ، ثقة سالم بى !

« والآن أتوسل اليك يا مدحت أن لا تأتى الليلة ! نعم ان سالم غائب عن البيت ، لكن لا تأت ٠ فليحمنى غيابه ٠ هل أعترف لك : هل أقول لك اننى عالمة أننى لن أقوى على المقاومة هذه المرة ان أتيت ، فاننا قد بلغنا ، أنا وأنت ، حدا مخيفا من الضعف !؟

« يا مدحت ، دع هذا الجســـد له ٠٠ انه ليس كل شىء فى

حبنا . تكفيك روحى التى تعبدك . ان عندك كل حياتى الحقيقية ..

**« احمنى يا حبيبى من نفسى ومن نفسك . هذه هى التضحية التى أطالبك بها . ان لم تلن لرجائى ، وغلبك هواك ، وأتيت .. فستجدنى فى انتظارك . ستجد امرأة ضعيفة لا تقوى على مقاومة عينيك ، ورغبتك ، ولهفتك !**

**« لكن اعلم أننى سأختفى بعد ذلك من حياتك ومن حياته . ولن تعود ترانى . سأفر بعارى الكبير !**

« اختر لك أحد أمرين : حبنا المحرم بكل متعه ومخازيه .. وانما لليلة واحدة . أو حبنا المقيد المحدود .. دائما !

« أنت تعلم أننى أعنى ما أقول !

**« الهـام »**

* * *

**لم يكن** ينتظر منها ذلك الخطاب . بدا له الشرط رهيبا . فقد كان يعلم من خلق الهام أن لها بدوات ونزوات . انها من طراز النساء اللاتى يثرن فجأة على ضعفهن المحبوب ويمقتن خطاياهن سراعا ، ويعدن نادمات مستعبرات الى ما يعتقدنه صوابا !

قد يفقد سلطانه عليها بعد أن يحظى منها بهذا الخضوع الأخير .. انه يعرفها . انه يشفق ان تحتقر بعد ذلك ضعفه .. أن تسأمه لما تجد أنه رجل .. ككل الرجال !

**كان شيئا قاسيا أن يفقدها الى الأبد .. مقابل ليلة واحدة !**

**ومع ذلك فقد اعتزم أن يذهب . كان موقنا ان لا خلاص من ضعفه . كان يحس ان نارا ترعى جسده وفؤاده من البعاد .**

**انه سيجن ان لم ٠٠ ينلها !**

***

في المساء ، وهو يتناول عشاءه ، كان يبدو عليـــه الشرود والاضطراب ٠٠ وسألته زوجه « فكرية » عن سر ســـهومه ، وسارع الى استغلال السؤال فأجابها : « لقد أصبحت حياتى لا تطاق ٠ لقد كلفنى وكيل الوزارة ان أحمل بعض الأوراق الى الوزير فى الاسكندرية ، فى الحال ، ولذلك فأنا مضطر للســفر الآن ٠٠ سأبيت فى الخارج ٠٠ »

ومضى يلعن الوظيفة ، والعيشة !

وأخذت تهون الأمر عليه ، وتشجعه على احتمال متـــاعب العمل ٠٠

وتنفس الصعداء ٠٠ انها لا تشك فيه قط ٠٠ ولا تتبرم قط بغيابه عن بيته ٠٠ وتعفيه من مشقات المخاتلة ، وانتحـــال الأعذار ، وسبك الأكاذيب ٠٠ يا للبلهاء !

انحنى بعد العشاء على أوراقه المصلحية ، وجعل يقلبهـــا باهتمام ٠ وفى الواقع كانت ورقة واحـــدة هى التى حظيت بعنايته ودرسه : خطاب « الهـــام » ، المدسوس فى الدوسيه الكبير !

وامتلأت المنفضة بأعقاب السجائر ٠٠

**ورأى زوجه ترمقه فى سكون وهو « منكب » على عمـله ٠٠ ورأى على شفتيها ابتسامة مطمئنة ٠ ضايقه ذلك ٠٠ ضايقتـه هذه ٠٠ الثقة ! ود لو أن فكرية تستريب به ٠ تبدى اهتمـاما يسيرا ٠ تسأله عن وجه الاستعجال فى هـــذه الأوراق التى سيحملها للوزير ٠٠ وهلا اســـتطاع أن يرجىء سفره الى الصباح ٠٠ كم يمضه هذا الاستسلام ! ٠٠ كم ينقم عليها انها لا تعرف « الغيرة » !**

قبلها وهو عند باب الخروج قبلة ، حاول أن تكون حارة ٠٠ وردد قلبه فى امتعاض وهو يهبط الدرج : بلهاء ، بلهاء !



فى الطريق لم يكن لفكرية نصيب من تفكيره المضطرب ٠٠ لم يلمه ضميره لأنه يخدعها ٠٠ لم يخطر له أن لها حقوقا عليه ٠٠ ومرت برأسه صورة صديقه سالم ، زوج الهام ، وانما للحظات فقط ٠٠ ثم اندثرت ٠٠ لقد غلظ قلبه ٠ انه لا يكترث بهذا الرجل ولا يحس نحوه الا بقليل من المقت وبقليل من الندم ٠٠

كان الذى يقتسم نفسه ويتوزع فؤاده شىء آخر هو ٠٠ الهام ، وتهديدها !

**انه يحترق ٠ انه لا يستطيع أن يصبر عن أن ينالها ٠ ان رغبته تستعبده وتقوده الى بيتها ، واعدة اياه بذلك الهناء الآثم الذى يخيل له انه سيجن ان لم ينله ! ٠٠ ومع ذلك فانه خائف ٠ خائف من عقاب ذلك الحب ٠ خائف ان تكون الهام جادة ٠ ان لا يراها ثانية بعد الخطيئة ٠ ان تكون ليلة ٠٠ بلا غد !**

تردد ٠ تردد كثيرا ٠٠ فكر أن يعود الى بيته ٠ ان ينبىء فكرية انه قد عدل عن السفر ٠٠ لكنه رأى نفسه يصعد الدرج الى شقة الهام ٠٠ الى بيت صديقه !

وأدار مفتاحه فى القفل ٠ ودخل ٠ كان الظلام سائدا ٠ أخذ يتلمس مفتاح النور ، وقد عرته قشعريرة ! أحس كأنه لص ! كأنه سارق ! كأن فضيحته توشك أن تسفر ! كأن يد العدالة الثقيلة ، التى لا ترحم ، ستهبط على عنقه !

وبحث عنها فى كل حجرة ٠ لكنها لم تكن هناك ٠ ظن انها تداعبه ٠ بحث تحت السرير ، وفى خزانة الملابس ، وفى

الشرفات ، لكنه لم يجدها !

وأخيرا عثر برسالة منها قد شبكتهـــا بدبوس فوق وسادة الفراش :

**« أعلم أنك ستأتى · ان الحيوان الراقد فى دمك أقوى منك · انك ستطيعه وتبيعنى بسعادة ليلة · لذلك فررت الى بيت أمى لأبيت عندها · وبذلك تتأخر خطيئتنا ليلة أيضا · قد تفكر فيها وتنتصر على نفسك ، على طيشك · لا تغضب يا مدحت · لا تظن أنى تعمـــدت ان أخدعك وان اكذبك ما وعدت · لقد اقتلعت نفسى من بيتى ، ومن طريقك اقتلاعا · اما فى الليـــلة المقبلة فسأظل فى حجرتى أنتظر ضربة القدر ·· أو رحمته ! »**

* * *

والآن ، كيف يعود الى البيت ؟ ماذا حدث للعمل العاجل ؟ ·· لكن هيه ، ما أيسر أن يبتكر حجة : لقد فاته القطار الأخير · ان فكرية بلهاء ، بلهاء ··

وتقدم الى الباب ، لكنه عدل عن الخروج ·· اعتزم أن يبقى حيث هو · راود قلبه أمل ضعيف : ربما تعود الهام · ربما تعود فجأة · انه يدرك أنها تعتقل رغبته اعتقالا ، وتقمعها قمعا ، فان أفلتت منها فستندفع نحوه كالسيل الجارف الذى لا يخجل من السدود والقيود · ربما ·· ربما يمزق فؤادها انها جعلته ينتظر · وتندم ·· وتأتى !

اتجه الى غرفة المكتبة ·وسحب كتابا من الرف وجلس يقرأ · ولم يعجبـــه الكتاب فأعاده الى مكانه ، وجعل يجيل بصره بأسماء الكتب المســطورة على ظهورها ·· استلفته مجلد انيق فى « علم النبات » · تناوله وهو يبتسم · ان سالم من هواة علم النبات ، وانه ليذكر أن حماسه لهـذا العلم قد انتقـل الى زوجته فكرية فتتلمذت عليه فيـه · وصار يعيرها كتبه · لقد رأى هذا المجلد بالذات ، يوما ما ، فى يد زوجته فكرية ··

أخذ يقلب الصفحات وقد ماتت فى نفسه الرغبة فى القراءة ، وبينما هويفعل ذلك وقع نظره على ورقة صغيرة معطرة ··

وذهل لما تأمل الخط ·· كان خط زوجته فكرية ! وكانت السطور : « حبيبى

سالم . ان الليلة ليلتنا ! لقد سافر مدحت الى الاقصر ليعرض على الوزير ، الذي يمضى هناك بضعة أيام ، أوراقا لا تحتمل التأخير .. لقد ودعته . رأيت القطار السريع وهو يبتعد به عن القاهرة .. فكرية » !

ذكر مدحت حكاية سفره الى الأقصر . كان ذلك منذ عام . كانت الهام عند أهلها فى المنيا ، واشتاق أن يراها . ولم يكن أيسر من آن يزعم لفكرية ، وهو يلعن الوظيفة والعيشة ، انه ماض الى أقصى الصعيد . ان زوجته فتاة بلهاء ، ولا بأس أن يمسح كل همومه الغرامية فى ذقن الوزير !

هذا هو اذن سر غرام فكرية بعلم النبات !

منذ عام اذن .. وهو مغفل كبير !

عجب من ذلك ! كان يظن أن فى الدنيا مغفلا كبيرا واحدا .. هو صديقه سالم ! طالما سخر من سالم فى سره . طالما أضجرته نظراته البليدة الباردة . لقد كان يخنقه أحيانا أنه لا يجد فى عينيه ولا ظلا طفيفا للريبة !

وفطن الى سر السكون ، والاستسلام الذى كانت ترمقه به زوجه كلما هيأ أوراقه استعدادا .. للسفر . علم لماذا تثق به ثقة عمياء . لماذا لا تحزن لسفره . لماذا لا تعرف الغيرة . انها اذن تستخدم أيضا .. ذقن الوزير !

ان قلبه الذى صور له أنها بلهاء ، بلهاء ، قد خدعه ..

انبعث واقفا وقد نفرت شرايينه غضبا وغيظا ..

خال أن صديقه سالم واقف يواجهه ، باسما ، ساخرا ..

وأخذ مدحت يبحث عن شىء يتقى به تلك النظرات الساخرة الباسمة .. عن سلاح يدافع به عن نفسه . وفجأة أخرج رسالة « الهام » من جيبه ، وجعل ينظر فيها .. كان حاصلا على شهادة فى « الرياضيات العليا » ، وخيل له أن خطاب الهام وقصاصة فكرية تجعلان كفتى الميزان متعادلتين ..

غير أن ضميره الفنى لم يرتح الى تلك الموازنة .. فقد كانت مع الفارق !

ولم يكن سالم أيضا فى الحجرة . انما كان ذلك وهما .. انه ما يزال فى عين صاحبه : ذلك المغفل الكبير .

نعم . لقد كانا فرسى رهان ، فى العدوان ، وقد كسب صاحبه الشوط !

وهبط السلم محزونا . ان أحدا لم يره . ان فضيحته لم تسفر . لكنه مع ذلك يجد أن يد العدالة الثقيلة ، التى لا ترحم ، قد هبطت على عنقه ..

.. وقادته قدماه الى بيته ، لكنه خاف أن يدخله .. استولى عليه جبن غريب .. انه يريد أن يوفر على نفسه المواقف الشائكة .. ربما تكون قد سافرت الى سالم ، فى المدينة المنتدب فيها للعمل أياما لتمضى عنده سواد الليل .. ربما تكون قد استدعته ببرقية ليسهرا سويا ثم يعود بأول قطار .. ربما هو الآن فى فراشه يأخذ مكانه ، ويرتدى بيجامته !

فليتفاد ذلك . انه ان رأى شيئا فستلجئه رجولتـــه الى أن يثور ، ويصنع شيئا .. وما دام لا أحد يدرى أنه يعلم شيئا فلا حاجة به لأن ينفعل ويقترف احدى الحماقات .. لا حاجة الى ذلك .. فان للفضيحة رائحة !

* * *

وكان لا بد أن يعود الى بيته . فعاد بعد ثلاثة أيام . عاد من السفر ! .. ذات صباح !

ولقيته فكرية باشة لكن غير مشوقة ، ورأى نفس الابتسامة المطمئنة تكسو وجهها ، ولم يسبها قلبه هذه المرة . لم يقل له انها : بلهاء ، بلهاء ..

ساد بينهما وهما على مائدة الافطار صمت ثقيل قطعه مرة واحدة عنـــدما سألها فجأة : « هل تقدمت كثيرا فى علم النبات ؟ »

ونظرت فى عينيه ، لكنها لم تعثر فيهما على شىء من المكر . كانتا مملوءتين بلاهة ، واطمأنت ، وضحكت ..



غير أنه سألها مرة ثانية بعد الافطار ، وهو يتناول قهوته : « هل تقدمت كثيرا فى علم النبات ؟ »

وأوجست هذه المرة شرا ، وضحكت ، لكن ضحكتها شلت فى قلبها لما سألها أن تعد حقائبها لانهـــما مقبلان على رحلة بديعة طويلة لم تحاول أن تعترض ، ولا أن تستفسر . خافت أن يفضحها صوتها . كانت ترتجف !

.. ولما بدأ القطار يتحرك ، نهض فجأة من مقعده الى جوارها وألقى فى يدها تذكرة السفر ، وشيئا آخر . وقفز الى الرصيف

انه لا يسافر معها اذن !!

وقرأت تذكرة السفر فاذا بها الى المدينة التى يقيم فيها أبوها وأسرتها

ونظرت الى الشىء الآخر فاذا به « خاتم الزواج » ملفوفا فى ورقة !

وتبينت فكرية على الورقة خطها : « حبيبى سالم . ان الليلة ليلتنا ، فقد سافر مدحت الى الاقصر . لقد ودعته . رأيت القطار السريع وهو يبتعد به عن القاهرة . فكرية »

وأدركت العلاقة بين الطلاق وبين علم النبات !

وأدارت الى النافذة عينين مغرورقتين ، فاذا بالقطار السريع ينهب الطـريق مبتعدا بها عن القاهرة !

## من حديقة الفكر والتجربة !

- الثروة التى لا يستغلها صاحبها = الفقر !
- لا قيمة لأن يكون الانسان فاضلا مادام لا يستطيع السيطرة على نفسه !
- اذا رأيت غير الموجود ولم تر الموجود ، فأنت تحب !
- النمائم تكون احدى الصخور التى تعترض مجرى الصداقة !
- من الأفضل للانسان ان لا يعرف شيئا ويفهم كل شىء على أن يعرف كل شىء ولا يفهم شيئا !
- الصبر معناه بكل بساطة : اما ان يعرف الانسان كيف يأمل أو كيف يتألم !
- الكلام خسارة والاصغاء كسب !


POLITICS
BY
ARISTOTLE
السياسة
الكتاب الخالد فى نظم الحكم والدولة
للفيلسوف اليونانى الأشهر أرسطوطاليس

### ٠٠ هذا الكنز القديم !

◆ يعتبر كتاب « السياسة » ، الذى وضعه الفيلسوف اليونانى الأشهر أرسطوطاليس ، أول رسالة مسهبة عولجت فيها نظم الدولة والحكومة ٠ ومع أن « أفلاطون » سبق « أرسطو » ، اذ أصدر كتابه « الجمهورية » – الذى سبق ان قدمناه لك فى العدد الحادى عشر من « كتابى » – الا أن أرسطو كان أول من تناول النظم السياسية بطريقة علمية ، فأرسى بين العلوم المختلفة ، قواعد « علم السياسة » ٠ وقد درس أرسطو فى سبيل اعداد هذا البحث دساتير أكثر من مائة حكومة يونانية ٠٠ وقد كانت كل مدينة – فى عهد الاغريق – دولة قائمة بذاتها ٠ وبالرغم من قدم عهد هذا الكتاب ، فانه لا يزال يعتبر فى مقدمة المراجع الشوامخ فى أصول السياسة ٠

وها هو ذا الكتاب بين يديك ، ملخصا تلخيصا دقيقا ، ينقل اليك ما يضمه بين دفتيه من كنوز ! ٠٠ ولا يفوتنا هنا أن نشيد بالعمل الجليل الذى قام به الأستاذ الكبير « أحمد لطفى السيد » منذ أكثر من ثلاثين عاما ، اذ توفر على ترجمته ترجمة كاملة دقيقة أكسبته – بحق – لقب لقب « أستاذ الجيل » !

## الأسرة نواة الدولة

◆ **ان** طبيعة القواعد العامة لهذا البحث ليست واضحة المعالم ، ومن ثم فلا بد لنا، لكى نتبين الفوارق الأساسية بينها ، أن نبدأ من البداية ٠٠ أى من مبدأ ظهور الدولة ٠ **وهذا يقتضينا العودة الى بنيان الأسرة ٠٠ فهذا البنيان يتضمن ثلاثة أنواع من العلاقات ، هي : علاقة الأبوين بالأطفال ، وعلاقة الزوج بالزوجة ، وعلاقة السيد بالعبيد ٠٠ وما العبيد سوى نوع من السلع – أو لون من ألوان الثروة ! – فهم عبارة عن أدوات تجمع للاستعانة بها فى الحياة ٠٠ أى أنهم أدوات حية من أدوات العمل !**

وذكر الثروة يتطرق بنا الى البحث فى طرق جمعها ، وأساليب استخدامها • فالأصل هو أن الأشياء الضرورية تكتسب عن طريق عمليات بسيطة ، كصيد الطيور والحيوان والاسماك ، وكتربية الماشية ، وما الى ذلك • **ولكن هناك نوعا آخر من طرق جمع الثروة يختلف عما ذكرنا ، ذلك هو : الحصول على الثروة عن طريق المقايضة ، أو مبادلة سلعة بأخرى • وعملية تبادل السلع الضرورية ــ أى عملية التبادل فى أبسط صورها ــ أمر طبيعي يدخل فى عداد العمليات البسيطة الأصلية لاحراز الثروة** • ولكن المقايضة لم تعد محتفظة ببساطتها الأصلية ، لأنها أصبحت تتم عن طريق وسيط معين القيمة ، هو : النقود • وهناك حدود لاحراز الثروة ــ بالطرق البسيطة الأصلية ــ واستخدامها ، أما احراز النقود فغير مقيد بحدود• ومن ثم نجد أن علم المالية يبحث فى جمع هذا النوع من الثروة ، فى حين يقتصر اهتمام علم الاقتصاد على الثروة الحقيقية ذاتها ، أى السلع • ومن هذا نرى أن علم المالية علم غير طبيعى ، أى ليس من العلوم الأساسية الأصلية ــ لا سيما حين يعالج موضوع الفائدة والربا ! ــ فى حين أن احراز الثروة ، فى أبسط أشكالها ، أمر طبيعى ، لا يتطلب سوى دراية بالزراعة وتربية الحيوان •• بينما علم المالية يتجه الى التجارة ، وأقوى أساليبه هى التى ترمى الى احتكار موارد الامداد أو التموين

## مضار الشيوعية « الأفلاطونية » !

• **ولنعد** من موضوع الثروة الى موضوع الأسرة ، فنجد أن حاكم الأسرة ــ أو رب الأسرة ــ مطالب بأن يكون ذا فضائل خلقية وأدبية • وليس معنى هذا أن الفضائل غير مطلوبة من الأعضاء الآخرين للأسرة ، سواء أكانوا نساء أو أطفالا أو عبيدا • • ولكن الفضائل المطلوبة من هؤلاء ليست مثل الفضائل المطلوبة من رب الأسرة ، كما أن وظائفها تختلف عن

وظائف هذه

وهنا نقول أن أول انتقاد لنا ازاء مذهب أفلاطون فى الدولة ( ١ ) ، هو أن أفلاطون يهدف الى خلق التجانس والتشابه ، أى توحيد النظم ، وهذا أمر من شأنه أن يقضى على الدولة ، لأنها تعتمد على تباين الخدمات التى تؤدى وتنوعها . ومن ثم فنحن نفضل هذا التباين والتنوع . **لذلك نجد أن الشيوعية الأفلاطونية ـ لا سيما فيما يتعلق بالزوجات والأطفال ـ لا تفيد غرضا واضحا .. فان التملك المشترك لا يخلق انسجاما ولا تناسقا ، وانما يشيع الاختلاف والفرقة، فضلا عن أنه يهبط باهتمام الفرد ، اذ أن الفرد لن يعود يشعر بأن الشىء الذى فى يده ملك له وحده ، ومن ثم فان ادراكه لوجود شركاء له فى تملكه يخفف من اهتمامه بهذا الشىء . وكنتيجة لهذا ، يتبدد كل ما للصلات العاطفية فى الأسرة من قوة . وكم من احتمالات شنيعة ، لا سبيل الى حصرها ، يمكن أن تتأتى عن تجاهل الروابط والقربى !**

والتملك المشترك للسلع الأخرى خليق بأن يؤدى الى مثل هذه النتيجة ، فهو بوجه عام يفضى الى الشقاق والتنازع . ولو أن هذه الفكرة كانت عملية ـ أو بالأحرى قابلة للتطبيق العملى ـ لوجدنا من سبقنا الى تجربتها

كذلك لا تحدد نظرية أفلاطون ـ وآراء سقراط ـ مدى خضوع المواطنين العاديين والأوصياء ، الذين يتولون مهام الدولة ، لقواعد وأحكام واحدة . فليس ثمة ما يحدد الوحدة بينهم ، ولا ما يعين مدى تبعية بعضهم لبعض . والى هذه الانتقادات ، يمكن أن تضاف ثلاثة انتقادات أخرى ، تقل عنها

---

(١) وهو المذهب الذى نادى به فى كتابه المشهور « الجمهورية » ، الذى لخصناه لقراء « كتابى » فى العدد الحادى عشر

شأنا : فمن ذلك أن أفلاطون يقدر عدد الجنود النظاميين بخمسة آلاف فرد (١) وهو عدد يفوق المعقول بالنسبة لأية دولة تستحق الاسم الذى يطلقه على « جمهوريته » ·· كما أنه يهمل العلاقات الخارجية تماما ·· وكذلك لا يذكر شيئا عن كيفية استبقاء أهل الدولة فى نطاق الحدود المعينة لهم ، أو بالاحرى فى نطاق القانون

والنتيجة العامة التى نخرج بها من نظرية أفلاطون ، هى أننا نحصل بدلا من الجمهورية على نظام وسط بين «الديموقراطية» و « الاستبدادية » ·· بل هو أقرب الى نظام ينفرد فيه نفر من الناس بالحكم ، منه الى أى شىء آخر

## نفوذ النساء فى الدولة ، نفوذ هدام !

◆ **فاذا** تحولنا عن النظريات الى النظم العملية المعروفة ، كالنظام الذى كان متبعا فى ( اسبارطة ) ، وجدنا أن فكرة توفير الفراغ للمواطنين الأحرار ، عن طريق حشد الدولة بعدد كبير من السكان ، ينطوى على أخطار تمرد الطبقة الدنيا ، وهى التى تقوم بالعمل ! ·· **ثم ان الحرية المباحة للنساء – وهن يؤلفن عنصرا هاما فى أية دولة عسكرية – تجعل لهن نفوذا هداما · ومن ثم فان استحواذ عدد قليل من الأيدى – أغلبها من النساء – على السلطة فى ( اسبارطة ) ، أدى الى تضاؤل سكان تلك الدولة ، حتى أوشكوا على الانقراض !··** والى جانب هذا ، نجد أن موظفى الدولة ، وهم حكامها الحقيقيون ، كانوا ينتخبون من بين الأحرار من سكان الدولة جميعا ، بطريقة صبيانية ·· وكذلك كانت الحال بالنسبة لأعضاء مجلس الشيوخ النيابى !·· ومن جهة أخرى كان الأغنياء والفقراء يساهمون

---

**( ١ ) يلاحظ أن الدولة – فى عهد الاغريق – كثيرا ما كانت تتألف من مدينة واحدة ، ومن هنا ندرك سر انتقاد « أرسطو » لأن يكون جيشها ٥ آلاف جندى**

– على السواء – فى توفير الوجبات الغذائية المشتركة للجميع ، وفى هذا ما فيه من اجحاف بالفقراء ٠ واذا نظرنا – من زاوية أخرى – الى نظام الحكم فى ( اسبارطة ) ، وجدنا أن « الروح العسكرية » كانت الهدف الأوحد للنظام كله ٠٠ كما أن اللوائح المالية كانت تتسم بالشح والتقتير

وتقول المعلومات القديمة ان النظام السياسى فى ( اسبارطة ) كان مقتبسا عن نظام جزيرة ( كريت ) ، الذى لا يختلف عنه الا فى بعض تفصيلات قليلة الشأن ، والذى كان يتسم – فى الواقع – بنفس عيوب النظام الاسبارطى بوجه عام ٠ **كذلك كان نظام الحكم فى ( قرطاجنة ) يشبه هذين النظامين ، وان تباين عنهما فى بعض نقاط ، أهمها أنه وضع ضمانات لتقدير الكفاءة ، للحد من سلطان الحظ فى الانتخابات ! ٠٠ ولكنه فى الوقت ذاته كان يميل الى تقدير الكفاءة على أساس الثروة ، الى درجة تنذر بالخطر**

أما فى ( أثينا ) ،فان التشريع الذى وضعه الفيلسوف « سولون » حل محل نظام الحكم الفردى ، وعزز العنصر الأرستقراطى فى الأمة بما رسمه من قواعد الانتخاب لوظائف الدولة ، ولكنه فى الوقت ذاته أدخل فى نظام الحكم عنصرا ديموقراطيا ، عن طريق النظام القضائى ٠٠ ولم يتطور تشريع « سولون » الى الشكل الديموقراطى الواضح الا على أيدى الفقهاء الذين جاءوا فيما بعد !

## هل المساواة عدل ٠٠ أم العدل فى عدم المساواة ؟!

◆ لا يمتاز المواطن الصالح عن أى مواطن صالح آخر الا من حيث علاقته بنظام الدولة ، ومن ثم فلا سبيل الى المساواة والتشابه الموحد ، لأن الدولة تتألف من طبقات ، ومن ثم يتباين الرعايا ٠ **ويمتاز « الحاكم » عن أى فرد صالح ، بأنه يجمع الى جانب الفضائل الخلقية والأدبية لهذا الفرد ، ميزة**

**« الحكمة » أو « العقل » ، وهى ميزة لا يشترط توافرها فى أى فرد ، اذ ليس من الضرورى للمواطن الذى لا يلى منصب الحكم ، أن يكون حكيما أو عاقلا ! .. حقيقة ان المواطن يجب أن يجمع بين القدرة على الحكم والقدرة على الخضوع فى الوقت ذاته لنظام الحكم فى الدولة – خضوع « التابع الحر » ، وليس خضوع الرقيق ! – الا أن الفضائل والمؤهلات تختلف فى حالة ولاية الحكم عنها فى حالة التبعية كمواطن ..**

والمذاهب السياسية تنقسم تبعا لما اذا كان الحكم فى يدفرد واحد ، أو فى أيدى بضعة أفراد ، أو فى أيدى الشعب كله . وأنواع الحكم العادية ، أى التى تهدف الى صالح الجماعة ، هى: الملكية ، والأرستقراطية – أو حكم الصفوة من خيار الشعب – والحكومة الدستورية . أما أنواع الحكم غيرالعادية ، أوالشاذة، فهى التى تهدف الى مصلحة الحكام . وهذه الأنواع هى : الاستبدادية ، والأوليجارشية – أى انفراد فئة من الأغنياء بالحكم – والديموقراطية ! وثانى هذه الأنواع يرمى الى تسلط الأغنياء على الفقراء ، فى حين أن ثالثها معناه سيطرة الفقراء على الأغنياء ! .. **وتختلف هذه النظم من حيث نظرتها الى المساواة .. فالمساواة فى نظر أحدها عدل ، والعدل لدى الآخر فى عدم المساواة ! .. والديموقراطية تقر الرأى الأول ، ولا تقر الثانى . أما الاوليجارشية ، فتحبذ الثانى دون الأول !**

والواقع أن التفوق فى الثروة لا يخلق تفوقا فى كل شىء .. كما أن المساواة فى الحرية لا تعنى المساواة فى كل النواحى والاعتبارات ، كما يظن البعض .. ومن ثم فليس هناك من ضابط يجب أن يسيطر على توزيع السلطة السياسية ، سوى: **الفضيلة ، والموهبة !**

### أيهما أحق بالسلطان : الأغلبية أم الأقلية ؟!

◆ **وهنا** نتعرض للسؤال المعهود : أيهما أحق بالسلطان :

الأقلية أم الأغلبية ؟ .. ليس من شك فى رجاحة الرأى القائل بأن الحكم الذى تجمع عليه الكثرة ، أسلم من الحكم الذى يصدر عن القلة ، سيما وأن الكثرة هم أصحاب القدر الأوفر من المصلحة . **على أن هذا لا يعنى تعيين الشعب كله فى مناصب الحكم ، دون ضابط ولا حساب ، وانما هو يعنى وجوب اجماع الشعب على اختيار من يعينون فى المناصب .**
وهناك عدة صفات تزكى الفرد لتولى مناصب الحكم . على أن التفوق فى احدى الميزات ، مثل عراقة الأصل ، أو الثراء ، يجب أن لا يؤخذ على أنه دليل على التفوق فى باقى الصفات ! .. كذلك فان تفوق احدى « الطبقات » فى صفة من الصفات ، لا يعنى انفرادها بحق الحكم ، سيما وأن الشعب فى مجموعه يتفوق على أية طبقة بمفردها !

والملكية اليونانية - كما تمثلت فى ( اسبارطة ) - لا تعنى استبداد فرد واحد بالحكم ، بل هى استقرار للقيادة العسكرية العليا فى يد قائد واحد . وهى تختلف عن الاستبداد فى أن القوات التى تحت امرة الحاكم تكون من الجنود المحترفين ، فى حين أن القوات التى تحت امرة الملك تتألف من الرعايا المسلحين . والى جانب الملكية اليونانية ، توجد أنواع أخرى من الملكية : منها الملكية الوراثية ، ومنها حكم الفرد الواحد المنتخب ، وهو نوع كان خليقا بأن يعتبر ملكيا لولا أنه غير وراثى ..

على أنه من الوجهة التاريخية ، نجد أن الأرستقراطية حلت محل الملكية ، والأوليجارشية حلت محل الأرستقراطية ، ثم جاء حكم الفرد الواحد محل الأوليجارشية ، وخلفت الديموقراطية حكم الفرد الواحد .. ثم جاءت - أخيرا - الملكية المطلقة

## فضائل الفرد .. أساس الحكم المثالى !

◆ **ويرتبط** نظام الحكم المثالى بمدى المثالية فى حياة الفرد . ولما كنا نؤكد أن رفاهية الفرد لا تكمن فى السلع الخارجية التى

يمتلكها ، وانما تكمن فيما يمتلك ويمارس من فضائل ومواهب ، فنحن نمضى قدما فنقول ان فضائل الدولة - وبالتالى سعادتها ورفاهيتها - تقوم على فضائل الفرد ٠ ولكن ، هل من المستحب للفرد أن يلزم بالمساهمة - بفضائله - فى شئون الدولة ؟ وهل من المستحب للدولة أن يشترك كل الأفراد فى شئونها؟! ان الرغبة المجردة - لدى الفرد أو لدى الدولة - فى السيادة على الغير ، تجانب الصواب ٠٠ أما تقبل المسئولية - بدرجة معينة - عن طريق المساهمة فى توجيه الغير والسيطرة عليهم، فأمر يختلف عن ذاك ، ويتطلب استعدادا مناسبا من ناحية الغير أيضا ، كى يتقبلوا هذا التوجيه والسيطرة !

والدولة - كالفرد - تحتاج الى أن تكون الظروف الخارجة عن كيانها ملائمة وصالحة ٠ **فكبر حجم الدولة - فى حد ذاته - ميزة غير مفيدة ٠ ولكن من الضرورى للدولة أن تكون على قدر من كبر الحجم يمكنها من أن تكفى نفسها بنفسها - بفضل مواردها - ومن أن تكون مستقلة ٠ أما الحد الفاصل بين الحجم النافع والحجم الضار ، فيتمثل فى أن الدولة يجب أن لا تكون مفرطة الاتساع بحيث يتعذر على المواطنين أن يعرفوا بعضهم بعضا ، وبحيث يتعذر وضعها تحت جهاز واحد للحكم والسيطرة ٠٠**

أما من حيث الموقع ، فلا بد للدولة من أن تكون على اتصال بالبحر ، وذلك لأسباب « ستراتيجية » وتجارية ٠٠ على أن لا يؤدى هذا الى تمكين العناصر الأجنبية - الموجودة فى كل الموانىء - من التأثير فى المواطنين تأثيرا ضارا ٠ ومن حسن طالع اليونانيين أن بلادهم تحظى بموقع يمكنها من أن تمضى فى التقدم التجارى والثقافى معا ٠٠ فى حين أن الاسيويين يحظون بالتقدم الثقافى دون التجارى ، وفى حين يحظى البرابرة الأوربيون بالتقدم التجارى دون الفكرى !

## وجوب توفير الاكتفاء الذاتى للدولة !

• **ومما** لا غنى عنه للدولة ، أن تتولى انتاج حاجتها من الغذاء ، مما يحتاج الى أفراد ذوى دراية بالزراعة وتربية الحيوان ٠٠ وان تتوفر فيها الفنون الآلية ، مما يتطلب خبراء ميكانيكيين ٠٠ وأن يكون لها جيش ، وطبقة مثرية ، وحكومة ، وهيئة تشريعية ، وهيئة دينية ٠٠ ولا يمنع عن حيازة الثروة الا غير المواطنين ، فان التمييز بين المواطنين وغير المواطنين أمر جوهرى ، فى حين أن التمييز بين طبقات المواطنين أمر معيب

**وقد يكون فى نظام التغذية المشتركة ـ التى تفرضها الدولة ـ ثمة نفع ، ولكن الثروة يجب أن لا تكون مشتركة ، أو بالأحرى مشاعة بين المواطنين ٠ ويجب أن يكون جزء من الأرض عاما ، وأن يكون جزء آخر منها خاصا ٠ أما الذين يتوفرون على زراعة الأرض ، فلا بد أن يكونوا من العبيد !**

ولا بد من أن يكون موقع المدينة صحيا ، و « ستراتيجيا » يمكن جيشها من الدفاع عنها ، كما يجب أن تكون محصنة خير تحصين ٠ ويجب أن تتمشى تدابير التغذية المشتركة ، وتصميم المبانى العامة ، وفقا لما يمكن طبقات المواطنين من أداء واجباتهم العامة

كذلك لابد من العمل على توفير الظروف الخارجية التى تمهد للسعادة ٠ ولو أن هذه الظروف هيئت ، لأصبحت السعادة محصورة فى اعتياد النشاط النافع ، والفضيلة ، والاستعداد الطبيعى ، وترويض النفس والعقل ٠ وهذا يتوقف على التعليم والتربية ٠ وهما ـ لأسباب واضحة ـ يبدآن برعاية الجسم ، والعناية بالجانب غير العقلى من الانسان ، ثم التحول رويدا الى العقل ٠ ويجب أن يبدأ التشريع بتنظيم الزواج ، وذلك ضمانا لسلامة كل شخصين مهيأين لأن ينجبا أطفالا ، حتى لا ينجبا عجزة أو مصابين بعاهات ٠ ويجب أن لا يلقى من يولد عاجزا أية رعاية تبقى عليه !

## دور الموسيقى فى تربية النشء !

◆ هل يجب أن يسير التعليم على منهج ثابت ؟ ٠٠ وهل تتولاه هيئات خاصة ، أو يكون فى يد الدولة ؟ ٠٠ وما الصفات الواجب توافرها فى المنهج ؟

للاجابة على هذه الأسئلة ، يجدر بنا أن نذكر أن اعداد المواطنين على النسق الملائم لنظام الحكم فى الدولة هو أمر فى غاية الأهمية ، ومن ثم وجب أن يكون من شئون الدولة ، فلا يترك لأهواء المشرفين على المشروعات الخاصة ٠ أما تحديد أفضل الأساليب فى التربية والتعليم ، فأمر موضع جدال ، اذ : هل يجب أن يهدف التعليم الى تدريس المواد النافعة ، أو الى التربية الأدبية والخلقية ،أو الى تنمية الأفكار والأذهان؟٠٠ من الجائز تدريس المواد النافعة التى لاتعرقل العقل ولاتتعارض مع الأخلاق ٠ والمواد المتعارف عليها هى : القراءة ، والكتابة ، والرسم ، والرياضة البدنية ، والموسيقى ٠ والمواد الأربع الأولى ضرورية كأسس للتعليم ٠ فى حين أن الخامسة تصلح كوسيلة للتدريب على استغلال وقت الفراغ استغلالا نافعا ٠ ثم ان للمواد الأربع الأولى حدودا يجب تعيينها ، اذ أن الرياضة البدنية مثلا قد تتجه خطأ الى العنف الوحشى ، وهو مايتعارض مع الشجاعة والشهامة ٠ **أما الموسيقى ففضلا عن أنها ملهاة لشغل الفراغ ولادخال السرور على النفس ، فان لها أيضا تأثيرا أدبيا مباشرا ، فمن الخير للأطفال أن يتعلموا البراعة الموسيقية ، وأن يلقنوا كيف يقدرون الموسيقى حق قدرها اذا**



**ما استمعوا لها ٠٠ ولكن من الواجب أن لا يدربوا على آلات موسيقية تجعلهم كالآلات !** وفى الوقت ذاته ، يجب أن تدخل على برامج التعليم الألحان التى تساعد على السمو بالروح والنفس !

## وجوب اختيار نظام الحكم الصالح لظروف كل دولة !

◆ **وتهدف** دراسة علم السياسة الى اختبار خير نظم الحكم وأقربها الى المثالية ، وأكثر النظم صلاحية لدولة معينة ، وقابلية للتحقيق فى ظروف افتراضية معينة ٠ وقد بحثنا المبدأ المثالى للحكومات ، وهو أن يكون الحكم فى يد الصالح ، سواء أكان هذا الصالح فردا أو عدة أفراد ٠ وبقى أن نفحص مختلف أنواع النظم الأوليجارشية والديموقراطية - على تعددها - ونظم الحكم الفردى الاستبدادى

وترجع كل الاختلافات فى هذا الصدد الى تباين الأحزاب أو الطبقات فى الدولة ٠ على أن الحكومات التى من هذا النوع تندرج عادة تحت نوعين : الديموقراطيات - وبينها الحكومات الدستورية - والأوليجارشيات ، وتدخل بينهما الحكومات الأرستقراطية ٠ **ويحقق النوع الأول سيطرة أغلبية فقيرة على أقلية غنية ، فى حين أن النوع الثانى يتمثل فى سيطرة أقلية غنية على أغلبية فقيرة ٠ أما الطبقات المشار اليها ، فهى : الزراعية ، والصناعية ، والتجارية ، والعمال الأجراء ٠ ثم الطبقة العسكرية ، والدينية ، والملاك ، وأعضاء الهيئة التنفيذية - أى الموظفون - والمفكرون وأصحاب المهن الحرة ، والقضاة والمشرعون ٠ وقد تلتقى أطراف هذا التقسيم ، فنجد أفرادا يمكن أن ينتموا الى طبقتين فى وقت واحد**

والمبدأ الأساسى فى الديموقراطية هو : المساواة ٠ وتمتاز بعض أشكال الديموقراطية بأنها تشترط لتحقيق المساواة توفر معدل بسيط من الثروة ٠ على أن أعظم الفروق بين أنواع

الحكومات الديموقراطية هو ذاك الذى يتصل بالقانون • ففى بعض الديموقراطيات ، يكون للقانون السلطان الأعلى •• وفى ديموقراطيات أخرى يكون القانون تحت رحمة أى تشريع معدل، أو بالأحرى تحت رحمة الفقهاء المشرعين ، الذين يفترض فيهم أنهم يمثلون الشعب • وهذه الديموقراطيات الأخيرة لا يمكن اعتبارها حكومات دستورية على الاطلاق

**أما حيث يكون الاعتداد الأكبر بالثروات ، فتقوم الأوليجارشيات ، أى حكم الأقلية الغنية • ومن أنواعها حكومات يكون فيها حق التعيين فى مناصب الدولة وقفا على أقارب الهيئة الحاكمة •• ومنها من تجعل المناصب وراثية •• كما أن منها حكومات يكون للهيئة التنفيذية فيها سلطان يغلب سلطان القانون !**

ولكن من شأن العادة والعرف أن يجعلا من نظام الحكم الذى يعتبر ديموقراطيا فى شكله ، نظاما أوليجارشيا •• والعكس صحيح ! •• وفى أغلب الدول الديموقراطية ، نجد أن الاعتبارات تحد من نطاق الترشيح لمناصب الحكم •• كما أن من الحكومات الاوليجارشية ما تسمى « أرستقراطية » عن خطأ ، لأنها أقرب الى الديموقراطية

فاذا انتقلنا الى الحكومة الدستورية ، وجدناها خليطا من النظامين الديموقراطى والأوليجارشى ، أو وسطا بينهما •• فهى تبيح المساواة فى الحرية ، وفى الثروة ، وفى مناصب الدولة •• وهى تقترب من الأرستقراطية فى ناحية أو نواح أخرى

وعلى أية حال ، فخير جو للحكم الدستورى ، هو أن يقوم هذا الحكم فى دولة يكون الشطر الأكبر من أهلها من المتوسطين فى الثراء : بين الغنى والفقر • أما فيما عدا ذلك ، فان علاقة الحكام بالمحكومين تغدو أقرب الى علاقة السادة بالعبيد •

**ومن ثم فوجود طبقة كبيرة متوسطة هو خير ضمان للنظام**

**الدستورى ، فاذا ضعفت هذه الطبقة ، تأرجحت الغلبة بين الأوليجارشية والديموقراطية ٠٠ فنجد أن الدولة تميل فى الحالة الأولى الى تشجيع الأغنياء على أن يتحملوا نصيبا من تبعات الحكم ٠٠ أما فى الحالة الثانية فنراها تقدم التيسيرات للفقراء ليتولوا نصيبا من الحياة العامة ٠** والدستور هو الذى يستطيع التوفيق بين الاتجاهين ، اذ يجمع بينهما، ويضع لكل من الأغنياء والفقراء حدودا ٠ والقاعدة العامة هى تخفيض الحواجز التى تحيط بالثروة لتمكين الأغلبية من اجتيازها

## الحرية ٠٠ أساس الديموقراطية

◆ **ولكل** دولة ثلاث هيئات : التشريعية ، والتنفيذية ، والقضائية ٠٠ فالأولى تشرف على الحرب والسلم ، وعلى الانتخابات ، و... التشريع واصدار القوانين ٠ وفى النظام الديموقراطى يؤلف المواطنون جميعا – أو مندوبون يمثلون مختلف أقسامهم – الهيئة التشريعية ٠ فاذا حددت عضوية هذه الهيئة بمعدل معين للثروة ، مال النظام الى النوع الاوليجارشى ٠ ويجب أن يمارس الشعب حق « النقض » والاعتراض ، على أن لايصحبه تصرف ايجابى

أما الهيئة التنفيذية فيجب أن تضم مناصب تتولى سن القوانين ، واتخاذ القرارات ، والأمر والقيادة ٠ وفى الدولة الصغيرة يمكن أن يعهد بعدد من المهام الضرورية الى شخص واحد ٠ كما أن تقسيم الادارة الحكومية يختلف من بلد الى آخر

وتتولى الهيئة القضائية توزيع المهام القضائية على عدد من المجالس القضائية أو المحاكم

وتتباين الديموقراطيات تبعا لما اذا كان السكان من العاملين فى الزراعة ، أو العاملين فى الصناعة ، أو العمال الأجراء ، أو مجموعة من كل هؤلاء ٠ **والمبدأ العام للديموقراطيات كلها هو :**

**تحقيق الحرية للجميع ، عن طريق تحقيق الحرية الفردية ، واشتراك الفرد فى الحكم ٠ وهذا يقتضى أن يجمع الفرد بين أن يكون حاكما وأن يكون محكوما : فلكل فرد الحق فى أن ينتخب للاشتراك فى الحكم ، كما أن لكل فرد ــ فى الوقت ذاته ــ أن يكون ناخبا ٠ ويتم التعيين فى المناصب بالاقتراع ٠٠**

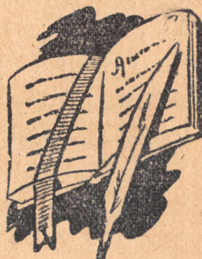
فالمساواة بين الرؤوس ، وكثرة عدد المشرفين على الحكومة ، هما أساس النظرية الديموقراطية ، ومن ثم فالقرارات فى الحكومة الديموقراطية تعتمد على الأغلبية العددية ٠ أما فى الحكومةالاوليجارشية ، فتعتمد على الأغلبيةالمثرية أو الغنية٠٠ وحيثما يدب العداء بين الأغنياء والفقراء ، تكون العدالة هى العامل الفيصل فى حسم الخلاف

## الديموقراطية تزدهر فى الدول الزراعية

◆ **وخير** الشعوب الديموقراطية هى الزراعية ، وتلك التى تعيش على الرعى ، لأنها أقل خنوعا من الدول الصناعية أو التجارية أو المؤلفة من عمال أجراء !٠٠ ولضمان استمرار الديموقراطية ، يجب أن يتقبل الأغنياء اعفاءهم من المرتبات المالية للمناصب العامة ، لتستغل هذه المرتبات فى التخفيف من أعباء الفقراء وتفادى تمردهم ٠ كما يجب حماية الأغنياء ــ فى الوقت ذاته ــ من الاضطهادات الجائرة

وتقترب الحكومة الأوليجارشية من الحكومة الدستورية اذا فتحت معظم المناصب العامة فيها للجميع ٠ وكلما ازداد الاتجاه الى قصر هذه المناصب على الأغنياء ، مال الحكم مقتربا من النظام الاستبدادى

## الحياة قصة



## روائع القصص العالمى

عزيزى القارئ ..

قرأت معى فى الأعداد الماضية قصص : أموك ◆ قلب عذراء ◆ مرتفعات وذرنج ◆ التلميذ ◆ أحدب نوتردام ◆ جريمة حب ◆ جين اير ◆ أيام بومباى الأخيرة ◆ مانون ليسكو ◆ حديقة الله ◆ عندما تحقد المرأة ◆ آسيا ◆ الحب الأول ◆ تاييس ◆ بلاد العميان ◆ نادى الانتحار ◆ كوخ العم توم ◆ الزوج والعشيق ◆ البوهيمية ◆ فتاة لها ماض ◆ شيرى ◆ الجريمة والعقاب ◆ لحن كرويتزر ◆ أميرة مصر ◆ الأمطار ◆ أفروديت ◆ جيجى ◆ الشيطان فى الجسد ◆ ليبوريللا ◆ كانديد ◆ أشجان فرتر ◆ فرانشسكا ◆ لوريت ◆ المعطف ◆ يوميات زوجة ◆ الأفق المفقود ◆ النار الخالدة ◆ الوحل ◆ أبناء وعشاق ◆ اليهودى التائه ◆ صباح الخير أيها الحزن ◆ علاج الحب ◆ العانس ◆ آدم بيد ◆ أحزان الشيطان ◆ شذوذ ◆ قلب البطل ◆ السنة الأولى ◆ القرصان الفرنسى

واليوم ، أقدم لك هذه التحفة الجديدة :




# نداء الدم!

للروائى الأسبانى الأشهر "ميجيل دى سيرفانتس"



تلخيص : محمد بدر الدين خليل

## سر دفاع « سرفانتس » ٠٠ عن الشرف !



◆ أربعة قرون أوشكت أن تكتمل ، واسم « ميجيل دى سرفانتس » يزداد مع مرور كل عام منها تألقا ، لا فى سماء الأدب الاسبانى وحدها ، بل فى سماء الأدب العالمى عامة ٠٠ فقد خلدت قصته الرائعة « دون كيشوت » مجده ، وترجمت ـ بل ولاتزال تترجم مرارا بين فترة وأخرى ـ الى كافة اللغات ٠٠ ولقد كتب «سرفانتس» هذه القصة بعد أن ذاق مرارة الفشل فى قرض الشعر ، وفى تأليف المسرحيات ٠٠ وبعد أن تضور فقرا ، وعرف حياة السجن ، بل وبيع فى سوق الرقيق ! ٠٠ ولكن « دون كيشوت » لم تكن كل ماكتب له الخلود من انتاج « سرفانتس » ، فهناك الى جانبها عدد من الروايات والقصص ، التى اختار لك « كتابى » هنا أحداها ٠ وأنت اذا ألممت بتفصيلات حياة « سرفانتس » ، لا تتمالك أن تشعر بروابط بين هذه الحياة وبين بعض وقائع قصصه ٠٠ وفى هذه القصة بالذات ، نجد أن البطل كان من أصحاب المغامرات الماجنة ، وقد نزح الى ايطاليا حيث عاش سبع سنوات ٠ وفى حياة المؤلف شىء من هذا القبيل ، اذ أقصى عن اسبانيا وهو فى الثالثة والعشرين بسبب مغامراته الخليعة ، فذهب الى ايطاليا ، وعاش هناك عاما ، ثم التحق بالجيش ، وأسره القراصنة ، وبيع فى سوق الرقيق ٠٠ ولم يعد الى اسبانيا الا بعد سبع سنوات ٠ كذلك نجد « سرفانتس » فى قصته يصور فتاة من أسرة طيبة ولكنها فقيرة ، يختطفها شاب من النبلاء ويسطو على عرضها ٠٠ وفى حياة الكاتب شىء من هذا القبيل أيضا ، اذ سجن وأفراد أسرته ـ فى سنة ١٦٠٥ ـ لأن السلطات وجدت جثة شاب ماجن من النبلاء فى داره ،وقيل ان سرفانتس كان يشجع ابنته على البغاء ٠٠ ومن هنا نستطيع أن ندرك سر تحمسه فى الدفاع عن قيمة العرض والشرف ـ لدى الفقراء ـ فى قصته هذه !

• في أحدى ليالي الصيف القائظة ، كان رجل مسن من أبناء الطبقة المتوسطة قادما من نزهة عند النهر فى ( توليدو ) ، مع زوجته ، وابن صغير لهما ، وابنة فى السادسة عشرة ، وخادم • وكانت الليلة وضاءة ، والساعة الحادية عشرة ، والطريق مقفرة ، وقد أخذ أفراد الأسرة يسيرون فى خطى متمهلة ، حتى لايبددوا بالتعب ما أصابوا من راحة فى مروج ( توليدو ) اليانعة • وكانوا يسعون الهوينى الى دارهم دون أن يخطر ببالهم أنهم قد يتعرضون لأية نكبة ، اطمئنانا منهم الى عدالة المدينة الساهرة ، والى استقامة أخلاق أهلها • على أنه لما كانت المصائب تنقض دون ما انذار ، فان مصيبة من أبعد المصائب عن حسبانهم انقضت عليهم ، وخيمت على سعادتهم الراهنة ، وسببت لهم أسى لازمهم سنوات عديدة !

فلقد كان يعيش فى تلك المدينة سيد شاب فى حوالى الثانية والعشرين من عمره ، حمله ثراؤه ، وجاهه ، ونزواته الجامحة ، وحريته المفرطة ، ورفاقه المبتذلون ، على أن يسىء السلوك ، وأن ينتهج نهجا لا يليق بمن كان مثله ، الأمر الذى أكسبه سمعة الأشرار •• **كان ذلك السيد – الذى ندعوه هنا «رودولفو» اشفاقا على اسم أسرته – يهبط التل مع أربعة من أصدقائه ، وقد استخفهم اللهو والقحة ، بينما كانت الأسرة ترقى السفح ، فما لبث أن التقى الفريقان •• الحملان والذئاب ! •• وفى وقاحة وغير استحياء ، أقدم « رودولفو » وزملاؤه – بعد أن أخفوا وجوههم وراء أقنعة – على رفع الحجب التى كانت تستر وجوه الأم والابنة والخادم !**

واستشاط الرجل المسن غيظا ، وراح يلوم الشبان المستهترين ويوبخهم على مسلكهم ، فأجابوه بالتهكم والسخرية ، ثم مضوا فى طريقهم دون أن يقدموا على مزيد من الوقاحات • بيد أن ما كان لقسمات « ليوكاديا » – ابنة الشيخ – من جمال رائع ، أخذ

يتغلغل فى ذهن « رودولفو » حتى تسلط على ارادته ، وأيقظ فى نفسه الرغبة فى أن يحظى بالفتاة ، مهما تكن العواقب ! وأفصح لزملائه فى لحظة عن رغبته ، فان هى الا لحظة أخرى حتى قرروا أن يعودوا ويخضعوا الفتاة لرغبة « رودولفو » ٠٠ فان الأغنياء اذا كانوا أسخياء ، وجدوا دواما من يقرهم على أفعال السوء ، ويطرى نزواتهم الشريرة ! ٠٠ ومن ثم كان التفكير فى الخطة الخبيثة ، والاجماع على تحبيذها ، والظفر بليوكاديا ، أمرا مفروغا منه ٠٠ فحجب الشبان وجوههم ، وشهروا سيوفهم ، وارتدوا عائدين ، فان هى الا خطوات حتى لحقوا بأولئك الذين لم يكونوا قد فرغوا بعد من شكر الله على أن أنجاهم من أيدى الأشرار !

واندفع « رودولفو » الى «ليوكاديا » ، فاختطفها وضمها بين ذراعيه ، ثم فر بها ٠ ولم يكن لها حول تدافع به عن نفسها ، واختنق صوتها فلم تملك صراخا ، بل انها لم تعد تبصر أيضا، اذ أغمى عليها وفقدت الشعور من أثر الصدمة ، فلم تر من الذى اختطفها ولا الى أين كان يأخذها ٠ وجعل أبوها يصرخ ، وأمها تولول ، وأخوها الأصغر يبكى ، والخادم تمزق شعرها ٠٠ ولكن الصراخ لم يقابل بأى احتفال ، والولولة لم تلق اصغاء ، والدموع لم تثر أى اشفاق ، وتقطيع الشعر لم يعد بجدوى ، اذ ذهب كل هذا هباء فى تلك البقعة المقفرة المنعزلة ، وفى سكون الليل ، وفى قلوب الجاحدين ٠٠ وانطلق هؤلاء طروبين ، تاركين الآخرين فى حزن عميق !

* * *

◆ **وبلغ** « رودولفو » داره دون عناء ، بينما عاد أهل « ليوكاديا » الى بيتهم محطمين ، قانطين ، محسورين ، وقد أظلمت أبصارهم ٠٠ فقد كانت عينا ابنتهم ضياء عيونهم !٠٠ وغشيتهم الوحشة اذ كانت « ليوكاديا » أرق وأنسب أنيس لهم ! ٠ ٠

**واستبدت بهم الحيرة ، فلم يدروا هل يخطرون السلطات بسوء**

**طالعهم ، أو أنهم بذلك يروجون فضيحتهم ! ٠٠ كانوا ـ ككل الشرفاء من عامة الشعب ـ فى حاجة الى العون ، ولكن ٠٠ ضد من يوجهون شكاتهم ، اللهم الا الحظ التعس ؟ !**

وكان « رودولفو » فى تلك الأثناء قد تسلل بليوكاديا الى داخل داره ، ثم الى غرفته الخاصة ٠ وكان قد عصب عينيها بمنديل كى لا ترى الطرق التى حملها خلالها الى الدار والغرفة ! ٠٠ ولم يرهما أحد ، اذ كان للشاب الارعن جناح خاص فى دار أبيه ـ الذى كان على قيد الحياة ـ كما كان يحتفظ بمفتاح مخدعه والجناح كله ، وهو تهاون ما ينبغى للآباء الذين يرعون أبناءهم أن يرتكبوه !

**وقبل أن تسترد « ليوكاديا » وعيها ، كان « رودولفو » قد قضى منها وطره ! فان شهوات الشباب الجامحة نادرا ما تحفل ـ بل انها لا تحفل مطلقا ـ بمراعاة أية مناسبة أو أى ظرف ٠٠ بل ان المناسبات والظروف تذكيها !٠٠ كان العمى قد أصاب بصيرته ، فسطا فى ظلمات الطيش على أغلى جوهرة لدى الفتاة ٠**

ولما كانت آثام الشهوة لا تدوم عادة الا ريثما يتم ارضاؤها ، فان « رودولفو » لم يعد يفكر بعد فعلته الا فى التخلص من « ليوكاديا » ، فخطر له أن يلقى بها فى الطريق وهى فاقدة الوعى ٠٠ وأوشك أن يخرج بالتفكير الى حيز العمل ، لولا أن انتبه الى أنها بدأت تعود الى رشدها ، وراحت تقول : « أين أنا ؟ ٠٠ واحسرتاه ! ٠٠ ما هذه الظلمة ، وما هذه الأشباح التى تحيط بى ؟ ٠٠ أفأنا فى نعيم براءتى أم أنا فى جحيم ذنوبى ؟ ٠٠ يد من هذه التى فوق جسدى ؟ ٠٠ اننى فى فراشى ، أعانى ألما ٠٠ أفتسمعيننى يا أماه ، وهل تسمعنى يا أبت العزيز ؟ ٠٠ اننى لأدرك ـ والهفتاه ! ـ ان أبوى لا يسمعاننى ، وان أيدى أعدائى هى التى تعلو جسدى ! ٠٠
**الا ليت هذه الظلمة تدوم أبدا ، فلا ترى عيناى نور النهار مرة أخرى ، ويصبح هذا المكان ـ أيا كان موقعه ـ قبر عارى ، فان العار**

**المجهول خير من الشرف الذى تلوكه ألسنة الناس ! ٠٠**
اننى لأذكر - وليتنى أنسى - أن قد كنت منذبرهة مع والدى، وأذكر أننى كنت مطمعا ، ومن ثم أخال ، بل أرى أن ليس من الخير أن يرانى الناس ٠ أواه ! ألا اسمعنى يامن قد تكون معى هنا »

ولمحت اذ ذاك « رودولفو » ، فاستطردت تقول : « اذا كانت أية ضراعة تمس نفسك ، فانى أضرع اليك بعد أن جردتنى من حسن سمعتى ، وسلبتنى حياتى كلها : ألا انتزع هذه الحياة فورا ، اذ لاقيمة لها بغير الشرف ! ان الأحقاد المترتبة على ما استخدمت من قسوة فى النيل منى ، خليقة بأن تتبدد ازاء الرحمة التى تبديها اذا ما قتلتنى ٠٠ وهكذا تثبت أنك قاس ورحيم فى آن واحد ! »

وارتبك « رودولفو » وبهت وهو يسمع هذه الأشجان٠٠ولما لم تكن له تجربة بمثل هذه الأمور ، فقد ارتج عليه ٠ ودهشت « ليوكاديا » من ناحيتها لصمته ، فمدت يدها لتتبين أطيفا كان أو خيالا ، ولكن يدها مست جسدا آدميا ٠ ثم تذكرت العنف الذى انتزعت به من جوار والديها ، ففطنت الى مدى تعاستها ، ومن ثم عادت تردد ضراعاتها خلال الشهقات والتنهدات : « أيها الشاب الجرىء : اننى لأحكم من أفعالك بأنك صغير السن ٠ وانى لأغفر لك ما فعلت بى لو انك وعدتنى وأقسمت أن تستر ذنبك بصمت أبدى ، كما ارتكبته فى ظلام خاف ، فلا تفض الى أحد بنبأه ! ٠٠ انه لتعويض ضئيل عن أذى عظيم، ولكنه أقصى ما أنشد وأعظم ما تستطيع أنت أن تهب !٠٠تذكر أننى لم أر وجهك ، ولست راغبة فى رؤيته ، اذ يكفينى أن أذكر الأذى دون أن أذكر المؤذى ، أو أن أحمل فى ذاكرتى صورة ذاك الذى سبب لى العذاب ! **لسوف أكتم نحيبى بين السماء ونفسى فلا تعلم به الدنيا ، لأنها لا تحكم على الأمور بحقائقها ، وانما تقضى فيها بما يخطر على بالها ! ٠٠ لست أدرى كيف أنبئك**

**بهذه الأمور ، فمثل هذه الحقائق نتاج التجربة والسنين عادة ، فى حين أن سنى عمرى لا تتجاوز السبع عشرة ! ٠٠** ان هذا يحملنى على الاعتقاد بأن العذاب يعقل لسان ضحيته ويطلقه فى آن واحد ، اذ يوحى للضحية أحيانا بالمغالاة فى تقدير آلامها حتى يرسخ فى نفسها الايمان بفداحة هذه الآلام ٠٠ ويوحى اليها فى أحيان أخرى بأن تضم عليها حنايا صدرها ٠٠ وفى الحالين ، أرى أن بوسعى - سواء أطلقت لسانى أو آثرت الصمت - أن أثير اشفاقك عسى أن تصدقنى أو تساعدنى ، فان عدم تصديقك اياى معناه التجاهل ، وعدم مساعدتك اياى يجعل كل علاج مستحيلا ٠ ولست أريد أن أفقد الأمل ، لأنك لن تتجشم كثير عناء فى أن تحيى أملى ٠ وهذا كل ما أرجوه : بما أنه لن يكون لك أن تتوقع أو ترجو أن يهدىء الزمن من سخطى العادل عليك ، وبما أن اشتهاءك اياى قد خمد الآن ، فأسلمنى الى الطريق ، والقنى بجانب الكاتدرائية على الأقل ، فمن هناك أستطيع أن أعرف سبيلى الى البيت ٠٠ وعليك أيضا أن تقسم أن لا تتبعنى ، وأن لا تحاول معرفة مسكنى ، وأن لا تسأل عن اسم أسرتى أو اسمى أو أسماء أقاربى ، فلو انهم أوتوا من الثراء قدر ما أوتوا من الأصل والحسب ، لما حاق بهم ماسوف يصيبهم بسببى من أسى ٠ اقسم على هذا ٠ واذا كنت تخشى أن أعرفك بصوتك فاعلم أننى ما تكلمت فى حياتى الى رجل - عدا أبى والقس الذى أعترف أمامه - ولا سمعت رجلا يتحدث عن قرب حتى أجيد تمييز الأصوات »

* * *

◆ **وكان** جواب « رودولفو » عن هذه الابتهالات البليغة ، أن عاد يجثم على « ليوكاديا » المهيضة الجناح ، وكأنه يرغب فى أن يؤكد متعته وخزيها ! ٠٠ فلما رأت الفتاة ذلك ، أخذت تدافع عن نفسها بقوة ما كانت ترتقب من فتاة فى طراوتها ، مستخدمة

قدميها ويديها وأسنانها ولسانها ، قائلة : « **ضع نصب عينيك أيها الغادر العديم القلب ، أن ما اغتصبته منى انما يشبه ثمارا انتزعتها من شجرة أو جذع هامد ، لا يكون لتغلبك عليه من أثر سوى الشعور بالخسة والدناءة ! ٠٠ أما ما تحاول الآن فعله ، فلن تحققه الا بموتى ٠ لقد سطوت على وأنا فاقدةالوعى وأفسدتنى ، أما الآن ، وبعد أن ارتدت لى قوتى ، فلن تتغلب على ما لم تقتلنى !** » ٠٠ وكان استبسال « ليوكاديا » ومقاومتها من الشدة بحيث وهنت قوى « رودولفو » وشهوته ، وتسلل الى نفسه وازع ان لم يكن قد حمله على الندم فانه بعث فيه ــ على الأقل ــ رغبة واهنة فى مساعدتها !٠٠ ومن ثم ترك « ليوكاديا » فى فراشه وداره ، بعد أن أحكم اغلاق باب المخدع، وخرج فاتر الشعور،مكدود القوى ، ينشد أصدقاءه ليستشيرهم فيما ينبغى أن يفعل ٠ ولما تحققت « ليوكاديا » من أنها وحيدة حبيسة ، نهضت من الفراش ، وراحت تطوف بالحجرة محاولةأن تجد منفذا ، فلم تجد سوى باب محكم الرتاج ، ونافذة ما أن فتحتها حتى انساب ضوء القمر وضاحا ، فاستطاعت أن تتبين عليه ألوان الطنافس والتحف التى كانت تزين الغرفة ٠ ورأت أن السرير كان موشى بالذهب ، وقد فرش بأغلى الرياش فكأنه سرير أمير لا مجرد سيد غنى ! ٠٠ وأحصت المقاعد والمناضد ، وتأكدت من موقع الباب ٠ ومع أنها أبصرت بعدد من الصور معلقة الى الجدران ، الا أنها لم تستطع أن تتبين موضوعاتها ٠ **وكانت النافذة واسعة ، ولكن فراغها كان مليئا بحديد صيغ فى شكل زخرفى ، كما كانت تطل على حديقة يحيط بها سياج مرتفع ٠٠ وهكذا تعددت العوائق فى طريق فرارها !**

وأوحى اليها حجم الحجرة ونفيس رياشها بأن صاحبها كان ذا جاه وثراء عظيمين ٠ ولمحت على مكتب ــ بالقرب من النافذة ــ صليبا فضيا صغيرا ، فالتقطته وأخفته فى كم ثوبها ، لا عن ايمان أو رغبة فى السرقة ، وانما لغرض حكيم ٠ فلما فعلت ذلك ،

أغلقت النافذة كما كانت من قبل ، وعادت الى السرير ، تنتظر النهاية التى قد يسوقها النحس بعد تلك البداية الشريرة ! ..
وما ان انقضى نصف ساعة ـ على ما قدرت ـ حتى سمعت باب الحجرة يفتح ، واقترب منها شخص ما ، فعصب عينيها ـ دون أن ينبس ببنت شفة ـ وأمسك بذراعها فقادها الى خارج الحجرة ، ثم سمعت الباب يغلق ثانية . وكان ذلك الشخص هو «رودولفو» ، الذى عدل عن رأيه بعد أن خرج ليبحث عن رفاقه .. فقد لاح له أنه ليس من اللائق به أن يشهدهم على ما جرى للفتاة .. بل انه قرر ـ على العكس ـ أن ينبئهم بأنه تركها فى الطريق ، اذ شعر بالخجل مما فعله ، وتأثر بدموعها ! وتحقيقا لهذا القرار ، أسرع عائدا ليقود « ليوكاديا » الى الكاتدرائية ويتركها هناك ـ كما سألته ـ قبل أن يبزغ الفجر ، ويؤدى ضوء النهار الى تعذر ذلك ، فيضطر الى أن يستبقيها فى مخدعه الى الليلة التالية .. وهى فترة قد تتيح لها أن تتعرف عليه ! **ومن ثم قادها الى ميدان ( ايونتا مييتو ) المعروف ، وأنبأها بصوت متخافت فى خزى ، وبلغة جمعت بين البرتغالية والاسبانية ، ان لها أن تذهب الى أهلها دون خوف ، اذ أن أحدا لن يتعقبها .. وقبل أن ترفع المنديل الذى كانت عيناها معصوبتين به ، كان قد اختفى**



ولما صارت «ليوكاديا» وحيدة ، أكملت نزع العصابة ، وتعرفت على المكان الذى كانت تقف فيه ، وتلفتت حولها فاطمأنت الى عدم وجود أحد . على أنها راحت تقف بعد كل خطوة اتخذتها نحو دارها ، خشية أن يكون ثمة من يقفو خطاها

على مسافة منها • ولم يكن بيتها بعيدا ، ولكنها عمدت الى دخول دار كان بابها مفتوحا ، لتضلل من قد يكون في أثرها ، ثم عادت بعد هنيهة الى الخروج ، وتابعت سيرها الى دارها ، حيث وجدت أبويها وقد أوشكا أن يفقدا عقليهما •• وكانا لا يزالان في ثيابهما ، فما أن رأياها حتى هرعا نحوها بأذرع مبسوطة ، واحتضناها بعيون هامية الدمع • وانتحت بهما « ليوكاديا » جانبا – وهى وجلة ترتجف – وأفضت لهما فى كلمات موجزة بما تعرضت له من كارثة ، وما كان يحيط بها من ظروف ، وأنبأتهما بجهلها التام بشخصية منتهك عرضها وسارق شرفها ، ولكنها وصفت لهما كل ما شهدته فى الغرفة التى كانت مسرح مأساتها : النافذة ، والقضبان الحديدية التى كانت تملأ فراغها ، والمناضد ، والسرير ، والستائر ، والحديقة •• ثم أرتهما الصليب الذى حملته معها • فما أن رأيا التمثال المقدس عليه ، حتى عادت دموعهما مدرارة ، وراحا ينعيان حظهم جميعا ، ويبتهلان الى الله كى ينتقم وينزل عقابه القدسى بالآثم • **وأضافت الفتاة أنها وان لم تك راغبة فى أن تعرف شيئا عن ظالمها ، الا أن بوسع أبويها ، ان رأيا الخير فى الاهتداء الى شخصيته ، أن يتوسلا الى ذلك بالصليب ، فيدعوان قساوسة الكنائس جميعا الى أن ينادوا من فوق منابرهم ان من فقد صليبا فليسأل عنه قس كنيسته • واذا ما أتيح لهما أن يعرفا صاحب الصليب – بهذه الطريقة – أمكن الاهتداء الى أسرته وداره !**

وقال أبوها معقبا : « قد يكون ما قلته مجديا يا ابنتى ، اذا لم يحدس أولئك الخبثاء ما وراء النداء ، اذ لابد أن صاحب الصليب سيفتقده اليوم – بل الساعة – ويفطن الى غيابه عن الحجرة التى وصفتها ، فيوقن أن الفتاة التى كانت بالحجرة هى التى أخذته • واذا ما نمى اليه أن الصليب فى حوزة أحد القساوسة ، فقد يستغل ذلك فى السعى الى معرفة الشخص الذى عهد به الى القس ، بدلا من أن يكشف له عن شخصية

صاحبه ! •• **والذى يحسن بك يا ابنتى هوأن تستبقى الصليب، وأن تدعى أمرك لله •• واذا كان قد قدر لهذا الصليب أن يشهد عارك ، فانه قد يساعد على أن ينتصف لك ! •• واعلمى يا ابنتى أن درهما من الفضيحة أمام الملأ يفوق فى الوطأة قنطارا من الأسى المكتوم !** •• وما دمت فى حياتك العامة قد راعيت الشرف والأمانة فيما بينك وبين الله ، فلا تأسى اذا كنت قد جللت بالعار دون أن يشهد ذلك أحد سواك •• فان العار الحقيقى فى الاثم والخطيئة ، والشرف الحقيقى فى التشبث بالفضيلة • واغضاب الله لا يكون الا باللسان ، والنية ، والعمل •• أما وأنت لم تغضبيه بكلام ، أو تفكير ، أو عمل ، فاعتبرى نفسك شريفة ، كما سوف أعتبرك أنا •• فلن انظر اليك الا كما تتوقعين أن ينظر اليك أب صادق ، محب ، موقن من طهرك »

وبهذه الكلمات الحكيمة سرى الأب عن ابنته ، كما احتضنتها أمها من جديد ، وراحت تبذل قصارى وسعها فى تعزيتها ، فلم يزد ذلك « ليوكاديا » الا بكاء وندبا لحظها •• ولم يكن فى وسعها الا أن تخفى وجهها ـ كما يعبرون فى القول السائر ـ وان تعيش فى حمى والديها ، فى جو من التقوى والفقر !

* * *

◆ **أما** « رودولفو » ، فما أن عاد الى بيته حتى فطن الى اختفاء الصليب ، فأدرك من الذى أخذه • ولكنه لم يحفل كثيرا ، اذ كان غنيا ، كما أنه لم يذكر عنه شيئا ، ولا سأله عنه والده ، عندما أملى على احدى وصيفات أمه بيانا بكل شىء فى غرفته ، وهو يتهيأ للسفر بعد ثلاثة أيام من الحادث • فقد كان يفكر منذ أيام عديدة فى الرحيل الى ايطاليا ، وكان أبوه يستحثه على ذلك الرحيل ، قائلا له ان السيد الذى لايرى من الدنيا سوى بلاده لا يعتبر سيدا كاملا ، ومن ثم فخليق به أن يسافر الى الخارج •• ونزولا على هذا النصح ، ولأسباب أخرى ، انصاع

« رودولفو » لرغبة أبيه الذى أمده بخطابات يستطيع أن يحصل بها على مبالغ ضخمة من المال فى برشلونة ، وجنوا ، وروما ، ونابولى . ورحل الشاب لفوره مع اثنين من أصدقائه ، وقد استثاره ما سمعه من الجنود عن فنادق ايطاليا وفرنسا الحافلة بأطيب المأكولات والمشروبات ، وعن الحرية التى يستمتع بها أبناء اسبانيا هناك .. ثم غادر بلاده وقد فارقته كل ذكرى لما فعله بليوكاديا ، وكأن شيئا ما لم يحدث !

وأخذت الفتاة تقضى أيامها فى دار أبيها ، منطوية على نفسها ما وسعها ، متحاشية أن يراها أحد خشية أن يقرأ حظها التعس على وجهها . **وقبل أن تنقضى أشهر عديدة ، تبينت أنها مضطرة الى ما كانت تلزم نفسها به طواعية ، ورأت أن لابد لها من أن تعيش فى عزلة وخفاء ، اذ كانت قد أضحت حاملا ! .. وكان من جراء ذلك أن عادت الدموع تفيض من عينيها ، بعد أن كانت قد أوشكت على النضوب ، وأخذت تأوهاتها وتحسراتها « تجرح » النسيم من جديد ! .. ولم تجد جهود أمها فى التسرية عنها**

ومر الوقت سريعا ، ثم حانت ساعة المخاض . وبلغ التكتم درجة جعلت الأم تقوم بدور القابلة .. ووضعت « ليوكاديا » طفلا من أجمل ما ولدت الأمهات . وبنفس الكتمان الذى أحاط بالوضع ، نقل الوليد الى قرية ظل بها حتى بلغ الرابعة من عمره ، واذ ذاك استرده جده الى الدار – زاعما أنه ابن أخت له ! – حيث نشأ نشأة فاضلة ، وان لم تكن مترفة . وكان الطفل ، الذى أطلق عليه اسم « لويس » تيمنا بجده ، أبيض الوجه جميله ، نحيل الجسم ، سريع البديهة ، تنم كل تصرفاته – رغم صغر سنه – عن انتمائه لأب من علية القوم ! ولقد استطاع بذكائه وجماله ومسلكه أن يكتسب فى قلبى جديه مكانة جعلتهما يعتبران نكبة ابنتهما نعمة ، اذ أتاحت لهما حفيدا كهذا . وكان اذا خرج الى الشارع تبعته الدعوات والبركات : **فمن الناس من كان يبارك جماله ، ومنهم من كان يمجد الأم التى ولدته .. وهناك**

**من كان يدعو للأب الذى أنجبه ، وغيرهم يطرى القـوم الذين عنوا بتربيته !** ٠٠ وفى غمرة هذا الاعجاب الذى أحاط بالطفل من كل من عرفوه ، راح ينمو حتى بلغ السابعة من عمره ، وقد أتقن اللاتينية والاسبانية ، وعرف الكتابة بخط جميل ٠ فقد رأى جداه أن ينشئاه عالما فاضلا ، ما داما قاصرين عن أن يكسباه ثراء ٠٠ **فان الحكمة والفضيلة كنزان لا ينال منهما اللصوص ولا ما يسمونه الحظ !**

* * *

◆ **وحدث** يوما أن أرسلت الجدة حفيدها فى مهمة لدى احدى قريباتها ٠ وساقته المصادفة الى أن يسلك طريقا أقيم فيه سباق للخيل ، فوقف يتفرج ٠ ثم شاء أن يعدل من موقفه ، فاجتـاز عرض الطريق فى لحظة كان من المستحيل عليه فيها أن يتفادى جوادا عجز صاحبه عن ايقافه ٠٠ وداس الجواد الصبى وتركه شبه ميت ، والدم يتدفق من رأسه ٠ وما أن وقع الحادث ، حتى قفز سيد مسن – كان يشهد السباق – عن جواده فى خفـــة لا يصدقها العقل ، وهرع الى الصبى وانتزعه من ذراعى شخص كان قد خف اليه ٠٠ وأسرع الخطى بالصبى نحو داره ، غـير حافل بشيبه ولا بمكانته ، آمرا خدمه بأن لا يصحبـوه ، وأن ينطلقوا فى طلب طبيب ٠ وتبعه عدد من السـادة وهم يرثون لحظ الصبى الجميل ، اذ تناقلت الألسن أن الجريح لم يكن سوى « لويزيكو » – تدليل لويس – ابن أخت أحد السادة ٠٠ وذكروا هنا اسم جد الصبى على أنه خاله

وانتشر النبأ من لسان الى لسان ، حتى بلغ مسامع الجدين ، والأم البائسة ، فما ان علموا بالحقيقة حتى انطلقوا يجرون كمن مسهم خبل ٠ ولما كان السيد الذى حمل الصبى الى داره معروفا ، رفيع المكانة ، فانهم سرعان ما اهتـدوا الى الدار ، فوصلوا اليها بينما كان الطبيب يحنى بالصبى ٠ وأخـذ رب الدار وربتها يرجوان اولئك الذين ادركا انهم أهـل الصبى

بأن لا يبكوا وان لا يرفعوا أصواتهم بالعويل ، لان هـذا لن يجدى الصبى نفعا • وكان الطبيب نطاسيا ، فلما فرغ من تضميد الجراح فى عناية فائقة ومهارة ، قال ان هذه الجراح لم تكن بالخطورة التى خالها فى البـداية • وكان « لويس » قد استرد وعيه ـ أثناء العلاج ـ فغشيته طمأنينة بالغة حين رأى من كان يظنهما خاله وزوجة خاله ، اللذين سألاه ـ والدموع فى مآقيهما ـ عن حاله ، فقال أنه بخـير ، وان كان يحس أوجاعا بجسمه ورأسـه • واذ ذاك أمر الطبيب بالكف عن مجاذبة الجريح الكلام ، وتركه ليستريح ، فاستجاب له الجميع • وتحول الجد يشكر سيد الدار ، الذى اهتم بحفيده ، فأجاب السيد بأن ليس ثمة ما يشـكر عليه ، وانه حين رأى الصبى بين سنابك الجواد ، خيل اليه انه يرى ابنه الذى كان يحبـه ويشغف به ، ومن ثم لم يتمالك نفسه فحمله بين ذراعيه الى داره ، حيث كان ينبغى أن يمكث الى أن يستكمل شـفاءه ، وحيث لن يدعه يحتاج الى شىء • ورددت ربة الدار ـ وكانت سـيدة نبيلة ـ كلمات زوجها ، وزادت فى وعودها برعاية الصغير

وتأثر الجدان بهـذا المسلك الانسانى ، ولـكن أم الصبى كانت أكثر منهما تأثرا •• **فما أن طمأنتها كلمات الطبيب ، حتى راحت تجيل البصر فى الغرفة التى نقل اليها ابنها ، واذا بها تعرفها ، وتستوثق من كثير من أوصافها •• كانت عـين الغرفة التى شـهدت نهـاية عفافها ، وبداية نحسها ! ••** ومع أن الستائر الحريرية لم تكن هناك ـ كما كانت فى تلك الليلة ـ الا أن القضـبان الحديدية التى كانت تسـد فراغ النافذة المطلة على الحديقة كانت باقية •• ولم يساورها أتفه شك فى أن السرير الذى رقد عليه ابنهـا ، كان عين ذاك الذى استشهد عليه عرضها ! بل ان المكتب الذى انتزعت الصليب من فوقه كان جاثما فى عين مكانه الأول • وأخيرا ، تأكدت

من صدق هواجسها ، حعين تذكرت عـدد درجات السلم التى أحصتها خلسة حين اقتيدت معصوبة العينين الى خارج الدار •• فلما انصرفت بعد ان اطمأنت على ابنها ، عدت الدرجات ، فاذا هو نفس العـدد الذى كانت تذكره • وبعـد تفكير ومقارنات ، اقتنعت تمام الاقتناع بأن حدسها قد أصـاب ، وأسرت الى أمها بما ساورها ، فتحـرت الأم فى الخفاء حتى علمت أن ذاك الشاب ـ « رودولفو » ـ الذى تحدثنـا عنه من قبل ، كان ابن السيد •• وبتحريات بسيطة استطاعت أن تعرف أنه كان متغيبا فى ايطاليا منذ سبع سنوات !

* * *

◆ **وأنبأت** زوجها بكل هذا ، فتشاور معها ومع ابنتهما ، وقرروا فيما بينهم أن ينتظروا ليروا ماســوف يفعله الله بالصبى الجريح •• وما لبث الصبى أن تجاوز الخطر بعـد خمسة عشر يوما ، ثم غادر الفراش بعد ثلاثين يوما • وكانت أمه وجدته تترددان عليه طيلة هذه المدة ، كما كان صـاحبا الدار يدللانه وكأنه ابنهما !•• وفى احدى المناسبات ، قالت دونا استيفانيا ـ فهكذا كانت ربة البيت تدعى ـ خلال حديث لها مع ليوكاديا ، ان الصبى كان شديد الشبه بابن لها فى ايطاليا ، حتى انهـا لم تكن تتمالك أن تخال أن ذاك الابن معها ، كلما نظرت الى الصبى •• وشجعت هـذه الكلمات ليوكاديا ، فانتهزت فرصة جلوسها مع السيدة على حـدة ـ ذات مرة ـ وقالت أشياء كانت قد اتفقت عليها مع والديها ، وكانت تقرب فى معناها من هذا القول : « عندما سمع والداى ـ ياسيدتى ـ بأن الصبى قد جرح ، خيل اليهما أن السماء قد أعرضت عنهما ، وان الأرض قد انقلبت عليهما ، وكأنما انطفأ نور بصرهما ، وناءت عليهما السـنون •• فما كانا ليحتملان فقدان هذا القريب الذى يفوق حبهما له حب كثير

من الآباء لأبنائهم ! ·· ولكن الله حين يقدر المصاب ، يهب معه الدواء كما يقولون !·· وقد وجد الصبى شفاءه فى هذه الدار ، كما انني وجدت فيها ذكرى أشياء لن أنساها طالما ظل بين جنبى نفس يتردد !·· اننى ياسيدتى ، نبيلة المولد، لأن والدى - رغم تواضع ثروتهما - قد صانا شرفهما أينما عاشا ! »

وتولى الاعجاب والدهشة دونا استيفانيا ، وهى تنصت الى كلمات ليوكاديا ، ولا تكاد تصدق أن مثل هذا القدر من العقل والحكمة يتوفر لفتاة مثلها ·· اذ حدست انها فى حوالى العشرين من عمرها · ومن ثم راحت تصغى اليها - دون أن تقاطعها بكلمة - وهى تفيض فى وصف المؤامرة الخسيسة التى توسل بها ابن السيدة للسطو على عرضها ، وكيف اختطفها ، وحملها وهى معصوبة العينين الى تلك الغرفة التى عرفتها من معالمها · ولكى تعزز كلامها ، أخرجت من صدرها الصليب الذى كانت قد أخذته ، وقالت : « يارب ، يامن شهدت اغتصابى ، كن الآن حكما وعوضنى بما أستحق · لقد أخذت هذا الصليب من مكانه - على المكتب - كى أذكرك بما مسنى من سوء ·· لا رغبة فى انتقام ، فلست أسعى لهذا ، وانما التماسا لعزاء يقوينى على احتمال بؤسى فى صبر ! ·· ان هذا الطفل الذى أغرقته باحسانك يا سيدتى ، ليس سوى حفيدك ، وقد كانت ارادة من السماء أن يقع تحت سنابك الجواد ، ليحمل الى هذه الدار ، حتى يتاح لى أن أجد ما آمل ان أجده ·· ان لم يكن شفاء لتعسى ، فعونا على احتماله على الأقل ! »

وما ان فاهت بهذه الكلمات ، حتى وقعت مغشيا عليها بين ذراعى دونا استيفانيا ، وهى تحتضن الصليب · وكانت السيدة - ككل سيدة نبيلة النفس - مفطورة على الرحمة والاشفاق ، كما يفطر الرجال على القسوة ·· فألصقت خدها

بوجه ليوكاديا فى غشيتها ، وأغرقتها بدمع لم تعد معه ثمة حاجة الى ماء لانعاش الفتاة !٠٠ وفيما هما على هذه الحال ، وفد زوج دونا استيفانيا على الحجرة بمحض المصادفة ، ومعه « لويزيكو » ٠ فما أن أبصر بزوجته تبكى وليوكاديا خائرة القوى ، حتى بادر بالسؤال عما جرى ، بينما احتضن الطفل أمه ـ التى اعتاد أن يعتبرها ابنة خاله ـ وتطلع الى جدته لأبيه ، التى كان يقدرها كسيدة رحيمة عنيت به ، وراح يتساءل عما جرى ٠٠ فقالت دونا استيفانيا تجيب زوجها : «هناك أمور هامة يجب أن تلم بها ياسيدى ٠٠ ويمكن ايجازها فى أن هذه الفتاة التعسة بمكانة الابنة منك شرعا ، كما أن هذا الصغير حفيدك ٠٠ وقد علمت بهذه الحقيقة من الفتاة ، ويعززها وجه هذا الطفل الذى رأى كل منا فيه وجه ابننا »

فقال السيد : « مالم تزيدينى ايضاحا يازوجتى ، فلن يقدر لى أن أفقه قولك »

وفى تلك اللحظة كانت ليوكاديا قد استكملت وعيها ، فضمت الصليب ، وشرعت تبكى بدمع كماء البحر !٠٠ وألفى السيد نفسه ـ ازاء كل هذا ـ فى حيرة لم تلبث أن انقشعت عندما روت له زوجته كل ما سمعته من ليوكاديا ٠ وبفضل من السماء ، صدق السيد القصة وكأنما دعمها له شهود كثيرون ٠٠ فاحتضن ليوكاديا وأخذ يسرى عنها ، كما قبل الطفل ٠ وبادر فى اليوم ذاته الى ارسال خطاب لابنه فى ( نابولى ) ، يدعوه الى العودة لتوه ، لأنه قد دبر زواجه من امرأة يجل الكلام عن وصف حسنها ، ولا يلائمه خير منها !٠٠ وأبى أن يدع ليوكاديا وابنها يعودان الى دار أهل الفتاة ، وراح يحمد الله على ما أولاه من حظ !

* * *

٠ ووصل الخطاب الى ( نابولى ) ، فاستقل « رودولفو »

السفينة بعد يومين مع رفيقيه ـ اللذين لم يفارقاه طيلة هذه السنين ـ عائدا الى أسبانيا فى لهفة المشغوف ليرى العروس التى حدثه عنها والده ٠ وأسعفتهم الرياح ، فبلغوا (برشلونة) فى اثنى عشر يوما ، ثم قطعوا المسافة برا الى ( توليدو ) فى سبعة أيام أخر ٠٠

وما كان أبهى منظره وأروع أناقته حين دخل دار أبيه ، فكأنه مرآة تجلت عليها أحدث آيات الأناقة ، أو كأنه قالب تصاغ على نمطه الرشاقة ! ٠٠ واغتبط والداه أيما اغتباط لعودته ، ولما تبدى عليه من أمارات الصحة ٠ أما ليوكاديا ـ التى اختبأت بوحى من تدبير دونا استيفانيا ـ فقد راحت تسترق النظر اليه من مخبأها فى عجب واعجاب !٠٠ وأبدى رفيقا « رودولفو » تلهفا على العودة الى أهلهما ، ولكن دونا استيفانيا أبت ان تأخذ بأعذارهما ، اذ كان وجودهما مكملا لخطتها ٠٠

وصادف وصول رودولفو مقدم المساء ٠ وفيما كانت المائدة تعد للعشاء ، انتحت دونا استيفانيا جانبا بزميلى ابنها ـ اللذين حدست انهما كانا ولابد من الثلاثة الذين رافقوه ليلة اختطفت ليوكاديا ـ وفى ضراعة صادقة ، راحت تناشدهما أن يصارحاها بما اذا كانا يذكران أن ابنها اختطف فتاة فى ليلة عينتها ، منذ سنوات ٠٠ وعززت رجاءها بأن الأمر خطير ، لأنه يمس شرف الأسرة وهناءها ٠ ومضت تستدرجهما فى اغراء ، مؤكدة لهما انه لن يترتب على صراحتهما أى أذى ٠٠ فما لبث الشابان أن رويا لها كيف انهما فى أمسية من أمسيات الصيف ، تعرضا ـ مع رودولفو وزميل آخر ـ لفتاة أمسكوا بها عنوة ، ثم حملها رودولفو ومضى بها ، بينما ظلوا هم ممسكين بأفراد الأسرة ، الذين حاولوا انقاذ ابنتهم وسط الصياح والصراخ ٠ واردف الشابان أن رودولفو انبأهما فى اليوم التالى بأنه حمل الفتاة

الى داره ٠٠ وكان هذا جل ماعلماه !

وأوصد هذا الاعتراف الباب فى وجه كل شك راود السيدة ازاء الأمر ، ومن ثم عولت على أن تمضى فى خطتها حتى نهايتها٠ وقبيل أن يجلسوا الى العشاء ، اختلت برودولفو فى احدى الحجرات ، ودفعت اليه بصورة ، وهى تقول : « سأفتح شهيتك للعشاء يابنى ، بأن أريك جمال زوجتك ٠٠ **فهذه صورة دقيقة لها ، وأحب أن أضيف الى ذلك انها بكمالها تعوض ماقد يكون بجمالها من نقص ٠ وانها لنبيلة ، عاقلة ، ذات موارد مناسبة ٠ ولك أن تثق من ملاءمتها لك ، ما دام أبوك قد اختارها معى لتكون زوجتك !** »

وتأمل رودولفو الصورة فى انتباه ، ثم أجاب : « اذا كان الرسامون قد أضفوا الجمال على هذا كعادتهم ، فلست أملك سوى أن أرتاب فى ان الأصل قد يكون هو الدمامة مجسمة ! ٠٠ على أن من المستحب ، بل من الأفضل أن يسمح الآباء لأبنائهم بأن يتزوجوا على هواهم ٠ فما دام الزواج رباطا لا يفكه سوى الموت ، فان من الواجب أن تكون خيوط هذا الرباط متآلفة متناسقة ٠ وقد تروق الفضيلة ، ونبل المحتد ، والعقل ، ومتاع الدنيا ، فى عينى ذاك الذى ينشدها ٠٠ أما الراغب فى الجمال ، فمن المستحيل أن يروق له هذا الوجه !٠٠ اننى رغم صغر سنى ، أدرك أن مراسم الزواج تحتم - بحكم الشرع - أن يروق كل من العروسين للآخر ، والا كان الزواج واهى الأسس ، ناقص الشروط ٠ لكم يبدو لى من المستحيل ان رؤية هذا الوجه القبيح ليل نهار ، تبعث فى نفسى السرور٠ فأستحلفك بحياتك يا أماه أن لا تدفعى الى الا بالشريكة التى أهنأ بها ، لا التى أشمئز منها ! ٠٠ وان السماء لتقر ذلك !٠٠ واذا كانت هذه السيدة نبيلة ، عاقلة ، غنية - كما تقولين - فانها لن تعدم زوجا ذا مزاج غير مزاجى ٠ ان من الرجال من يتطلع الى الجاه ، ومنهم من يؤثر العقل ، كما أن منهم من

يطمع فى المال ، ومنهم من ينشد الجمال .. وأنا من الفريق الأخير . وأحمد الله الذى أورثنى عن أبوى النبل والجاه . أما فيما يتعلق بالعقل ، فما دامت المرأة غير حمقاء ولا غبية ، فاننى أكتفى منها بأن لا تكون ذات ذكاء يجذب اليها الأنظار، ولا ذات غباء يجعلها غير نافعة . أما عن المال ، فان أبوى كفيلان بتأمينى من التردى فى الفقر . **ومن ثم لايبقى لى ما أنشده سوى الجمال .. ولست أرجو معه صداقا سوى العفة وحسن الخلق . فاذا توفر ذلك فى الزوجة التى أنالها ، توفرت بدورى على ارضاء الله ، وأتحت لوالدى الهناء فى شيخوختهما ! »**

* * *

• **واغتبطت** أم رودولفو فى قرارة نفسها لكلامه .. فقد شعرت بأن خطتها تسير قدما نحو النجاح . على أنها لم توح لابنها بشىء ، وانما وعدته بأن تسعى الى أن يكون زواجه وفقا لما يشتهى ، وسألته أن لا يشغل باله بالأمر ، لأن من الميسور التحلل من الاجراءات التى اتخذت من أجل زواجه من صاحبة الصورة ، فأعرب رودولفو عن شكره لصنيعها . وما ان أعدت المائدة ، حتى جلس اليها الأب والأم ورودولفو وزميلاه . حتى اذا هموا بتناول الطعام ، هتفت دونا استيفانيا وكأنها تلوم نفسها لاهمال بدر منها :

– يا للسماء ! .. أى تصرف هذا الذى بدر منى كمضيفة!

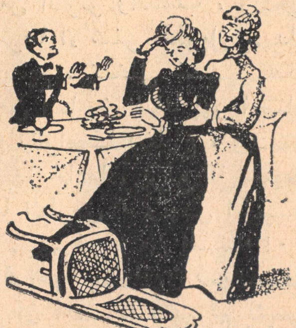
ثم التفتت الى خادم ، وقالت له : « اسرع لفورك وادع دونا ليوكاديا كى تشرف المائدة .. وقل لها ان لا داعى لخجل أو تمنع ، فان الحضور هنا أبنائى ، وهم جميعا فى خدمتها ! »

وكان كل هذا من تدبيرات الخطة التى كانت قد اطلعت عليها ليوكاديا ، فتأهبت لها الشابة . لذلك لم تمض غير برهة وجيزة حتى أقبلت ليوكاديا ، وقد حفت بجمالها الطبيعى أبهى آيات الزينة . ولما كان الفصل شتاء ، فقد ارتدت ثوبا

من المخمل الأسود الموشى بأزرار من اللؤلؤ والذهب ، والمحلى بحزام وعقد من الماس • وكان شعرها الأشقر الطويل يتهدل حول وجهها فى تناسق ، كاطار بديع ، تتخلل خصلاته الشرائط الحريرية ، وقد اكتسب من المعاجين لمعانا بهر أبصار الحضور • وتقدمت بحسنها البارع وقوامها الفارع ، وقد أمسكت بيد ابنها ، وسار الى جانبها خادمان يرفع كل منهما شمعة فى حامل فضى ، ليضيئا لها الطريق • ونهض الجميع تحية لها ، وكأنها « ملاك » هبط عليهم فجأة من السماء !•• **وأخذ الشبان بمظهرها وفتنتها ، فراحوا يحملقون فيها مأخوذين ، شاردى العقول ، حتى أن أحدا منهم لم ينبس ببنت شفة** • وانحنت ليوكاديا تحييهم فى جلال وأدب ، واذ ذاك تقدمت دونا استيفانيافتناولت يدها وأجلستها الى جوارها، فى مقعد مقابل لمقعد رودولفو ، بينما جلس الصبى الى جوار جده ••

وقال رودولفو لنفسه ـ وهو لا يقوى على أن يحول بصره عن جمال ليوكاديا الفذ : « **لو كان لتلك التى اختارتها أمى زوجة لى نصف هذا الجمال ، لأيقنت أننى أسعد رجل فى الدنيا • يا اله السماوات ! ما هذا الذى أراه أمامى ؟ ما هذا بشر ، ان هو الا ملك كريم !** »

وهكذا تسللت صورة ليوكاديا خلال بصره فاستولت على قلبه ، بينما كانت الفتاة ترمقه عن كثب خلال العشاء ، وتشعر بأن حبه يتغلغل فى أعماقها ، ويغدو بمثابة الضوء الذى يبدد كآبة حياتها ! •• وفيما كانت تختلس النظرات اليه ، راحت تستعيد ذكرى ما جرى لها على يديه ، واذا الآمال التى بثتها أمه فى نفسها تفقد رواءها ، اذ غشيها الخوف من أن يتغلب سوء طالعها على تلك الآمال ! •• وفطنت الى أنها تقف على الحد الفاصل فى حياتها : فاما الى هناء ، واما الى شقاء يلازمها بقية العمر • واشتد اضطراب عواطفها وتشتت أفكارها ،



وشرع قلبها يدق فى عنف وسرعة، فبدأ العرق يتفصد منها ٠ وأسلمتها هذه الحال فى النهاية الى دوار جعلها ترتمى فى أحضان دونا استيفانيا التى بسطت ذراعيها حين شهدت حالها ٠٠

وقفز الجميع عن أماكنهم ليخفوا الى مساعدتها ، ولكن رودولفو كان أكثرهم جزعا ٠ وقد تعثر مرتين فى اسراعه ليكون الى جوارها ٠ وأخذت ربة الدار تفك صدر ثوب ليوكاديا وتمسح وجهها بالماء ، ولكن جهود القوم لرد وعيها اليها ذهبت سدى ٠٠ بل ان حال الشابة ازدادت سوءا ، اذ ما لبث وجيب قلبها أن ضعف وتضاءل ، فبدت مشرفة على الموت !٠٠ وأخذت الخادمات يولولن ، والخدم يبكون ، ظنا منهم أنها كانت تحتضر ٠ وتناهى العويل والبكاء الى آذان والدى ليوكاديا - وكانت دونا استيفانيا قد دعتهما وسألتهما أن يختبئا فى احدى الحجرات ، ليكونا على مقربة عندما تتحقق النهاية السعيدة لخطتها ! - فأسرعا ، كما أسرع قس ، كان هو الآخر فى الانتظار ، الى قاعة المائدة ، غير حافلين بما كانت دونا استيفانيا قد رسمته لهم ٠٠

واندفع القس الى جوار ليوكاديا ، ليرى ما اذا كانت تعرب عن ندمها على ما قد تكون قد أتته فى حياتها من ذنوب ، ليباركها ويستغفر لها ٠٠ ولكنه دهش ٠٠ فبدلا من أن يجد شخصا واحدا فاقد الوعى ، أبصر أمامه اثنين مسجيين ٠ فقد أغمى على رودولفو هو الآخر ، فهوى على الأرض ، واستقر رأسه على صدر ليوكاديا ٠٠ وكانت اغماءته أقسى من أن تحتملها أمه ،

التى كان أساها على ليوكاديا عظيما ، فأوشكت أن تفقد رشدها هى الأخرى ، لولا أن لمحت رودولفو يستعيد حواسه ويهم بالنهوض ، وقد أخجله ما أبداه من ضعف ! ٠٠ وكأنما قرأت أمه ما جال بفكره ، فهتفت : « **لا تخجل يا بنى مما أبديت من شعور ، بل وفر الخجل للشعور الذى لم تبده فى حينه ٠٠ فما أراني بحاجة الى أن أمضى في اخفاء كل شيء عنك ، بعد أن تطور الموقف الى غير ما كنت قد دبرت ! ٠٠ فاعلم اذن ياولدى الحبيب أن هذه السيدة التى احتضنها الآن ليست سوى زوجتك ٠٠ وما أقول الا الحق ٠٠ فهى التى وقع عليها اختيار أبيك واختيارى، وما كانت الصورة التى عرضتها عليك سوى صورة زائفة لاختبار عواطفك !** »

وعندما سمع رودولفو هذا ، استسلم لجيشان مشاعره ٠٠ وكأنما أزالت كلمة « زوجتك » كل الحواجز التى يقيمها الحياء ، وكرامة الوسط المحيط به ، فأسرع الى ليوكاديا وانحنى عليها، ثم ألصق فمه بفمها وكأنه يقطع الطريق على روحها كى لاتفارق جسدها ! ٠٠ وعندما غدت دموع القوم بحارا ، واشتد ارتفاع نحيبهم ، وأوشك والدا ليوكاديا أن يجردا رأسيهما من الشعيرات الباقية – فى عنفوان لوعتهما – وارتفعت صرخات الصبى الى عنان السماء ، ثابت ليوكاديا الى وعيها ، فارتد الى القوم ماهجر صدورهم من فرح واغتباط ٠ وعندما فطنت الفتاة الى أنها فى أحضان رودولفو ، راحت تحاول التملص وقد استبد بها الخجل، ولكنه هتف : « لا يا سيدتى ٠٠ ما ينبغى أن تحاولى ٠٠ فليس من الصواب أن تروغى من بين ذراعى ذاك الذى أسكنك فؤاده! »

وكأنما ردت هذه الكلمات الى ليوكاديا بقية حواسها ، واذ ذاك قررت دونا استيفانيا أن لاتمضى فى خطتها الأولى، وأن تسأل القس المبادرة الى عقد قران ابنها وليوكاديا ٠ ولبى القس الدعوة ٠٠ فقد كان الزواج اذ ذاك لا يتطلب أكثر من موافقة الطرفين ، دون أى داع لما يتخذ فى هذه الأيام من اعلان للخطبة،

واعلان لموعد عقد القران ..

ولن يستطيع أى كاتب أن يصف السرور الذى شمل جميع من كانوا حضورا ، وكيف راح والدا رودولفو يحتضنانه ويقبلانه ، وكيف راح الشاب يشكر أبويه ويحمد للسماء ما أغدقت عليه من نعم ، وما استولى على صديقى رودولفو من ذهول لهذا الزواج الذى فوجئا به على غير توقع ، ليلة وصولهما مع صديقهما .. وزاد ذهولهما حين سمعا دونا استيفانيا تروى للجميع كيف أن ليوكاديا هى نفس الفتاة التى اختطفها رودولفو ـ بمعونة الصديقين ـ ذات ليلة صيف منذ سنوات ! .. ولم يكن رودولفو أقل دهشة من زميليه ، فسأل ليوكاديا أن تقدم له دليلا يقاوم به أى ريب ، رغم تأكده من أن أبويه قد استوثقا قبله من الأمر

وقالت ليوكاديا : « **عندما أفقت الى نفسى بعد اغماءتى فى تلك الليلة ، وجدتنى بين ذراعيك يا سيدى ، وقد جردت من شرفى . أما الآن ، فاننى أعتبر كل ما مر بى قد غدا نسيا منسيا ، اذ أفقت من اغماءتى الأخيرة منذ لحظات لأجد نفسى بين ذراعيك ، وقد رد لى شرفى .. فاذا لم يكن فى هذا دليل كاف ، فدع هذا الصليب يقنعك ، فما أحسبك الا افتقدته فى الصباح التالى لمغامرتك ، وفى ظروف لم يكن فى وسع أحد سواى أن يأخذه !** »

ـ صدقت ، فأنت مليكتى وسيدة روحى ، وستظلين على مر الأعوام حبيبتى الوحيدة !

وعاد يحتضنها ، فانهالت عليهما البركات والدعوات والتمنيات !

وأعد العشاء من جديد ، واستدعى الموسيقيون للاحتفال بالمناسبة . ورأى رودولفو صورته فى وجه ابنه ، بينما أخذ الأجداد الأربعة ـ والدا رودولفو ووالدا ليوكاديا ـ يبكون لفرط الابتهاج ، ولم يبق ركن فى الدار الا وقد فاض بالسعادة ،

والغبطة ، والمرح . ومع أن الليل كان يمضى سريعا على جناحيه الأسودين ، الا أن رودولفو خاله يسير على عكازين ، لفرط تلهفه على أن يخلو الى زوجته الحبيبة ! .. وما لبثت الساعة المشتهاة أن حانت أخيرا ، اذ لابد لكل شىء من نهاية .. فلاذ الجميع بمخادعهم ، وسيطر السكون على الدار . . ولكنه لم يكن سكونا حقيقيا ! ويشهد بذلك الأبناء الكثيرون ، ذوو المحتد النبيل ، الذين خلفهم هذان الزوجان ، والذين لايزالون يعيشون فى ( توليدو ) الى اليوم ! .. وقد ظل كل من الزوجين سعيدا بصاحبه سنين طويلة ، فرحا خلالها بأبنائهما وأحفادهما ..

**كل ذلك بفضل السماء ، ونداء الدم النبيل .. الدم الذى رآه والد رودولفو مراقا على الأرض وهو يشهد سباق الخيل !**




# الطريق إلى ستالينجراد

قصة كفاح المدينة التى أنزلت الهزيمة بجيوش هتلر
الجرارة ، وغيّرت مجرى الحرب العالمية الثانية !

للكاتب الألمانى "بنو زيزر" ، الذى اشترك فى المعركة

تلخيص : ابراهيم موسى

## المدينة التى أذلت جيوش هتلر !

◆ قدم لك « كتابى » فى العدد الماضى وصفا رائعا للخيبة التى منى بها نابليون فى غزو روسيا ، اذ صمدت ( موسكو ) فى وجهه ، وكان لموقفها الهائل - الذى بعثه الى الأذهان بلاء ( بور سعيد ) المجيد - فضل الاجهاز على أسطورة « الامبراطور الذى لايقهر » !

وبعد نحو مائة وثلاثين عاما ، حاول طاغية آخر - راوده الطمع فى أن يسيطر على العالم ! - أن يغزو روسيا ، فأتاح لمدينة أخرى أن تضرب المثل فى البلاء وتكسب النصر للوطن ·· وقدر لمدينة (ستالينجراد) أن تكون بدورها صاحبة الفضل فى الاجهاز على أسطورة « الفوهرر الذى لا يقهر » ·· كما قدر لبورسعيد - بعد حوالى ١٥ سنة - أن تقضى على أسطورة « الأمبراطورية التى لا تقهر » !

وقصة « الطريق الى ستالينجراد » - التى يقدمها «كتابى» اليك فيما يلى - من تأليف جندى جامعى ، كان بين القوات التى اصطلت بنيران ( ستالينجراد ) ، فشاهد بعينيه فظائع الحرب ، وبسالة المدافعين عن أوطانهم ·· وعانى كذلك مرارة انكسار المعتدين ، وان لم يكن هو أكثر من أداة مسخرة فى يد معتد أكبر !

## أمل يخيب ·· فى أرض « الحمر » !

◆ **كانت** الأوامر تتردد فى جنبات معسكر التدريب : «خلفا در ! ·· سريعا ، سر ! ·· قف ! ·· اعتدال ! » ·· تلك كانت أولى الأوامر التى تلقيناها أثناء تدريبنا للحرب ، فى جيش كان فخورا بنفسه وقوته وانتصاراته الباهرة فى فرنسا وبولندا ! ··

**وما كان أحد ليرتاب فى أن ألمانيا النازية ستغلب الروس على أمرهم ·· أجل ، حتى أشد الناس تشاؤما ، لم يجسر على أن يشك فى أن ألمانيا ستحقق فى أراضى السوفييت ما حققته فى كثير من أراضى أوربا من نصر !**

ولكن خيبة الأمل لم تلبث أن صدمت الجميع ·· بنفس القوة

والسرعة اللتين كان النصر متوقعا بهما !٠٠ فقد وصل ـ أثناء فترة تدريبنا ـ قطار من قطارات المستشفى ، أقبل من الميدان الروسى الجديد ، وقد حمل جنودا مشوهين : بعضهم بترت أطرافهم ، وبعضهم لطخت الدماء ثيابهم ، ومنهم من أحاطت الأربطة بأجزاء من أجسامهم ، كما كان منهم من اختفوا فى الضمادات

وروى لنا جندى جريح ، غليظ الشفتين ، كل شىء ٠٠ قال ان الموقف خطير ، وان « الحمر » يستميتون فى القتال ، وان خسائرنا فادحة ٠ ومع أن قواتنا كانت تتقدم بسرعة ، الا أنها كانت تدفع عن كل خطوة ثمنا باهظا ، قد تعجز عن المضى فى دفعه يوما ما ، لا سيما وأن عدد الروس الذين كانوا يحملون السلاح كان يفوق عددنا بكثير !

## فى الطريق ٠٠ الى الموت !

• **وأصبت** خلال التدريب العنيف الخشن ، بكسر فى العظام ، ألزمنى المستشفى ستة أشهر ، فلما استكملت شفائى ، كانت الفرقة التى أتبعها قد تحركت صوب الميدان ، فلحقت بها ٠ وحظيت من الزملاء بترحيب بالغ ٠ وكان أكثرهم حفاوة بى زميل يدعى « جوينجلينج » أطلقنا عليه لقب « الشيخ » ، لأنه كان مشغوفا بالكسل والقعود عن العمل ٠ وكان أحب ما يقربه الى القلوب ، هو أنه كان لاذع النكتة ، خفيف الروح ، موفور الحكمة !

وفى المساء التالى لانضمامى الى فرقتى ، أقلنا قطار الى مدينة صغيرة ، احتشدت بالجنود الذين اتخذوا أهبتهم للسفر ٠ وما لبثنا أن سرنا فى صف طويل صوب قطار تألف من عدد لا يكاد يحصى من عربات البضائع ، خصصت المتقدمة منها لمدافع كبيرة من طراز « هاوتزر » ٠ وكانت هناك عربات لمطابخ الميدان ، وأخرى شحنت بمدافع مقاومة الطائرات ـ قطر ٢ سم ٠ ـ

وبالمدافع السريعة الطلقات المزدوجة الأنابيب ٠٠ **وقد وزعت هذه العربات على طول القطار ، بين زميلاتها التى شحنت بالجنود ، للتمكين من الدفاع عن القطار اذا أغارت عليه طائرات العدو وحلقت على انخفاض**

ولم تحن الساعة العاشرة من ذلك المساء ، حتى كان القطار قد امتلأ الى آخر شبر فيه ٠٠ فلما انتصف الليل ، شرع يتحرك صوب الميدان ، فرحنا نتساءل : « **أى ميدان ؟ ٠٠ الى أين نحن مسوقون ؟ ٠٠ ألى الساحة الشمالية ، أم الوسطى ، أم الشرقية ؟ » ٠٠ ولكننا لم نكن نعرف شيئا عن وجهتنا ٠ بل لم نكن نعلم ـ عن يقين ـ أننا فى الطريق الى الميدان الروسى!** ٠٠ ولم نعرف أننا موفدون الى هذا الميدان الا بعد أن اجتزنا بولندا ، وعبرنا الحدود السوفييتية عند (برزميسل)، وشاهدنا ـ لأول مرة ـ النكبات التى صبتها طائراتنا على تلك المنطقة التى كان الغزو النازى قد بدأ عندها ٠٠

## جنود النازى يشمئزون من « أفعال » طائراتهم !

◆ **وساد** الصمت جميع من شاطروني العربة التى كنت فيها ٠٠ وكان صمتا واجما ، ثقيل الوطأة ٠ فقد بهتنا لما وقعت عليه أبصارنا من مظاهر التخريب والفظائع ٠٠**وأذهلنا أن نرى عمرانا شيد خلال قرون ، يهدم فى دقائق معدودات !٠٠ وكان الضيق والغم يزدادان سيطرة على نفوسنا كلما أوغل بنا القطار ، وهو يشق طريقه بين الأنقاض والرمم وبقايا الدبابات٠ وبدأت الهواجس تساورنا ، وتحملنا على التساؤل : « ترى ما الذى يخبئه لنا القدر فى هذه البلاد ؟ »**

وما لبث القطار أن وقف ، وسمعنا نداء عسكريا عاليا : « لينزل الجميع ، وليصطفوا أمام عرباتهم ! » ٠٠ وكنا قد قضينا فى القطار أسبوعين ، فلم نكد نصدق أن الرحلة قد انتهت٠٠ ومع أننا كنا مسوقين ـ بمبارحتنا القطار ـ الى مصير مجهول

يحوم الموت والدمار فوقه ، الا أن النداء أنعشنا ، فأسرعنا نجمع أمتعتنا ، ونقفز الى الأرض لنصطف أمام عربات القطار ٠٠ وعرفنا أننا فى بلدة تدعى ( فينتزا ) ، كانت آخر ما تستطيع القطارات الألمانية أن تصل اليه فى الأراضى السوفييتية !

وبعد فترة راحة قصيرة ، شحن القطار بالأسرى ونزلاء معسكرات السخرة ، ثم تحرك عائدا ٠٠ واذ ذاك ، بدأنا ننشد بعض الأناشيد العسكرية القديمة ، أو نتحدث عن الله والناس !

وكانت الريح الباردة عاتية ، تهب فى عواء مخيف أصم آذاننا ٠ وما لبثنا أن اقتدنا الى القاعدة التى عينت لنا ، فوزع الرؤساء الجنود على الفصائل ٠٠ وكانوا يسألون كل جندى عما كان يعمله فى حياته المدنية ٠٠ ونصحنا زميل من المحاربين القدامى - يدعى « كوفاك » - بأن من الأجدى لنا أن نزعم الالمام بالهندسة الميكانيكية وقيادة السيارات ، حتى نضم الى احدى الوحدات الميكانيكية ، فنتجنب السير على الأقدام لمسافات شاسعة

وهكذا نقلت فى اليوم التالى الى وحدة للنقل ٠ ٠ وكان معى كوفاك ، وخمسة من الزملاء الجامعيين - بينهم « الشيخ » - وأحد عشر جنديا

## الألمان يصادرون خنازير الروس !

◆ **وعين** «الشيخ» زميلا لى فى قيادة سيارة قديمة من طراز « أوبل » ٠٠ كما أعطوا زميلين آخرين - « فرانتسل » و«بيل» - سيارة عتيقة من طراز « فورد » ، ظل الأخير نهارا بأكمله وهو يعمل فى اصلاحها ٠٠

**وكانت القوة التى ضممنا اليها بمثابة المؤخرة من فرق المهندسين ، فلم نكن معرضين لمضايقات سوى اغارات قاذفات القنابل الروسية ، التى كانت تهبط الى مسافة جد منخفضة ،**

**لتصب علينا نيران مدافعها السريعة ٠٠ وسمعنا لأول مرة عن العصابات السوفييتية التى كانت تضم اخصائيين فى اصطياد السيارات العسكرية الألمانية ٠٠ أى اصطيادنا نحن !**

وكان قائد فصيلتنا ـ الملازم « تسيبلاند» ـ شابا متواضعا، لطيفا ، لم يبد أى اعتراض على اطلاق شواربنا ، مما أغرى « الشيخ » على أن يطلق لحيته ٠٠ ولم يعد من يرانا يصدق أن معظمنا لم يكونوا قد تجاوزوا التاسعة عشرة من أعمارهم ! ٠٠ كذلك كان الطعام رائعا ، اذ كان لنا مطبخ خاص متنقل ، يتولاه طاه بارع من ( هامبورج ) ، وكنا نصادر كل شيء نراه شهيا ٠٠ ولما كان « بيل » أكولا نهما ، فقد اعتدنا أن نكل اليه أمر اكتشاف أطايب الطعام ! ٠٠ وقد اهتدى يوما الى خنزير سمين، فأسرعنا الى مصادرته ٠٠ واشتد الحنق بصاحبته ـ وكانت عجوزا شمطاء ـ فراحت تجرى وراءنا رغم شيخوختها ، وتلوح بيديها ، وتصرخ بعبارات غير مفهومة ٠٠ وأسرع « الشيخ » الى علاج الموقف بدبلوماسية رائعة ، فهدأ من ثورة العجوز ، ومنحها قطعة من « الشيكولاتة » ، ثم دعاها الى قطعة كبيرة من الخنزير ـ الذى كنا فى تلك الأثناء قد ذبحناه وشويناه ـ فلم تجد بدا من الرضى والصمت !



**وكم فى الحروب من متناقضات ؟!**

◆ **وبلغنا** مدينة (ماريوبول) الأوكرانية ، الواقعة على بحر ( ازوف ) ٠٠ ووفق «كوفاك» الى أن يمهد لنا مقاما فى بيت

جميل ، مع زوجين طاعنين فى السن . وكان البيت مريحا ، بدد عنا شيئا من وحشة الغربة ، كما أن « مضيفينا » كانا لطيفين ، وكانا يتقنان اللغة الألمانية . ورأينا على رف المدفأة صورة ابن لهما فى ثياب البحرية السوفييتية ، فذكرا لنا أنه كان أحد أبناء ثلاثة لهما ، وأن الولدين الآخرين كانا فى المشاة .. ولكن الأبوين المكتهلين لم يكونا يدريان شيئا من أنباء الأولاد الثلاثة . **وشعرنا اذ ذاك بمدى ما يتخلل الحرب من متناقضات جنونية : ألم نكن نقيم فى ضيافة والدى ثلاثة من جنود الأعداء ؟ .. ثم ، ألم يكن من المحتمل أن يأتى مصرع هؤلاء الأبناء على أيدينا نحن بالذات ، فنكون قد جازينا الوالدين على كرمهما وضيافتهما شر جزاء ؟!**

وقررنا أن نقضى سهرة ليلتنا الأولى فى السينما والحانات .. وأثار «كوفاك» غرائزنا بما راح يرويه لنا من قصص ، بينما أخذ « الشيخ » يعاكس كل فتاة صادفتنا ، دون أن يفوز بطائل !.. وفيما كنا عائدين الى الدار ، شعرنا باقتراب بعض الطائرات . وما لبثت هذه الطائرات أن ظهرت ، فاذا بها مرصعة بأضواء زرقاء وحمراء ، فهز فرانتسل رأسه وقال : « يا للغباء ! .. أيحلق طيارونا على انخفاض وكأنهم فى وقت السلم ؟ » .. وزمجر معبرا عن استهجانه . وفجأة ، صاح كوفاك مذعورا : «انها ليست طائراتنا..انها طائرات روسية!» .. ولما سخرنا منه ، مشيرين الى أضوائها ، صاح : « ان هذه الأضواء للتعمية ! »

## الشباب يتحول الى لحم وعظم ودم !

◆ **وتوالت** الأحداث بسرعة ، مؤكدة قوله .. اذ سرعان ما هبطت الطائرات الى مسافة قريبة من الأرض ، وراحت تمطر البلدة بقذائفها .. وأصيب بيت كان على مقربة منا ، فاندلعت فيه النيران .. وسقطت قنبلة على مائتى ياردة من مكمننا ،

فأحدثت فجوة واسعة فى أرض الشـارع ، وأصابت ثلاثة من جنودنا ٠٠ **وعندما خففنا اليهم ، لم نستطع التعـرف على اثنين منهم ، اذ كانت جثتاهما ممزقتين شر تمزيق ٠٠ وسادنا وجوم حزين ونحن نرى شابين كانا مفعمين بالآمل والمرح مثلنا ، فاذا بهما ـ فى لحظة واحدة ـ عجينة من لحم وعظم ودم !**

أما الجندى الثالث ، فقد بترت احدى قدميه ، وانساب الدم غزيرا من الجرح ٠٠ وأخذ المسكين يرسل أنينا يمزق القلوب ٠ وأسرع اليه كوفاك محاولا اسعافه ، ثم نقلناه الى المستشفى وقد فقد وعيه !

وتوالت الغارات فى أمواج متتابعة ، فكانت تنتزعنـا من أسرتنا فى زمهرير الليل ٠٠ لذلك ما لبث قائدنا أن أمرنا بأن نخرج السيارات من مخابئها ، ونتأهب للرحيل ٠ وسرعان ما أعددنا السيارات ، ووقفنا على كثب منهـا ٠ واذا بالطائرات تعود ٠٠ واستطعت أن أحصى منها ست عشرة قاذفة من قاذفات القنابل ، كانت كل منها تفرغ حمولتها ثم تختفى ٠ وقفزت الى حفرة قريبة ، وحذا « الشيخ » حـذوى ٠٠ وكانت الانفجارات ترج الأرض ، وتكاد تخرق أسـماعنا ٠٠ وما لبثت احـدى السيارات أن أصيبت والتهمتها النيران ، كمـا تحطمت عربة المطبخ ، ورقدت الى جوارها جثتا الموكلين بها ٠٠ وكان أحدهما هو الطاهى الذى كنا نعتز بأنه من ( هامبورج ) ! ٠ ٠ وأعددنا للاثنين حفرتين غيبناهما فيهمـا ، بينمـا تمتم « تسبيلاند » بصلاة موجزة ، وألقى كلمة تأبين تحدث فيها عن مصير الجندى ، وعن شرف الموت فى الميدان ، ونبل التضحية فى سبيل الوطن ٠٠ وكانت لهجته الجوفاء توحى بأنه يردد كلاما « روتينيا » !

## الروس يأخذون سجاير الألمان ٠٠ ويضربونهم !

◆ **وانتهت** الأيام السعيدة ، والحياة السهلة ٠٠

وأقبل المساء فى ذلك اليوم شديد البرودة ، حتى باتت قيادة

السيارات فيه متعذرة ، لا سيما وأننا كنا عاكفين على القيادة ساعات طويلة . وحدثت مناوشات بيننا وبين العصابات السوفييتية مرتين ، ولكنا خرجنا منهما سالمين، وقد أدركنا أن المسدسات الأوتوماتيكية أسهل حملا وأجدى مفعولا من البنادق فى مثل هذه المناسبات !

ومع ذلك فاننا لم نكف عن مواصلة السير الا حين تعطلت سيارة « فرانتسل » .. وذهبت مع « الشيخ » الى مزرعة قريبة، نبحث عن مأوى ، فتركنا السيارة وأسلحتنا الى جانب الطريق . ووجدنا الباب فى الناحية الأخرى من المزرعة .. ولم يكن يبدو أى أثر للحياة فى منزل المزرعة ، كما أننا لم نصادف سوى بقرة ميتة على كوم من السماد ، وقد انتفخ بطنها . وفجأة، لمحت سيدة عجوزا فى النافذة ، ما ان انتبهت الى أننى رأيتها ، حتى بادرت بالاختفاء . وحاولنا أن نلج الدار ، ولكن الأبواب كانت موصدة ، فراح « الشيخ » يدق بيده على النافذة .. وما لبث أن فتح أحد الأبواب فجأة ، وبرز منه رجلان روسيان ، تبعهما آخرون ، حتى صاروا سبعة .. وصاح أحدهم بلهجة فيها وعيد : « سجاير ! » . وأدركنا أنهم فطنوا الى أننا لم نكن نحمل أسلحتنا .. ورأيت « الشيخ » يبتسم لهم ، وكأنه لا يرتاب فى أمرهم ، ويبسط لهم يده بعلبة السجاير ، فأيقنت أنه يحاول أن يكسب الوقت ريثما يلحق بنا بعض رفاقنا ، اذ كان « فرانتسل » و « بيل » غير بعيدين ..

وامتدت يد الروسى بغتة ، فاختطفت علبة السجاير ، واذا « الشيخ » يضحك ، وكأنما بدا له الأمر مجرد دعابة ، وقال لى بالألمانية وهو ينظر الى القوم ، وكأنه يخاطبهم : « لنضربهم فجأة ، ونسرع الى السيارة ! » .. واذ ذاك انقض أحد الرجال فأمسك بمعطفى وهو يصرخ . وصاح الشيخ : « انظر ! » ، فرأيت رجلا آخر يركض صوب السيارة . وتولانى القنوط ، اذ خشيت أن يستولى على أسلحتنا . ووجه واحد من الرجال

**الباقين لكمة الى كتف الشيخ ، فترنح ، بينما هبطت على وجهى لكمة عنيفة ٠٠ ثم انهال الرجال علينا ضربا ٠ واذ ذاك تذكرت أننى كنت أحمل مسدسا فى جيبى ، فأسرعت الى اخراجه ، وضغطت الزناد أربع مرات ، فبادر الرجال الى الاختفاء ٠٠**
ولم يبق فى المسدس سوى رصاصة ، فاتجهت الى الرجل الذى كان يوشك أن يفتش سيارتنا ، واذا بى أسمع طلقات متتابعة من مدفع رشاش ، سقط على أثرها الرجل صريعا ٠٠ والتفت فرأيت فرانتسل يخف لنجدتنا

## يستجيرون من البرد ٠٠ بالقنابل !

◆ **ونقلت** فصيلتنا الى ( كريمنشوج ) ، حيث تولى قيادتنا ضابط برتبة كابتن ، استقبلنا بمحاضرة عن النظام والواجب ، مما أوحى ببداية تبشر بالأمل ! ٠٠ وفى أولى ليالينا فى ذلك الموقع الرهيب ، هبطت الحرارة عشر درجات تحت الصفر ، فأخذت أسناننا تصطك ، وراحت أجسامنا تهتز بعنف فى ارتعاد أليم ، وازرق لون شفاهنا ٠٠ وحاول كوفاك وفرانتسل أن يلتمسا الدفء بالانهماك فى الملاكمة !

٠٠ كان البرد يفرى أصابعنا ، ويزحف على أذرعنا وأرجلنا ، حتى يصل الى ظهورنا ويكاد يقتلنا ٠ وقلت لنفسى : « اذا لم أنم فى مدى ربع ساعة ، فسأخرج وأجرى طوال الليل هنا وهناك ، حتى يدفأ جسمى ! » ٠٠ وقبل أن أفرغ من عبارتى ، دوى انفجار رهيب رج المكان كله ٠٠

**وأدركت بعد لحظة اننى ما زلت على قيد الحياة ٠٠ ولكن الواجب كان يحتم على وزملائى أن نسرع بالخروج ٠ ورأيت أن المبنى الذى اتخذناه مخزنا للذخيرة قد اختفى ، وبقيت فى مكانه أنقاض بدت تحتها أرجل وأذرع تتحرك فى اختلاجات عنيفة تنم عن الالم ، وكأنها تستغيث ! ثم ظهر بعد رفع الانقاض أن القتلى والجرحى لم يكونوا عديدين ، مما أثار دهشتنا !**

وبدأنا نتساءل : « ما الذى حدث ؟ » ٠٠ وما لبثنا أن عرفنا أن الجنود الذين كانوا فى هذا المبنى رأوا سلكا فلم يرتابوا فى أمره وأهملوا شأنه ، الى أن تعثرت به قدم أحدهم ، فانفجرلغم كان مدفونا فى الأرض

وفى الصباح التالى ، أوشكنا على الموت الف مرة ومرة من شدة البرد ٠٠ وتجمد الشاى فى ( الترموس ) ٠ ٠ **ووجدنا بعد لأى مدفأة فى أحد البيوت ، فسعى « كوفاك » حتى عثر على بعض الورق دسه فيها ، وما ان هم بايقاد النار ، حتى لمح جسما غريبا فى المدفأة ٠٠ واذا بنا أمام قنبلة ! ٠٠ وبدأنا نشك فى أن تحت ـ أو خلف ـ كل شىء لغما أو قنبلة !**

وكان كل منا يبدو وكأنه دب ! فقد كنا نلبس زوجين من الثياب الداخلية ، وبنطلونين ، وصديريتين ، فضلا عن الزى العسكرى والمعطف الثقيل المصنوع من الفراء ، وقلنسوة من الصوف أو الفراء فوق الرأس ٠٠ ولكن عيوننا وأنوفنا كانت مكشوفة ٠٠ وخيل الينا أن الريح كانت تنفذ خلال ياقات المعاطف ، لتدفع بألوف من الابر فى أجسامنا !٠٠ ومع أن نوبة الحراسة لم تتجاوز ساعتين لكل جندى ، الا أنه كان يعانى خلالهما كل ألوان العذاب ٠ وبدرت من كوفاك كلمة وجدنافيها بعض العزاء ، اذ قال : « فكروا لحظة فى أولئك التعساء الذين ينامون الآن فى الخنادق ! »

## فظائع ٠٠ فى معسكرات الأسرى !

◆ **وقدر** لنا ـ بعد ذلك ـ أن نتجه شرقا ، فى سيارات كبيرة ، اذ كانت الأوامر قدصدرت لنا بالتحرك صوب معسكر الأسرى الروس ، لتسخيرهم فى عمليات الشحن والتفريغ ٠٠ وعندما بلغنا المعسكر ، وجدنا الأسرى وراء حواجز من الأسلاك الشائكة يصل ارتفاعها الى ثلاثة أمتار ٠ وعلى مسافات متقاربة، أقيمت أبراج للمراقبة ، ومدافع سريعة ، ومراكز أخرى

للمصابيح القوية ، خشية أن يفر أحد ٠٠ وكان هناك ألوف من الأسرى وقد أسكنوهم فى ثكنات بدائية ٠٠ بينما رابطت فى الطرق الرئيسية كلاب وحشية للقضاء على من تحدثه نفسه بالفرار ٠ وكان الحراس يهملون شأن الاسرى ، مما جعل جو المكان يعبق بالروائح الكريهة

ورأينا ـ فى المعسكر ـ من صنوف القسوة ألوانا : **فمن أوامر صارمة سريعة ، الى ضرب بالسياط ذات اليمين وذات اليسار ٠ وكان الأسرى يترنحون ـ من فرط العذاب ـ وكأنهم سكارى ! ٠٠ ورغم هذا البرد القارس كان عدد كبير منهم بغير معاطف ، كما كانت ثيابهم العسكرية مهلهلة ! ٠٠ ويبدو أن الحراس لم يكونوا يقدمون اليهم طعاما كافيا ٠٠ ومع أن الأوامر كانت تحرم على الجنود الألمان أن ينزلوا عن شيء من طعامهم للأسرى ، الا أننا لم نحفل بالأوامر ازاء ما شهدناه من بؤس !**

ولم أشك لحظة فى أن عدد الذين آوتهم المقابر القريبة ، كان أكبر من العدد الذى استطاع أن يصارع الموت ! ٠٠ كما كانت الكلاب الضالة ـ التى خلفها أصحابها أثناء الجلاء عن القرى القريبة ـ تؤلف جيشا راح يحوم حول المعسكر ٠٠ وكان الأسرى يتصيدونها أحيانا ، فيقتلونها ويشوون لحمها ليغالبوا الجوع به !

## الموت فى الميدان ٠٠ أرحم !

◆ **وكانت** هناك ثلاثة مخازن كبيرة على مقربة من الثكنات: أحدها للذخائر ، والثانى للمؤن ، والثالث للوقود ٠٠ ولما كان الموقع من أهم مراكز الامدادات ، فقد كانت السيارات تفدعليه وتغادره دون انقطاع !

وبعد ليال قليلة ، أوقظنا فجأة فى الليل ، وصدرت الينا الأوامر بالذهاب الى محطة السكة الحديد ، فلبينا رغم البرد القاتل ٠ وهناك ، انهمك الأسرى فى تفريغ قطار للذخيرة ٠

وكنا جميعا نعمل بسرعة وجهد ، حتى تفصد العرق من جباهنا ٠ وفجأة ، سمعنا أزيزا فى الجو ، فأسرعنا الى اطفاء الأنوار ٠٠ وحومت الطائرات المغيرة بحثا عن مكان القطار ، فلم تهتد اليه رغم ما ألقته من شعلات مضيئة ٠٠ لذلك لم تلبث الطائرات أن انصرفت يائسة ٠ ولكنها عادت بعد ساعة وألقت الشعلات ، فأضاءت المنطقة كلها ، وبتنا وكأننا فى وضح النهار ٠ ثم حدث انفجار اهتزت له الأرض ، وطارت شظايا معدنية كثيرة هنا وهناك ، وسمعت زجاج النوافذ يتهشم ويسقط مع حطام آخر فوق ظهرى ٠ وما كادت الغارة تنتهى حتى تخلصت من الحطام بصعوبة ، وخرجت الى الشارع ، فوجدت على قيد خطوات رجلا أوكرانيا فى النزع الأخير ، وقد بقرت شظية بطنه ٠ وامتدت يدا الأسير المختلجتان تحاولان أن تردا أمعاءه الى بطنه ، وكانت أنفاسه متقطعة ، والدم يخرج من فمه مختلطا بزبد ٠٠ أما عيناه فكانتا مفتوحتين الى أقصى حد، وقد راح انسان كل منهما يتدحرج من اليمين الى اليسار وكأنهما بندول ساعة !

وانهارت أعصاب فرانتسل عندما شاهد هذا الأسير المعذب ٠٠ وغشينا جميعا مثل ما اعتراه ٠٠ وقلت لنفسى : « اذا لم يكن من الموت بد ، فخير لنا أن نموت فى الميدان بدلا من أن ننتظر حتفنا هنا ـ فى كل لحظة ـ ونحن نحرس الذخيرة ! » ٠٠ ورحت أدعو الله أن يقبل الرؤساء ارسالنا الى ميدان المعركة ، ثم اجتمعنا وعرضنا الرجاء على قائدنا ٠ ولم تنقض أيام ، حتى كنا نتأهب للسفر الى جبهة القتال

## الروس لا يتخلون عن أرضهم بسهولة !

◆ **وصلنا** الى الميدان بعد جهد شديد ٠ وكان قائد فصيلتنا الجامعية ضابطا شابا يدعى « شتراوب » ، دبت الألفة بيننا وبينه ، فدعانا فى احدى الليالى الى تناول قهوة ساخنة فى كوخه ٠ وهناك ، أفضى الينا بأن بيننا وبين خطوط الروس فى

تلك المنطقة واديا عميقا يضم قرية ساكنة ٠٠ وان من يسيطر على هذه القرية يحرز كسبا ستراتيجيا هاما ٠ ومن ثم كان علينا أن نقوم بعمليات الاستطلاع لنعرف ما اذا كان الروس قد احتلوا القرية ، وما عددهم اذا كان هذا قد حدث ، وما أسلحتهم ومراكزهم ؟

وخرجنا فى صمت ومسدساتنا معنا ٠٠ وكانت القرية تحتنا ، فهبطنا اليها فى حذر ، الى أن بلغنا أول كوخ ، فوجدناه خاليا ٠ وفتشنا الثانى فوجدناه خاليا أيضا ٠ ولاحظت فيهما - وفى غيرهما بعد ذلك - أن ثمة طعاما لم يستهلك على الموائد ، مما كان يوحى بأن السكان جلوا عن القرية فجأة ، دون أن يفرغوا من تناول العشاء

**ودخلنا كوخا فوجدنا به امرأة منحنية على مائدة ، وكأنها فى غفوة ٠ فما كدنا نحاول ايقاظها ، حتى تبينا أنها ماتت برصاصة فى رأسها ٠٠ وكانت بجانبها قطعة خبز لم تنته من أكلها ، وقد لوثها الدم وتجمد عليها ، فبدا كأنه قطعة من المربى !**

واعترانا الذهول ونحن نشهد هذه الألوان من أهوال الحرب ، وسادنا الصمت ٠ واذا بالضابط يقول فى صوت خافت : « اسرعوا بالاختفاء وراء ذلك الكوخ » ٠٠ فأسرعت الى الاحتماء بحائط ، ثم ظهر «الشيخ» وأحد الزملاء عند الباب ، فصحت بهما أن يحتميا بشىء ، فانبطحا على الأرض ٠ واذا بالرصاص ينهال على موقعنا من مسدسات أوتوماتيكية ٠ وأصيب « الشيخ » وسال دمه على الثلج ، فأسرعنا بتضميد جرحه

وتبين لنا ان الروس كانوا أكثر مما توقعنا ، وأنهم كانوا يزحفون فى شكل قوس للاحاطة بنا ٠ وكان موقفنا يزداد حرجا ساعة بعد أخرى ، فتكتلنا فى مكان واحد ، وظهور بعضنا الى ظهور الآخرين ، بينما اتجهت وجوهنا نحو العدو الزاحف من كل مكان ٠٠ **وكان الروس بدورهم يراقبوننا فى صمت ، وكأنهم صقور تنتظر فريستها فى صبر ٠ ووضع فرانتسل**

**خوذته فوق عصا مدها الى الأمام ، فانهال عليهـا الرصاص من كل مكان**

وتبادل الضابط كلمات مع زميل يدعى « ساندر » وجاويش يدعى « فوجت » ، ثم اتجه الى وقال ان بعضنا سيتسلل ليلتف وراء الروس ، وان علينا أن نجتذب انتباه هـؤلاء ، بأن نطلق عليهم نيراننا ، ثم لا يلبث المتسللون أن يطلقوا النار من الخلف، فيظن الروس أننا تلقينا مددا

وبهذه الحيلة انسحب الروس ، وانسحبنا بدورنا ، وبقى تدبير المعـركة من أجل القـرية ٠٠ ولم يمر وقت يذكر ، حتى عدنا مصطحبين قوة كبيرة ، فرابطنا فى القرية ٠ ولكن الروس كانوا أحكم منا ، اذ جاءوا بدبابتين لم تؤثر فيهمـا قذائفنـا ، فتطوع « ساندر » والضابط للقيام بعملية انتحارية ، ونجحا فى الاقتراب منهمـا ونسف احداهمـا بالقنابل اليدوية ٠٠ وخسرنا « ساندر » فى هذه المعركة ٠٠

وكانت الذخيرة تعوزنا ، فاضطررنا الى الانسحاب مرة أخرى، وترك القرية للروس !

## القتل فى الحروب ٠٠ لا يتطلب أى باعث !

◆ **وكانت** عضة البرد وتجمد الأطراف من الظواهر الشائعة فى معركة روسيا ، اذ كان الدم يتجمد فى الساقين ، أو القدمين فقط ، نتيجة للوقوف فى الخنادق والثلج يغطى كل مكان ٠ ٠ ولم يكن ثمة علاج سوى بتر الأعضاء المتجمدة ، والا فانها تموت وتتعفن بينما يبقى الجسم حيا ! ٠٠ وحدث أن عـدت يوما وأنا لا أكاد أستطيع السير على قدمى ٠٠ وخلعت حـذاءى بعنـاء ، فشممت رائحـة نتنـة ٠ وأسرعت الى الطبيـب ، فأحلت الى المستشفى فى الحال ، حيث قال لى الأطباء اننى كنت حسن الحظ اذ وصلت قبل أن يستفحل الشر ويضطرون الى بتر قدمى الى الأبد !

ومكثت فى المستشفى عدة أسابيع ، الى أن عادت « الحياة » الى قدمى . ثم لحقت بالرفاق فى الخنـــادق الأمامية .. وكانت المدافع الروسية تطلق علينا وابلا من قنابلها . ثم حانت ساعة هجومنا على خنادق الروس القريبـة منا .. وصـدرت الأوامر بأن نثبت الحراب فى البنادق تأهبا للهجوم

وبعد قليل كنـــا نزحف عليهم ، حتى عثرنا عـلى خنادقهم . وقفزت على جندى كان تحتى مباشرة .. **وفى لحظة رأيت الزر الأعلى فى ثوبه العسكرى ، ورأيت حلقه ، فسددت الحربة الى هذا المكان ، ودفعتها بكل قوتى فغاصت فى عنقه !.. وسقطت على الأرض لشـدة الدفعة ، ولكن الحربة ظلت ثابتة فى عنق الجندى الذى حاول أن يكافح ، فأمسك بحزامى وتشبث به .. ولـكن رأسه ما لبث أن مال ، وســقطت خوذته ، وغطى الدم وجهه وصدره .. ثم لفظ النفس الاخير !**

وكانت لحظات رهيبة لن أنساها مدى الحياة .. فقد أصبح القتل فى هذه الحرب اللعينـة حرفة : كنا نقتـل أفرادا لم تقم بيننا وبينهم أحقاد .. وكانت هذه أول مرة أقتل فيهـا جنديا بالسـلاح الأبيض ، فأفزعتنى الجريمة .. وأفزعتنى رهبـة الموت !



## مدينة اسمها : ستالينجراد !

• **وحاصر** الجيش الألمانى (فاركوف) ـ عاصمة أوكرانيا ـ وما لبث أن استولى عليها . وكانت ثمة قوات أخرى من قواتنا تزحف صـوب ( موسـكو ) و (لينجراد) فى الشمال .. وقوات

ثالثة تزحف صوب ( القرم ) ، وصوب ( ستالينجراد ) ٠ وكان الروس يتقهقرون ويحرقون كل شئ وراءهم ، فكانت خطوطنا تطول وخطوطهم تقصر ٠ وكانوا يدربون قوات جديدة على حمل السلاح ، ويتلقون الذخيرة والأسلحة والطائرات من حلفائهم ، بينما كانت أسلحتنا وذخيرتنا تزداد نقصا كل يوم ! ٠٠ وكان القتال يشتد عنفا ، وخسائرنا فى الأرواح تزداد ، حتى ان جثث قتلانا ـ بعد احدى المعارك الرهيبة ـ تكدست فى ثلاث طبقات، بعضها فوق بعض !

وكانت النهاية تزداد اقترابا ٠٠ فقد انقلب ميزان النصر فى جانب السوفييت ، وأحاطت قواتهم بالجيش الألمانى السادس فى حوض نهر ( الدون ) ٠ ولكنه تخلص من الحصار وتوجه صوب مدينة صناعية هامة على نهر ( الفولجا ) ، تسمى ( ستالينجراد )

**٠٠ كان الهجوم على أطراف هذه المدينة فى أول الأمر مفاجئا ، فلم يكد الروس يبدون مقاومة تذكر ٠ وغنمنا مقادير كبيرة من المواد وعددا لا حصر له من الأسرى ٠٠ وقد يكون هذا ماحدث فعلا ، كما أنه قد يكون مجرد دعاية مما تذيعها النازية ٠٠ ولكننا كنا نشاهد على طول الطريق مدافع وجرارات محطمة ، ودبابات محترقة ، من عتاد الروس والألمان معا**

وتحرج الموقف بعد ذلك ، وبدأت حلقة الحصار تضيق حولنا، فتحصنا بين أنقاض ضواحى ( ستالينجراد ) ، وعلى التلال الرملية القريبة من نهر ( الفولجا ) ٠ وبدأت الامدادات الألمانية تأتى متتابعة ، فرقة بعد أخرى ، من الفرق التى كانت محاصرة فى حوض نهر (الدون ) : كانت تنتشر حولنا طوابير لا نهاية لها من المشاة والمدفعية بكافة أنواعها ، والمدافع المضادة للطائرات ، والسيارات المدرعة ، وسيارات التموين ، بينما كانت تنتشر فوقها قاذفات القنابل وطائرات القتال الألمانية لمعاونة الجيش أو حمايته ٠٠ كانت كالسيل الدافق ، ينساب

نحو ( ستالينجراد ) ! ٠٠ ولكن الروس كانوا يعبئون جيوشا جديدة قوية فى ذلك الوقت ٠ وكانت تلك القوات تظهر فجأة فى المناطق الهادئة من الميدان ، بين آن وآخر ، فتزداد بها المقاومة السوفييتية فى كل يوم قوة وعنفا

## الروس حاربوا فى الشوارع ، والبيوت ، والغرف !

◆ **وكان** الضرب المستمر يحول ( ستالينجراد ) ـ بمصانعها الحديثة ومبانيها العالية ـ الى أنقاض يوما بعد آخر ٠ وكانت خسائر الفريقين هائلة ٠٠ فعندما بدأ غزو روسيا ، كانت نسبة الخسائر تقدر بعشرة من الروس فى مقابل كل قتيل ألمانى ، ثم هبطت هذه النسبة الى خمسة ، ثم الى اثنين ٠٠ ثم ازدادت خسائرنا عن خسائرهم !

**ونجح جنودنا فى الاستيلاء على جزء كبير من (ستالينجراد)، بعد معارك وحشية فى البيوت ، وفى الغرف ، وعلى سلالم البيوت، وفى الشوارع ٠٠ واستطاعوا بذلك توسيع الحصار المضروب حولنا هنا وهناك ٠ ولكن الروس كانوا يعودون الى استرداد مواقعهم ، والزحف قليلا الى الأمام ، فكان هذا بمثابة خنق لنا ٠٠ ولكنه كان خنقا بطيئا ! ٠٠** وفشلت جهود القيادة الألمانية العليا فى فك الحصار واقامة ثمة اتصال بين جيوشنا فى ( القوقاز ) وجيوشنا فى ( الفولجا ) ٠ وجمدت خطوطنا ، فلم نعد نستطيع التقدم الى الأمام ، لأول مرة فى تاريخ الحملة الروسية ٠ ثم بدأت تلك الخطوط تتراجع وتتفكك ٠٠ وكان هذا نذيرا بنجاح الروس فى وقف الزحف الألمانى الكبير !٠٠ وكان التوتر والاعياء يزدادان تفشيا فى صفوفنا يوما بعد يوم ٠٠ فقد كانت معركة بلا نهاية ، وبلا أمل ! ٠٠ وفى هذه الأثناء قتل « الشيخ » ، واختفت فكاهاته اللاذعة وبسالته النادرة !

وفى احدى الليالى ، بدأ الفصل الذى يتجمد فيه كل شىء ٠٠

وكان هذا هو الشتاء الثانى لنا فى هذه الجبهة · وحملت الينا احدى قوافل الامدادات معاطف سميكة ، وقفازات ، وطواقى صوفية تغطى الآذان · ولكنا كنا نعانى بردا فتاكا فى الحفر والخنادق التى كنا نحتمى بها من الموت ·· وكان الجليد قد تكاثف وازداد صلابة ، فلم تعد القنابل تحدث فيه تأثيرا كبيرا ، فكأنه جرانيت !

**وكان من الوعود التى قطعتها القيادة الألمانية على نفسها ـ فى أول الحرب ـ أن يعود الى ألمانيا كل جندى خدم فى الميدان أكثر من سنة · ولكن القيادة لم تعد تجرؤ على اعادتنا الى بلادنا ، حتى لا يتبين الشعب الفرق الواضح بين حقيقة الأمر فى الميدان وبين أكاذيب الدعاية النازية ! ·· ورغم هذا كنا نجمع كل يوم محصولا جديدا من الشائعات ، لاذكاء روحنا المعنوية ! ··** ومع أننا كنا نعلم حقيقة تلك الشائعات الا أننا رحنا نتشبث بها تشبث الغريق بالقشة ! ·· وكان هناك أمل واحد ·· هو أن يصاب كل منا بجرح خطير يستدعى نقله الى المستشفيات البعيدة عن الميدان ، ثم اعادته الى الوطن ! ·· **بل ان بعضنا كان يحدث** بنفسه الاصابات ، متفاديا أن تؤدى الى عاهة أو عجز مستمر ، مما ينم عن الهول الذى كنا فيه !

## ضربة الروس الساحقة !

• **كانت** هذه حالنا عندما شن الروس هجومهم الكبير ، بين نهرى ( الدون ) و ( الفولجا ) ، فاخترقوا خطوطنا ، وما لبث أن أصبح انتقال سيارة واحدة ـ من أى جبهة الى المخازن الرئيسية فى المؤخرة ـ مغامرة خطيرة ·· فقد احتلت الوحدات الروسية كل منفذ حولنا · ثم ازداد حصارهم احكاما ، وبدأت الهجمات تحدث فى جميع ساعات اليوم لتعطيل مواصلاتنا ··

وأمرت القيادة بأن ترد قواتنا على الهجوم الروسى بهجوم آخر ، ولكنها كانت خططا تتسم بالتهور والتسرع · وراحت

القوات السوفييتية تدق «اسفينا وراء اسفين» فى خطوطنا !٠٠
ثم بدأ تقهقر الفرق الالمانية، متجهة صوب الأمل الأخير، وهوذلك الجزء الذى احتله الجيش الألمانى من ( ستالينجراد ) ٠ وقصارى القول ، أن القوات السوفييتية أحاطت بنا من كل جانب ٠ واشتدت المأساة عندما بدأ الروس يسحقون جيشنا المرابط فى ستالينجراد سحقا ، فى معركة لم يكن لألمانيا فيها رجاء !

**وأخذت النهاية تقترب سريعا ٠ وبدا لنا الموقف وكأنه خيال لا يمكن تصديقه ! اذ كيف تركت القيادة الألمانية هذا الجيش الضخم يتردى فى فخ محكم لا فكاك منه ؟ ! ٠٠ وغدت ( ستالينجراد ) أشبه بقزان ملىء بالماء المغلى ، ونحن نغرق فى جوفه !**

**وخيل الينا فى أول الأمر - نحن الذين تعودنا النصر تلو النصر ! - انها ليست كارثة ، وانما هى خطة محكمة وضعتها القيادة الألمانية ! ٠٠ وسرت الشائعات عن دبابات ضخمة جديدة قادمة الينا ، وعن هجوم ألمانى من الشمال لفك حلقة الحصار ، وعن سلاح سرى يحول جيوش الأعداء الى رماد ! ٠٠**
ولكنا فقدنا الأمل تدريجيا ، وبدأنا ندرك هول الحصار ٠ فقد كانت قوافل سياراتنا تسد الطرق دون أن تستطيع حراكا ٠ واحترقت مخازن هائلة كانت تحتوى على أطعمتنا وثيابنا ، ودمرت منشئات أقيمت بجهود جبارة !

وكانت القاذورات قد تراكمت على أجسام الجنود الألمان ، وانتشرت عليها جيوش من القمل والحشرات الأخرى ! ٠ وأخذت الدموع تتدفق من عيون كسيرة متخاذلة ٠٠ كانت دموع الهزيمة والفشل ! ٠٠ أما الذين انهارت أعصابهم ، فلم يجدوا خيرا من الموت ٠٠ واحتواهم الثلج المتساقط ، فكان لهم كفنا !٠٠ وبعد أن كانت طائراتنا تتسلل فى الليل ، لتأتينا بالمؤن ، أخذ خروجها يقل يوما بعد يوم ٠ ولكنا لم نعد نكترث لذلك ، اذ أصبحنا نقنع بحساء ساخن رقيق لا دسم فيه ،

وبضع مكعبات من لحم الخيل !

وكنا نطلق النار بطريقة آلية عندما يبدأ هجوم العدو ، **ثم** ننظر الى دباباتهم الضخمة زاحفة علينا ، فنضطر الى تغيير مواقعنا والرجوع الى الوراء متجهين الى « قزان » ستالينجراد الذى كنا نغرق فيه رويدا !

وكان رفاقنا يسقطون فى الميدان واحدا بعد الآخر ، صرعى الرصاص ، أوضحايا هذا المحيط المترامى الأطراف من الثلوج!

**« هاجمت خطوط العدو ٠٠ وحيدا ! »**

◆ **أما** وحدتى فانها نقصت الى درجة تدعو للرثاء ٠ ٠ وأصبح فرانتسل شابا محطما ، وفقد كل أمل فى أن يرى وطنه وبيته مرة أخرى ٠٠ ولكن الهدوء كان يسود ساحتنا أحيانا، فكنا نرقد فى خندقنا فى انتظار ما يحتمل أن يحدث ، واذ ذاك ، كان فرانتسل يخرج من جيبه صور أسرته ، بينما أخرج أنا صورة بلدتى ، ونتحدث طويلا ٠٠ وكانت هذه هى الفترة الوحيدة التى يبدو فيها زميلى وكأنما استيقظ من شروده ٠٠ **ثم لا نلبث أن نسمع نيران العدو تنطلق فجأة ، فنعود الى الحقيقة المرة الأليمة ، وندرك قيمة تلك الكنوز التى فقدناها : الأسرة ، والوطن ، والهدوء ، والوجبات الساخنة ، والفراش الدافىء !**

وكان فرانتسل يقف ذات يوم الى جانبى فى الخندق ، منحنيا على حافته العالية ، واذا به يسقط فجأة ، وكأنه «بالون» نفد هواؤه على حين غرة !٠٠ ونظرت والفزع يملأ قلبى ، فرأيت رصاصة قد اخترقت عينه ونفذت الى جمجمته فقتلته ٠ ولم أصدق الحقيقة المرعبة ، وأحسست بأن فى رأسى صرخة مدوية، أعلى من أية صرخة أو صوت عرفه الوجود ٠ وتراقصت أمام عينى أشباح كثيرة ، وصور للسماء والصحارى الثلجية ، وكل شىء كنت أراه فى اليقظة ٠٠ **وأمسكت بمدفعى الرشاش ،**

**وغادرت الخندق متجها صوب المكان الذى أتت منه تلك الرصاصة المشئومة ٠٠ وكان النهار فى بدايته ، والضباب يغطى المكان ، فرأيت الخطوط الخارجية لجنود العدو ٠ وفتحت مدفعي وحصدتهم حصدا ٠٠ ثم ظللت أجرى وأجرى ، مطلقا النار دون انقطاع ، حتى أصابني شيء ـ يشبه الآلة الحادة ـ فى ذراعى ٠** ولم أحس بشيء بعد ذلك !

ومضت فترة طويلة كأنها عمر كامل ٠٠ ثم فطنت الى صوت يستحثنى على الاسراع فى النهوض ٠ وركبت سيارتى وكأنى فى حلم ٠٠ وكانت احدى سيارات نقل الجرحى ٠ وشعرت بأن ثقلا شديدا يتدلى من كتفى ، فنظرت واذا بهذا الثقل هو ذراعي الجريحة وقد تورمت وعجزت عن الحركة ٠ وكان النصف الأيمن من معطفى بنى اللون ، وقد جمد الدم عليه ٠ ولكن ٠٠ حتى هذا بدا لى وكأنه مشهد فى حلم ، وليس حقيقة واقعة أليمة ٠ وكل ما أذكره بعد ذلك هما يدان خشنتان تضمدان ذراعى ، وتحقناننى بمصل ما ٠٠ ثم رأيت مركز الاسعاف ، وفيه مصابيح كهربائية خافتة ٠٠ وأذكر الآن رائحة الاثير والعرق ٠٠ وصوت مولد كهربائي يدور على بعد ، بين صيحات الألم واللعنات والتأوهات ، وصراخ رجال تبتر أرجلهم ، أو احترقت وجوههم ، أو خرجت أمعاؤهم !

وأذكر أنى رأيت وسط هذه الوجوه جميعا وجها شاحبا ، هو وجه الجراح ٠٠ وكان يرتدى معطفا من المطاط ٠ وراح يعمل بأقصى سرعة ممكنة ، ومنشاره لا يفارق يده ! ٠٠ وأذكر أيضا أننى رأيت ضابط صف شابا ، أحاطت برأسه أربطة صبغها الدم بلون قان ٠ **وتوقف الجراح عن عمله عندما نهض هذا الجريح عن نقالته ، وفتح ذراعيه البارزتى العظام ، ثم بدأ ينشد نشيد « ألمانيا فوق الجميع » ! ٠٠ وما لبث صوته أن أخذ يخفت ٠٠ وخارت قواه ، ثم هوى الى الأرض وهو يجاهد ليمضى فى ذلك النشيد الذى بدأ عهده بالنصر وانتهى بالهزيمة !**

وكان آخر حلم أو كابوس مزعج رأيته فى الميدان ، تلك الصواريخ التى كانت تطير فى أجواز الفضاء أثناء الليل ، ثم تهوى على الأرض وتختفى فيها ٠٠ ورأيت شعلات مضيئة حمراء تنذر بهجوم «أحمر» جديد ، ثم بدأ قصف المدافع وكأنه رعد !

وركبت احدى الطائرات بعد ذلك ، فطغى أزيز محركاتها على كل صوت ٠٠ وراحت تجرى على الثلوج ، ثم ارتفعت فى الجو ٠٠ وأدركت أننا خرجنا من مكان لعين ، الى الراحة والهدوء !

وكان هذا آخر عهدى بستالينجراد التى كانت مركز التحول فى الحملة النازية على روسيا ٠٠ وكان كذلك آخر عهدى بالميدان الروسى ، الذى أصبح بعد ذلك مقبرة لقواتنا !

---

## من ينبوع الحكمة !

◆ ويل للذين يستسلمون لليأس بعد الهزيمة الأولى ٠٠ انهم يفقدون حياتهم !

◆ اذا كان الحب مصدرا للتعاسة ، فلأن الانسان يطلب منه عادة اكثر مما فى مقدوره أن يعطى !

◆ حيث يكثر الحديث عن الفضيلة ، تقل نسبتها ! !

◆ اذا أردت أن تقنع رجلا فالجأ الى عقله ٠٠ واذا أردت أن تقنع امرأة فالجأ الى قلبها ٠٠ أما اذا أردت أن تقنع الجماهير فأيقظ غرائزها !

◆ ما الوهم سوى حقيقة لاتدوم !

◆ قبل أن تمنح ثقتك للآخرين ، ينبغى أن تكون حائزا على ثقتك فى نفسك !

◆ اذا كنت كسولا فى سن العشرين ، فستستجدى فى سن الأربعين !

## كتب الأولون



## كنوز الكتب القديمة

عزيزى القارىء :

قرأت معى فى هذا الباب من قبل :

- ديكاميرون : بوكاتشيو
- دون كيشوت : سرفانتس
- الالياذة : هوميروس
- اميل : جان جاك روسو
- حى بن يقظان : ابن طفيل
- روبنسن كروزو : دانييل ديفو
- غرام الأخوين : كاتب فرعونى مجهول
- يوتوبيا : توماس مور
- الجمهورية : أفلاطون
- الكوميديا الالهية : دانتى
- الأوديسة : هوميروس
- العالم كما يسير : فولتير
- غرام مشبوب : لين يوتانج
- رباعيات عمر الخيام
- عفاف ( كوزى سانكتا ) : فولتير
- رسالة الغفران : المعرى
- نظرية التطور : داروين
- رأس المال : كارل ماركس
- العقد الاجتماعى : روسو
- الأبطال وعبادة البطولة : توماس كارليل
- أسرار انحلال وسقوط الامبراطورية الرومانية : ادوارد جيبون
- الأمير : نيقولو مكيافيللى
- خفايا العلوم الفرعونية : ت . مورو
- وصية ريشيليو السياسية
- أصل الانسان : داروين

واليوم : تقرأ معى هذا الكنز « الجديد » :




# الحمار الذهبى!

الكتاب الشيق الذى يصور كيف تنزل
الشهوات بالإنسان إلى مرتبة الحيوان!

للفيلسوف اليونانى "لوسيوس أبوليوس"

## الطهر والعفة .. أساس الحكمة !

◆ ان أروع الحكمة وأنفذها الى القلب ، هى ما صيغت فى قالب قصة تستولى على الألباب ، ولكنها تنطوى على أسمى الأفكار .. و « الحمار الذهبى » من أقدم الأمثلة الخالدة على ذلك . فقد عمد الفيلسوف اليونانى القديم « لوسيوس أبوليوس » ، الى الخيال والخرافة ليبين لنا كيف ينحط الانسان فى شهواته ونزواته الى مرتبة «الحمار» حتى اذا احس بوطاة حيوانيته ، وهفت نفسه الى السمو ، وجد الآلهة على استعداد لأن تغفر له وتتقبله .. ووجد فى طهر النفس والروح ما يرقى به الى مدارج الحكمة والمجد !

## سقراط .. والعجوز الساحرة !

◆ **اضطرنى** العمل مرة الى السفر الى (تسالى) ، موطن أسرة أمى .. وأود - بهذه المناسبة - أن أقول اننى أنتمى ، عن طريق الأم ، الى المؤرخ الشهير « بلوتارخ » !

ورحت أرتقى الجبال ثم أهبط الى الوهاد على صهوة جوادى ، الى أن نال التعب منى ومن الجواد ، فترجلت ومسحت العرق عن رأسه ، ثم سرت الهوينى والجواد الى جانبى . وما لبثت أن لمحت رجلين يسيران بالقرب منى وقد استغرقا فى الحديث ، فاقتربت منهما أسترق السمع ، وان هى الا لحظة حتى انفجر أحدهما ضاحكا ، وقال للآخر : « كفى ، كفى ! ولا كلمة !.. اننى لم أعد أحتمل هذا الكذب الفظيع منك ! »

وزاد ذلك من فضولى ، فاقتربت منهما ، وقلت للمتكلم : « ألا اغفر لى فضولى يا سيدى ، فاننى مولع بأن أزيد معرفتى ، وقل أن أخفق موضوع فى استثارة اهتمامى . لذلك أكون شاكرا لو أنك تكرمت فرويت لى قصتك من جديد ، ولعل ذلك أن

يهون علينا اجتياز التل المقبل · وسأظهر لك شكرى عندما نصل الى أول فندق ، فأدعوك الى الغداء ! »

**ـ شكرا ·· ولكنى فى غير حاجة الى اغراء كى أروى لك قصتى ، التى أقسم بالشمس على صدقها !··** بل ان بوسعك أن تتأكد من صدقها عند وصولنا الى ( هيباتا ) ـ أهم مدن تسالى ـ فان القوم جميعا يعرفون ما حدث معى · على أننى أحب أن أقدم لك نفسى ، فأنا تاجر مأكولات بالجملة من ( آيجينا ) ، وأدعى أرستومين · وقد اعتدت أن أسافر بين ( تسالى ) و ( ايتوليا ) أو ( بويوتيا ) لأبتاع العسل والجبن وما الى ذلك من سلع · وقد نمى الى مرة بأن هناك كمية كبيرة من الجبن معروضة للبيع فى ( هيباتا ) بسعر بخس ، ولكنى لم أكد أصل الى السوق حتى وجدت تاجرا كبيرا يدعى « ليبوس» قد استأثر بها · وساقنى الضيق الى الحمامات العامة ، واذا بى أرى أمرا عجبا ·· فقد التقيت بصديقى الحميم « سقراط » ، فلم أكد أعرفه لفرط ما كان يبدو عليه من بؤس وشحوب وهزال ·· وكان يجلس على الأرض ، متدثرا برداء بال ، كأى متسول ، فقلت له : « لماذا تجلس هنا يا عزيزى سقراط بهذا الشكل الفظيع ! ·· أتراك ارتكبت جريمة ما ؟ ·· ألا تعرف أنك أدرجت رسميا فى عداد الأموات ، وان أسرتك ترتدى عليك الحداد ؟ ·· لقد أفسدت زوجتك المسكينة شكلها بالبكاء وكادت تصبح عمياء ، وقد ضاقت بالحاف أهلها عليها بالزواج ثانية ، لتعول الأسرة · ثم هأنتذا تظهر كالعفريت ! »

وأخذ يشكو الى ما لاقاه من عنت ومن صروف خيالية ، انتهت به الى هذه الحال ·· وراح يبكى ، فلم أتمالك أن حملته الى داخل الحمام ـ رغم معارضته ـ واضطررته الى أن يغتسل ، وزودته ببعض الملابس ، ثم اصطحبته الى الفندق فجعلته يأكل حتى شبع ، ثم أقنعته بالنوم على حشية فى غرفتى ·· وسعيت الى معرفة سره ، حتى اذا اطمأن الى ، قال : « آه ! يالى من بائس !

لقد سافرت الى مقدونيا فى تجارة ، ففزت بربح وفير ٠٠ على أن اللصوص باغتونى – وأنا أعود مشوقا الى زوجتى وأولادى – فلم يدعوا لى شيئا ٠٠ اللهم الا ماستر عورتى ٠ وهمت على وجهى حتى انتهيت الى فندق تديره امرأة تدعى « ميريو » ٠٠ **وكانت عجوزا ، ولكنها لم تعدم بقية من جاذبية ٠ وقد زودتنى بطعام دون مقابل ، وأغرتنى على أن أنام معها ٠٠ ولم أستطع الفكاك منها بعد ذلك ، فعملت كحمال لأكسب ما أقدمه لها من مال ضئيل ٠ وأخذ الضعف يشتد بى يوما بعد يوم ، حتى انتهى بى الى هذه الحال ! »**

وأخذت ألومه وأنعت تلك المرأة بأبشع النعوت ، ولكنه انتفض مذعورا ، وصاح : « صه ! ٠٠ لاتقل هذا عن تلك المرأة العجيبة ، فقد يوردك لسانك مورد الهلاك ! »

## الساحرة التى مسخت عشيقها الى « كلب بحر » !

◆ **وأدهشنى** منه هذا الفزع ، ولكنه حكى لى أن لتلك المرأة الشريرة مقدرة خارقة تمكنها من السيطرة على الناس ! واستطرد قائلا : « **انها تستطيع بسحرها أن تسقط السماء على الأرض ، أو ترقى بالأرض الى السماء !** ٠٠ وبوسعها أن تحيى الميت ، وأن تهوى بالآلهة عن عروشها ، وأن تطفىء النجم أو تبعث الضياء فى الظلام ٠٠ ولها سلطان عجيب على بث عشقها فى قلوب الناس ، وويل لمن يخونها ! ٠٠ **لقد مسخت أحد عشاقها مرة الى « كلب بحر » !** ٠٠ **وتجرأ مرة أحد المحامين فرفع أمرها للقضاء ، واذا بها تنبت له فى جبهته قرنين !** ٠٠ وعندما انتشر أمرها بين الناس ، اجتمعوا واتفقوا على أن يرجموها ، فلم يكد نهار اليوم الموعود يطلع حتى كانت قد سدت عليهم منافذ بيوتهم بسحرها ، فأخذوا يصرخون طالبين منها العفو ٠٠ واذ ذاك صفحت عنهم ، ولكنها عاقبت زعيمهم ، بأن سحرت بيته فاذا به يطير بجدرانه وكل شىء فيه – عند منتصف الليل –

الى مدينة على مسافة مائة ميل ، ثم راح يحوم فى الفضاء عند أبواب المدينة ! »

وتملكنى الذعر ، فنهضت الى الباب وأحكمت رتاجه ٠٠ ونام سقراط لتوه مكدودا ٠ أما أنا فقد استلقيت على سريرى ، فما شعرت الا والسرير يطير بى فى الهواء ، ثم ينكفىء على الأرض ٠٠ وفطنت الى أنه انقلب لأن إحدى قوائمه كسرت ! ٠٠ وسعيت برأسى من تحت السرير ، أتبين ماجرى ، فاذا سقراط مستغرق فى نومه ٠ وما لبثت أن رأيت الباب يفتح من تلقاء نفسه ودخلت الغرفة عجوزان رفعت احداهما مشعلا فى احدى يديها ، وقطعة من الاسفنج وسيفا فى اليد الأخرى ، واقتربتا من سقراط ، فقالت احداهما :

ـ هذا هو عشيقى الذى اصطفيته ، والذى يحاول الخلاص منى بالهرب ٠٠

وأدركت أنها « ميريو » وقد جاءت تنتقم ، فتملكنى رعب شديد ٠ واستبد بى الفزع حين رأيتها تلوى رأس «سقراط» ، ثم تنفذ السيف فيه حتى المقبض ، وتدفع يدها خلال الجرح فتخرج قلبه من بين صدره ، حتى اذا أخذ الدم يتفجر من عنقه ، وضعت الاسفنجة على الجرح وهى تقول :

**يا اسفنجتى ، يا اسفنجتى**
**يامن من البحر المالح جئت ٠٠**
**جففى الدم السيال حيثما وضعت !**

ثم انفتح الباب من تلقاء نفسه ، وخرجت المرأتان وهما تصوبان نحوى نظرة منكرة !

وقررت أن أبادر بالفرار حتى لاأتهم بقتل صديقى ، فخرجت من الباب الذى أعيانى فتحه بالمفتاح ، رغم أنه انفتح من تلقاء نفسه منذ برهة ٠ وهبطت الى الفناء وصحت بالحارس أن يخرجنى فى الليل ، فقال : « ألا تخشى أن يهاجمك اللصوص ان سرت بالليل ؟ ٠٠ ثم انى لا أستطيع السماح لك بالخروج ،

فمن يدريني أنك لم تقتل زميلك الذى جاء معك ؟ »

فلما لم أجد من الرجل سمعا ، رجعت الى الغرفة وقد عزمت على الانتحار . وعلقت قطعة من الحبل فى أعلى الشباك ، وعقدت طرفها حول عنقى ، ثم دفعت السرير من تحتى . ولكن .. كان الحبل قديما فانقطع دون أن أموت ! .. وسمع الحارس الضجة فجاء يهددنى ويتهمنى بأننى أحاول سرقة الفندق ، وظل يصيح بأعلى صوته .. فما هالنى الا أن رأيت سقراط يقوم من رقدته سليما معافى .. وكأن شيئا لم يحدث !

## موت سقراط .. « نهائيا » !

◆ **وكان** النهار يوشك على الطلوع ، فخرجنا من الفندق معا ، وأنا أخال أن الذى حدث لم يكن سوى حلم .. وقال لى سقراط : « لقد رأيت فى نومى حلما غريبا .. حلمت بأن أحدهم قد قطع رقبتى ، ومد يده فانتزع قلبى من صدرى ، وأحسست بألم حقيقى .. بل انى لم أزل أحس بالألم موجعا حتى الآن . . أفلا نجلس لأستريح ؟ » . . فجلسنا وأخذ سقراط يأكل فى نهم ، ثم شكا الى عطشه ، فقمت واياه الى مجرى ماء ليشرب .. **وركع على ركبتيه ، ومد رقبته الى الماء ، فاذا بالاسفنجة تقع من عنقه ، فيتدفق الدم ويمتزج بالماء .. وأسرعت فجذبته من مجثمه ، ولكن الحياة كانت قد فارقته !**

وعاد الفزع يلح على ، فدفنته فى مكانه على عجل ، ثم أسرعت عبر الحقول جريا لا ألوى على شىء ! .. ومنذ ذلك اليوم لم أعد الى ( آيجينا ) ، وهجرت عملى وبيتى وزوجتى وأطفالى ، وانتقلت الى ايتوليا حيث تزوجت من جديد ..

وهنا انتهت قصة « أرستومين » ، فسألنى صديقه رأيى فى مدى كذبه ، فقلت : « كل شىء فى الدنيا جائز . وكم من أشياء تحدث للانسان فلا يصدقها سواه ! » .. وما ان وصلنا الى المدينة ، حتى افترقت عنهما .

## مغامرات .. فى بيت « البخيل » !

◆ **ما** أن بلغت مدينـــة ( هيباتا ) ، حتى طرقت أول باب صادفته ، وسألت العجوز التى فتحته لى عن رجل يدعى «ميلو» ، فأشارت الى بيت فى طرف المدينة وقالت : « ها هو ذا بيت أحقر وأبخل وأقذر رجل يمكن أن تقابله فى حياتك .. انه بيت ميلو الذى يعيش وحيدا الا من زوجة عجوز وجارية حسناء ، والذى يبدو - رغم غناه - كالمتسولين ، ويقرض الناس نقوده بالربا ! »

وسعيت الى البيت موجسا ، فناديت الرجل . واذا بجاريته تخرج فتسألنى عن الضمان الذى جئت به لأقترض المبلغ الذى أريد . ولكنى أخبرتها بأننى أتيت من لدن «ديماس» الكورنثى ، صديق مولاها . فغابت لحظـــة ، ثم عادت فقادتنى الى غرفة المائدة ، حيث جلس الرجل وزوجته الى الغداء . **ولما لم يكن ثمة مقعد لثالث ، فقد صرف الرجل زوجته ، ودعانى الى الأكل فترددت . وما كدت أمد يدى ، حتى شغلنى بحديثه عن الطعام!** على أنه رحب بى ، وأفرد لى غرفة آويت اليها . فلما جن الليل ، جاءت « فوتيس » - الجارية - تدعونى الى العشاء . واعتذرت بأننى متعب ، أوثر النوم على الأكل . ولكن الرجل جاء بنفسه ، وما زال يلح على حتى قمت معه الى غرفة المائدة ، فاذا بهـــا خالية ، والطعام لم يعد بعـد . ومن ثم راح الرجل يحدثنى ، ويسألنى عن صديقنا « ديماس » ، وعن الأعمال التى جئت من أجلها الى ( هيباتا ) ، حتى غلبنى النعاس وأنا جالس ، فترفق بى وتركنى أذهب الى الفراش .. ولم أتناول أى عشاء بالطبع!

وفى الصباح التـــالى ، التقيت بسيدة ذات مكانة وأتبـــاع ، أدهشنى أن عرفت أنها ابنة خالة أمى ، وأنها لم ترنى مذ كنت طفلا !.. وحاولت « بيرهانا » - وكان هذا اسمها - أن تحملنى عـلى النزول ضيفا فى دارها ، ولكنى تخلصت بعـد عناء من الحافها ، فهمست فى أذنى : « **اذن ، فحافظ على نفسك - بحق**

**آلهة العفة ـ يا عزيزى لوسيوس . واحذر من امرأة ميلو فانها ساحرة شريرة ، ما ان ترى شابا جميلا حتى تقع فى حبه ، فتتخذه لنفسها عشيقا .. واذا وجدت منه عزوفا ، لم تتورع عن سحره فتمسخه حيوانا أو حشرة .. وربما قتلته حتى لا تفقده حيا ! »**

ولم يخفنى تحذيرها ، بل تولتنى جرأة أوحت لى بأن أواجه امرأة ميلو ، وأن أتعلم منها السحر ، مهما يكبدنى ذلك ! وقررت أن أحاول أن أستميل «فوتيس» الجارية ، اذ كانت جميلة فاتنة .. وبالفعل وجدتها ميالة الى ، وما لبثت أن بادلتنى عاطفتى ، وواعدتنى على أن توافينى فى غرفتى ، اذا مانام أهل البيت

وكانت ليلة .. تبعتها ليال كثيرة !

## ضحكوا عليه .. فى عيد اله الضحك !

◆ **و دعتنى** « بيرهانا » ذات ليلة الى حفلة عشاء ، فحذرتنى « فوتيس » من أن أغيب فى الخارج ، لأن عصابة من أبناء النبلاء اعتادت أن تعيث فسادا فى المدينة ، اذا ما هبط الظلام .. لذلك آثرت أن أصطحب سيفى ، وعبدى الذى كان قد لحق بى!

وانصرفت قبل أن تنفض الحفلة ، فلم أكد أقترب من دار « ميلو » ، حتى رأيت ثلاثة لصوص يحاولون اقتحام الباب ، فما أسرع ما تناولت سيفى ، وأوسعتهم طعنا حتى سقطوا صرعى . ثم دخلت الدار ، فوجدت « فوتيس » فى انتظارى . ولكن القتال كان قد هد قواى ، فما أن لامس جسدى الفراش حتى غلبنى النوم !

غير أننى سرعان ما استيقظت على ضجيج ، واذا جماعة من الشرطة قد أقبلوا للقبض على ، متهما بأننى قتلت ثلاثة من المواطنين العزل .. وفى خارج الدار ، رأيت جمعا غفيرا من الناس ، وكأنما أقبلت المدينة بأسرها تشهد حدثا غريبا ! ..

واقتادونى الى ساحة السوق ، حيث كانت المحاكمات تعقد . ولكن الجمهور أصر على أن تجرى المحاكمة فى مسرح المدينة .. وهناك ، ضاقت بهم المدرجات ، فتسلق بعضهم الأسوار !.. ونهض رجل من بينهم ممثلا الاتهام ، فرمانى بقتل المواطنين الثلاثة وهم عزل أبرياء !

ودعيت الى الدفاع عن نفسى ، فخانتنى شجاعتى ، وانخرطت فى البكاء ، وأنا أتصور ما قد يلحق بى من عار فى ( هيباتا ).. على أننى تغلبت على ضعفى ، وقلت اننى فاجأت الرجال الثلاثة وهم يحاولون اغتصاب باب الدار ، فلما رأونى حاولوا الاعتداء على ، واذ ذاك لم أجد بدا من أن أمتشق سيفى دفاعا عن نفسى . ولكم أدهشنى أن استغرق القوم فى القهقهة !.. ثم انبرت من بين الناس امرأة راحت تندب القتلى ، وتهيب بالقضاة أن لا تأخذهم بى شفقة . وأرادت أن تستدر عطف الناس ، فطلبت أن أرفع الغطاء عن القتلى ليراهم أهل ( هيباتا ) .. وضج الناس بالضحك من جديد ! .. وأمرنى القاضى بأن أرفع الغطاء ، فلما أبيت ، أرغمنى الحراس ..

**وشد ما كان عجبى اذ لم أجد تحت الغطاء جثثا .. وانما كانت ثمة دمى جامدة ! .. وعاد الناس الى ضحكهم الصاخب ، بينما قام ميلو من بين الصفوف فاقتادنى الى داره وأنا أتخبط خجلا واستخذاء ! .. وأدركت أن القوم كانوا يحتفلون بعيد اله الضحك ، وقد اعتادوا أن يدبروا مثل هذه الحيلة ، ثم يكرمون ضحيتها بعد ذلك ، فيقيمون له فى السوق تمثالا !**

وما ان نامت امرأة ميلو فى تلك الليلة ، حتى وافتنى فوتيس ، وبادرتنى قائلة : « اننى أريد أن أعترف لك بأمر خطير يا حبيبى لوسيوس .. فأنا الملومة على ما أصابك من أذى . ولكنى أقسم ، وأشهد الآلهة ، على أننى لم أكن متعمدة ! » .. وعندما أبصرت دهشتى ، روت لى كيف أن سيدتها « بامفلى » ـ وهو اسم زوجة ميلو ـ قد أحبت شابا

وسيما ، فسألتها بأن تأتيها بشىء من شعره لتمارس عليه فنون سحرها ، حتى تجتذب الشاب الى بابها .. ولكن فوتيس أخفقت فى الحصول على الشعر ، فتسللت الى حانوت فى السوق وقصت بعض الشعر من دمى كانت به .. **وعلى هذا الشعر مارست « بامفلى » سحرها ، فاذا الدمى تتحرك حتى بلغت الباب وراحت تحاول الدخول .. وكان ان خلتها أنا لصوصا!**

وانتهزت الفرصة فرحت ألح على الجارية الفاتنة ، حتى وعدتنى بأن تهيىء لى فرصة أرى فيها سيدتها وهى تمارس السحر !

## وأخيرا .. أصبح حمارا !

• **وبرت** فوتيس بوعدها .. فقد جاءتنى يوما تعلن الى أن سيدتها اعتزمت أن تسحر نفسها فى صورة طائر لتتمكن من الوصول الى حبيبها . فلما غابت الشمس ، تسللنا فى حذر الى غرفة فى أعلى البيت ، لاذت بها السيدة ، فرحت أسترق النظر اليها خلال الباب . واذا بالسيدة تنضو عنها ثيابها ، ثم تفتح خزانة بها عدد من الصناديق . وفتحت واحدا منها ، وأخذت منه دهانا نشرته على جسدها ، ثم بسطت ذراعيها ، واذا بمعالمها تتغير تدريجيا .. وما لبثت أن تحولت الى «قنبرة»، وانطلقت فى الفضاء !

وتملكتنى رغبة طاغية فى أن أمارس ذلك السحر ، فما زلت بجاريتى الحسناء ، حتى تسللت الى الغرفة ، وسرقت لى بعض الدهان ، فحملته الى غرفتى . وخلعت ثيابى ، ودهنت جسمى .. ثم وقفت أمام المرآة أنتظر . **ولكن بدلا من أن ينبت الريش على جسدى ، رأيت الشعر يتكاثف ، ثم انضمت اصابعى بعضها الى بعض وتصلبت ، واذا بأطرافى تتحول الى حوافر ، وبجسمى ينحنى ، وبوجهى يزداد طولا .. وأصبحت حمارا !**

واستبد الهلع بفوتيس ، وهتفت : « آه ! ٠٠ أكاد أموت ! لابد أننى أخطأت الصندوق ، ولكن ٠٠ لا بأس بك يا حبيبى ، فان علاج ذلك أن تأكل من ورود معينة ، فتعود كما كنت ٠ ولكن علينا أن ننتظر الى الصباح لأعثر لك على شيء من هذه الورود ! »

وتملكنى الغضب ، فكدت أركلها بحوافرى حتى تموت ، لولا أننى تذكرت أنها الوحيدة التى تستطيع علاجى ، فكظمت غيظى ٠ وتركتها تقودنى الى الحظيرة ، حيث كان حصانى وحمار سيدها ، فبقيت هناك حتى اكتهل الليل ، واذا بضجة كبيرة تنبعث فجأة عند الباب الخارجى ، وصيحات هلعة تقول : « اللصوص ، اللصوص ! » ٠٠ وجاء رجال فساقونا قهرا ، ثم أثقلونا بما سرقوه من بيت ميلو ، وخرجوا بنا من البيت وهم يهددوننا بالعصى ، فلم أجد بدا من السير ٠٠ وانصرفنا الى طريق طويل خارج المدينة ، يختلف بين جبال مرتفعة وسفوح منزلقة ، حتى أعيانى التعب ففكرت فى طريقة للخلاص ٠٠

وخطر لى أن أتصنع الوقوع على الأرض منهوك القوى ، فلا أقوم مهما يكلفنى الأمر من ضرب ٠ ولن يلبثوا أن ييأسوا منى فينقلون حملى الى حمار ميلو وجوادى ، ثم يتركوننى فى الطريق ٠ **والظاهر أن حمار ميلو الخبيث فكر فيما فكرت فيه ، وسبقنى الى التنفيذ ، فلما أعيتهم فيه الحيلة ، فرقوا حمله بينى وبين الحصان ، ولكنهم لم يتركوه سليما ، بل ضربه أحدهم بسيفه ضربة أماتته ٠٠ وحمدت الآلهة اذ نجوت من ذلك المصير !**

وبلغنا كهف اللصوص بعد لأى ، فأنزلوا عنا أحمالنا ، وقيدونا فى الخارج ، ثم اندفعوا الى الداخل يسألون المرأة العجوز التى تعنى بكهفهم ، عما أعدت من طعام ٠٠ ثم جلسوا الى الأكل ، وما لبث أن جاء فريق آخر من اللصوص ، فجلسوا يشاركونهم الطعام ٠٠ وأخذ واحد من هؤلاء القادمين يروى قصة مصرع زعيمهم « لاماكوس » :

ـ ذهبنا الى ( طيبة ) فسألنا عن أغنى رجالها ٠٠ ولما حان الليل ، توجهنا الى بيته لسرقته ، ولكننا وقفنا أمام الباب نفكر فى الوسيلة التى نفتحه بها دون أن ننبه الينا الأسماع ٠٠ واهتدى « لاماكوس » الى الوسيلة ، فأحدث ثغرة حول ثقب الباب ، تتسع ليده، وأدخل ذراعه يريد فتح الباب من الداخل ٠ **ولكن صاحب البيت كان قد استيقظ ، وخف الى الباب دون أن يحدث صوتا ، فلما رأى ذراع زعيمنا على ذلك النحو ، رشق بها سهما فثبتها الى خشب الباب ٠ ثم اندفع الى السطح فأخذ يستنجد بالجيران قائلا : « الحريق ٠٠ الحريق ! ٠٠ انقذونى قبل أن تمتد النيران الى بيوتكم ! » ٠ ٠ وسرعان ما أقبل الجيران ، فكان لا بد لنا من الفرار ٠ ولما كانت ذراع لاماكوس مثبتة الى الباب ، فقد طلب الينا أن نبترها ليتمكن من الهرب معنا !٠٠** وانطلقنا هاربين والدم ينزف من ذراعه بغزارة ، حتى اذا خارت قواه ، ولم يعد يستطيع متابعتنا ، طلب الينا أن نقتله حتى ننجو بأنفسنا ٠ ولكن أحدا منا لم يتجاسر على اجابة طلبه ، فاذا بالرجل الشجاع يمسك سيفه بيده ٠٠ ثم يغيبه فى صدره !

وتحول الرجل يحكى لهم مغامرة أخرى ٠ فقد سطت العصابة على دار امرأة عجوز ، وأخذ واحد منهم يلقى بمتاعها الى الطريق ٠٠ ولكن المرأة خدعته ، اذ قالت : « يا هذا ٠٠ لماذا تلقى أمتعتى فى فناء بيت جارى ؟ » ٠٠ فخدع الرجل بذلك ، وذهب ليرى أين ألقى المتاع ٠٠ ولكنه ما كاد يطل من النافذة ، حتى قامت المرأة فدفعته بكل قوتها ، فاختل توازنه، ثم سقط على أم رأسه !

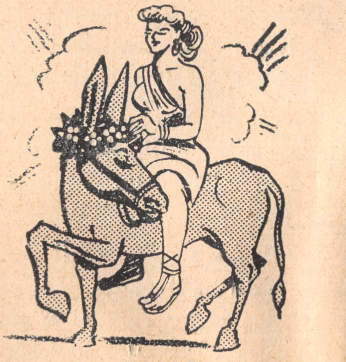
## « الحمار » ٠٠ يغازل الحسناء !

◆ **وفى** الهزيع الأخير من الليل ، خرج عدد من اللصوص فى ثياب أشباح ، ثم عادوا بعد وقت طويل ومعهم أسيرة ٠٠

فتاة جميلة تنم ملامحها على أنها من أسرة نبيلة . وحاولوا تهدئتها بأن أكدوا لها أنهم لا يقصدون ايذاءها ، وانما هم يعتزمون أن يحتفظوا بها ريثما يأتى أهلها بالفدية التى فرضت عليهم .. ولكن ذلك لم يجد مع الفتاة ، اذ ظلت تبكى .. وحاولت أن تجتذب عطف العجوز التى تولت حراستها ، فحكت لها قصتها : كانت تحب ابن عمها « تليبوليموس » منذ صغرها ، وكانت على وشك أن تزف اليه فى تلك الليلة !

وخرج اللصوص مرة أخرى ، فأخذونى والحصان معهم ، وذهبوا بنا الى مخبأ بعيد ، حيث أثقلونا بالأحمال ، ثم عادوا بنا الى الكهف . ولكنى كنت متعبا ، فرحت أتعثر فى الطريق .. وسمعتهم يتفقون على قتلى بمجرد الوصول الى الكهف . ولكنهم دخلوا الى الكهف - بعد أن نقلوا الأثقال - وربطونى فى الخارج ، فقلت لنفسى : « ما الذى تنتظره يا لوسيوس ؟ .. أتريدهم أن يقتلوك ؟ »

وزادت وطأة القلق على صدرى ، فجذبت نفسى بقوة ، حتى انقطع الحبل الذى ربطونى به . وجاءت المرأة العجوز تحاول ايقافى ، فظللت أضربها بحوافرى حتى ألقيتها على الأرض . وجاءت الفتاة اذ ذاك ، فدنوت منها حتى اعتلت ظهرى وانطلقت بها هاربا !



وظللت أعدو لانقاذ نفسى وانقاذ الفتاة الجميلة ، التى كانت تستحثنى - طوال الطريق - بمختلف الوعود ، بينما كنت أدير رقبتى فأقرب شفتى من ساقها وأقبلها ! .. وواصلنا

سيرنا وهي تتضرع تارة الى الآلهة أن يساعدوها ، وتتضرع الى تارة أخرى أن أسرع فى العدو . حتى اذا وصلنا الى مفترق طريق ، أرادت أن تجعلنى أنحرف فيه ، ولكنى أبيت الا مواصلة السير فى اتجاهى ، اذ كان المخبأ - الذى نقل اللصوص منه الأشياء - فى الاتجاه الذى أرادتنى على المضى فيه . وبينما كانت تجذبنى وأنا أعاندها ، جاء اللصوص ، فرأونا . ولحقوا بنا فأعادونا الى الكهف متوعدين .. ثم اتفقوا على قتلى واياها، وقيدونا بالسلاسل فلم يعد لنا من سبيل الى الهرب !

## .. ويجرى وراء النساء !

• **وجاء** رجل منهم - لم أره من قبل - الى الكهف، فسألوه عن الحال فى بيت ميلو ، اذ كانوا قد تركوه جاسوسا هناك ، فقال :

- الحال حسنة جدا .. فقد اتهموا بالسرقة رجلا انتحل شخصية نبيل يدعى لوسيوس ، وهبط عليهم ضيفا حتى عرف أسرار البيت ، ثم اختفى فى نفس الليلة التى سرقنا فيها البيت، فاتهموه هو بالسرقة ، وما زالوا يبحثون عنه !

وعندما سمعت هذا تملكنى الغضب ، ولكننى لم أكن أملك أن أتكلم حتى أعلن احتجاجى

وقال لهم الرجل انه أتاهم بشحاذ وجده فى الطريق ، لينضم الى عصابتهم ، اذ كان رجلا قويا ، وهم فى حاجة الى الرجال بعد أولئك الذين فقدوا منهم .. ودعى الشحاذ الى مجلسهم ليروى قصته ، فقال : « ما أنا بمتسول ، ولكنى كنت زعيما لعصابة كبيرة .. وكنا ننطلق الى السرقة دون أن يجرؤ أحد على الوقوف فى وجهنا .. وحدث فى احدى المرات أن قتلت رئيس حرس الامبراطور ، فثار هذا واعتبر قتل الضابط اهانة له . ومن ثم أرسل كل شرطته فى أثرنا ، فلم يتركوا لنا مكانا الا وطاردونا فيه .. وهكذا قتلوا كل أفراد العصابة حتى

لم يبق منها غيرى ٠ فتخفيت فى ثياب امرأة وهربت من المدينة ، وظللت متنكرا حتى صادفنى صديقكم هذا فجئت معه ٠٠ فان أردتم أن أنضم اليكم ، فأنا أقبل أن أكون رئيسا لكم ، لأننى قضيت العمر رئيسا لعصابة ، وكان أبى كذلك من قبلى ٠٠ وقد سمعت أن رئيسكم قد قتل ! »

ووافق اللصوص على ذلك العرض ٠ ثم سألهم الرجل عن الفتاة الأسيرة لديهم فأخبروه بأمرها ، وقالوا له انهم اعتزموا قتلها عقابا لها عن هربها ٠٠ ولكنه قال : « لست أعارضكم ، ولكن لدى اقتراحا لكم أن تأخذوا به ، والا فارفضوه ! ٠٠ ان قتل الفتاة سيشفى غليلكم ولا ريب ، ولكن اللص الناجح ينظر الى المنفعة أولا ، فان شئتم ففى وسعكم أن تبيعوها وتربحوا من ذلك كثيرا ! »

ولما وافق الرجال على اقتراحه بالاجماع ، وعدهم بالتوسط فى بيعها لدى تاجر يعرفه ٠٠ وبقى فى الكهف مدة ، فكان لا يفتأ يأتى الى الفتاة ويلقى اليها بكلمات ، فتجيبه بارتياح ٠٠ بل لقد رأيته مرة يقبلها دون أن تمانع ! عجيب أمرها تلك الفتاة! هل تخون حبيبها فتتودد الى لص لمجرد أنه أنقذها من الموت لتكون جارية ؟ !

واقترح الرجل على اللصوص أن يحتفلوا بتعارفهم ٠٠ وأقبلوا على الخمر يعبون منها فى اسراف ٠ ولكننى لم ألبث أن لاحظت أن الزعيم الجديد كان يتحاشى الشراب متحايلا - فى حين أنه كان يسرف فى اغرائهم به ٠٠ ولمحته مرة يذيب شيئا ما فى الخمر ٠ ولم ينقض طويل وقت ، حتى وجدت الرجال يستغرقون فى النوم ، واحدا بعد واحد ، حتى اذا عمهم النوم جميعا ، قام الرجل اليهم فقيدهم وفك وثاق الفتاة ، كما أطلقنى أنا الآخر ، فأركبها على ظهرى وسار الى جوارها حتى البيت ٠٠ وتبينت أنه لم يكن سوى حبيبها ٠٠ وقد عمد الى هذه الحيلة لانقاذها ! ٠٠ وما لبث أن اصطحب أهل المدينة الى الكهف ،

## فقضوا على اللصوص !

وبقى أمرى أنا ، فلقد أصرت الفتاة على أن تكرمنى ما بقى من حياتى ، فاقترح عليها أهلها أن ترسلنى الى احدى مزارعهم ، لأبقى هناك دون ما عمل !

وذهبت الى المرعى فرحا ، أمنى نفسى بقضاء وقت من الراحة حتى يحين الربيع وتنبت الورود ، فآكل منها وأعود الى طبيعتى من جديد .. ولكن ظنى خاب . فقد أسلمنى الراعى الى صبى لينقل الأخشاب على ظهرى ، فكان لا يفتأ يضربنى بالعصا ويتفنن فى ايذائى ، ثم لا يكتفى بذلك ، بل يشكو من أننى أجرى وراء من أصادفهن فى طريقى من نساء !

وظل على حاله من الشكوى حتى اتفق القوم على قتلى ، ولكن واحدا منهم اعترض على فكرة القتل ، وقال انه يعرف رجلا يخصى الحيوانات الشقية ، فتعود هادئة ولا تسبب أذى . ووقعت الفكرة على وقع الصاعقة ، فانتهزت غفلة من الصبى ـ فى اليوم التالى ـ وبادرت الى الفرار

## « لولا ظل الحمار .. ما انكشف السر ! »

◆ **وألقت** بى المقادير يوما فى خدمة رهبان كانوا يطوفون بالقرى . وفى ذات يوم ، هبطوا ضيوفا على رجل غنى طيب . فلما جن الليل ، سمعت طاهى الدار يبكى ويعلن عزمه على أن يقتل نفسه ، حتى اذا سألته زوجته عما جرى له ، أنبأها بأن اللحم الذى كان موكلا اليه قد سرق نتيجة اهماله ، وأن مخدومه لن يرحمه اذا علم بالأمر ! .. ولكن الزوجة « الذكية » هونت عليه ، مقترحة أن يستدرج « ذلك الحمار » ـ الذى لم يكن سواى ! ـ الى مكان قصى ، فيذبحه ، ويضع بعض لحمه فى مكان اللحم المسروق ! .. واقتنع الطاهى بالفكرة ، وأخذ يرهف حد سكينه !

واستبد بى الفزع ، فقطعت الحبل الذى كان يربطنى الى

جدار الدار ، ثم إنطلقت أعدو حتى دخلت القاعة التى كان رب الدار يجلس فيها مع الرهبان ، فانزعجوا جميعا ، وغضب الرجل فأمر بأن أسجن فى غرفة مغلقة ٠٠ وما كنت أرجو مصيرا أفضل من هذا المصير ٠٠ فقد كان السجن كفيلا بانقاذى من الطاهى !

وما لبثت — بعد ذلك — أن عرضت للبيع من جديد ، فاشترانى خباز عهد بى الى عبيده الذين أرادوا أن يربطونى الى حجر الطاحون لأديره ، ولكنى تظاهرت بالجهل بتلك المهمة ، واذا بفريق منهم يشرعون عصيا صلبة لينهالوا بها على ٠٠ فما ان رأيت ذلك ، حتى انطلقت أدير حجر الطاحون كأى حمار مدرب نشيط !

وكنت أحتمل كل شىء فى خدمة الخباز ، الا زوجته ٠٠ فقد جمعت أسوأ الصفات : كانت قاسية كأشد ما تكون القسوة ، خبيثة ، مخادعة ، لا تتورع عن كل حيلة — مهما كانت دنيئة — فى سبيل التغرير بزوجها !٠٠ وكان لها عشيق شاب ، يوافيها فى البيت ، فى غيبة زوجها ٠ وشاءت المصادفات أن يفاجئها الزوج يوما ، فما كان من المرأة الا أن أخفت عشيقها تحت صندوق قديم — بغير قاع — بالقرب من مربطى ٠ ثم أخذت تحاول اغراء زوجها على النوم ، حتى تطلق عشيقها من مخبأه ٠ وفى تلك الأثناء ، أقبل أحد العبيد ليصحبنى الى حيث أستقى! **وفيما كنت أمر بالصندوق ، لمحت أصابع العشيق ظاهرة من تحته ، فما كان منى الا أن دستها بحوافرى ، بدرجة لم يستطع الشاب أن يحتملها ، فصرخ من الألم !**

وكان أن طلق الخباز زوجته ٠ فقصدت المرأة الى احدى الساحرات ، تسألها أن تعيد اليها حب زوجها ، أو أن تقضى عليه ٠ ويبدو أن الطلب الأخير كان أيسر منالا ، فمات الرجل ، وعرضت أنا للبيع من جديد ٠ وابتاعنى بستانى دفع خمسين دراخمة — العملة اليونانية — وكأنما استكثر هذا الثمن ، فراح

يرهقنى بالعمل ليعوضه

وفى ذات يوم ، ركبنى البستانى وساقنى الى الريف لزيارة أحد معارفه · وفى الطريق ، قابلنا ضابط حاول أن ينتزعنى من صاحبى ، لينقل على ظهرى أمتعة قائده · فلما لم يجد البستانى وسيلة للافلات ، راح يزعم للضابط أننى كسول خائب · ولكن هذا لم يعبأ بقوله ، ولم ينثن عن غايته · فما كان من البستانى الا أن غافله وانقض عليه ، وضربه بحجر حتى لم تبق له قوة على مطاردتنا · ولاذ صاحبى بى عند تاجر من أصدقائه ، فأخفاه التاجر فى حانوته ، وأوثق قوائمى وحملنى الى حجرة على سطح داره

واستدل الشرطة على التاجر ، ولكنهم لم يعثروا على آثارنا · فوقفوا أمام الدار يجادلون الرجل ، حتى احتدم بينهم النقاش ، وأغرانى على أن أرفع رأسى الى نافذة قريبة ، لأرى ما كان يجرى · وصادف أن رفع أحد الجنود رأسه الى أعلى ·· ومع أنه لم يرنى ، الا أنه لمح ظل رأسى وأذنى على الجدار المقابل ، فصاح بزملائه ·· وكان أن اكتشفوا مخبأى ومخبأ صاحبى ··

**ومنذ ذلك اليوم ، شاع المثل القائل : « لولا ظل الحمار ما انكشف السر » !**

وقضى على البستانى والتاجر بالسجن · أما أنا ، فقد أمر الضابط ببيعى ، فكنت من نصيب عبدين أخوين لدى نبيل يدعى « تياسوس »

## « الحمار » ·· بين نبيلة وبغى !

• **وكان** العبدان كريمين ، أشركانى معهما غرفتهما · وفى كل مساء ، كانا يعودان محملين بأصناف الطعام والحلوى ، فكنت أنتهز فرصة غيابهما فى الحمام ليغتسلا ، فأصيب قسطا من كل صنف · ولما اطمأننت الى أنهما لم يكونا يفطنان الى النقص ، تعودت أن أنتقى خير الأصناف وأشهاها ، فتحسنت صحتى ،

ونعم ملمس جسمى !

على أن الشك لم يلبث أن داخل الخادمين ، فأخذ كل منهما يتهم الآخر بأنه يسرق لنفسه أفضل الطعام .. واحتد كل منهما على أخيه . ولكنهما لم يلبثا أن تصالحا وقد بيتا فى نفسيهما أمرا لم أدر به .. فقد تركا الطعام فى الغرفة ذات مرة ، ثم راحا ينظران خلال ثقب الباب .. وكانت مفاجأة لهما أن رأيا حمارا يأكل طعام الآدميين ! .. وأغرقا فى الضحك ، فأقبل بقية العبيد يشهدون الأمر العجيب .. وتعالى ضحكهم . وصادف أن مر صاحب الدار ، فاجتذبه الضحك وأقبل يتحرى ما كان يجرى ، واذا به يرانى منكبا على الطعام . فضحك بدوره ، وراق له المنظر ، ومن ثم قادنى الى مائدته ، ودعا أصدقاءه الى مشاهدتى وأنا ألتهم ما كانوا يقدمونه من أطايب الطعام .. واقترح أحدهم أن يقدموا لى خمرا ، فما ان رأونى أرشف الكأس - التى أمسكوها لى - مرة واحدة ، كما يفعل الآدميون ، حتى استبد بهم العجب

وابتاعنى النبيل « تياسوس » من العبدين ، وعهد بى الى مدرب يعلمنى التفاهم بالاشارة . ولما كنت أفقه كلام الآدميين ، فاننى سرعان ما أبديت براعة ، أغرت صاحبى على أن يعرضنى فى البلدان ، فعهد بى الى المدرب الذى سافر بى الى ( كورنثوس ) ، وراح يعرضنى للراغبين فى مشاهدة « الحمار العجيب » ، لقاء أجر كبير !

وذات يوم شاهدتنى امرأة من النبيلات ، فعرضت على المدرب أن يسمح لها بقضاء ليلة فى غرفتى ، زاعمة أنها تريد أن تستوثق من أننى « حمار » بالفعل .. وسمح لها الرجل مقابل أجر سخى . فلما أقبل الليل ، حمل عبيد المرأة فراشا فخما الى حجرتى ، ثم انصرفوا . وما ان خلت المرأة الى ، حتى خلعت ثيابها ، وعطرت جسمها ، ثم عطرت جسمى ، وأقبلت تحتضننى وتقبلنى .. وكانت فاتنة ، وأنا « حيوان » محروم .. وأثر



**الخمر التى شربتها أمام المتفرجين قد لعب برأسى ، فنسيت نفسى !**

وعلم صاحبى بالأمر ، فراقت له الفكرة ، وقرر أن يستأجر بغيا تضاجعنى أمام المتفرجين . فاغتممت نفسى لذلك ، ولم أطق صبرا على هذا « الامتهان ! » فانتهزت فرصة مناسبة وانطلقت كالسهم هاربا ، فظللت أعدو دون توقف ، حتى قطعت ستة أميال . وبلغت شاطىء البحر والتعب قد تمكن منى ، فنمت تحت أول شجرة صادفتنى

## « الحمار » .. يصبح حكيما !

• **واستيقظت** فى منتصف الليل ، فاذا القمر بدر ، وقد غمر المكان بأشعته ، فقمت وقد غشينى شىء من السكينة ، فغمرت نفسى فى مياه البحر سبع مرات ، ثم وقفت أتطلع الى آلهة القمر ، وتوجهت اليها بصلاتى ، وكلى أمل فى أن تدركنى فتنقذنى مما أنا فيه ! حتى اذا انتهيت من صلاتى ، عدت الى مكانى تحت الشجرة ، فاذا بى فى شبه غيبوبة . ثم رأيت البحر ينشق عن امرأة فاتنة ، أخذت تبرز من بين أمواجه ، فيظهر جسدها المتألق تدريجيا . وشعرت بأنى أمام ربة جاءت لانقاذى .. وسمعتها تقول : « لقد جئت يالوسيوس استجابة لصلاتك .. أنا الطبيعة ، أم الجميع ، المسيطرة على كل العناصر ! .. أنا مالكة الموت ، ومالكة الخلود .. يعرفنى البعض باسم « جونو » ، ويسمينى البعض « بلونا » ، ويدعونى آخرون

« هيكاتى » ، وغيرهم يقولون انى «رامنوبيا» ٠٠ ولكن المصريين بما لديهم من علم هم الذين يعرفون حقيقتى ٠٠ فأنا «ايزيس»! ٠٠ وقد أتيت اشفاقا عليك ، ولأمسح عنك ما ترديت فيه من ضيق ٠٠ استمع لى ، فتلك أوامرى ألقيها عليك !

« غدا ، سيسير موكب الربيع ، فاقترب منه ٠ حتى اذا رأيت الكاهن الأكبر ، فاذهب اليه ، وافعل كما لو كنت تقبل يده ٠ وستجد فى يده بعض الورود ، فالتهمها ، واذ ذاك ستعود انسانا سويا كما كنت ! »

وعندما جاء الصباح ، سرت مضطربا أبحث عن مصيرى ٠٠ وأخذت أدب فى الطريق وحدى ٠ وأخيرا ، رأيت طلائع الموكب عن بعد ٠٠ ثم اقترب الموكب ، فكان يضم نساء من طبقات شتى ، يسرن فى مجموعات ، يميز كل مجموعة لباس خاص ٠٠ ثم جاء بعدهم رجال وكهان ، فانتظرت فى قلق مشبوب ، حتى أقبل الكاهن الأكبر ٠٠ وتطلعت اليه وقد زاد الاضطراب بنفسى ، ثم شققت طريقى اليه خلال الزحام ، فرأيته ينظر الى مطمئنا ، وكأنما أوحت اليه الربة ايزيس بالأمر

**وانحنيت على يده ، فاذا به يقدم شيئا الى فمي ٠٠ فتناولت الورود التى قدمها الى ورحت أمضغها فى لهفة ، ثم ٠٠ اذا بالشعر الكثيف يتساقط عن جسدى ، واذا حوافرى تنبسط فتتحول الى كفين وقدمين ، واذا وجهى يستدير فيأخذ صورته الأولى ٠٠ ثم عدت انسانا سويا كما كنت !**

**وما أسرع ما خلع أحد الكهان ثوبه الخارجى فألبسنى اياه بين دهشة الخلق !**

وانتشر الخبر ، فأقبل الناس من كل صوب يهنئوننى ، وجاءنى أقاربى وعبيدى بعد أن حسبونى فى عداد الأموات ، وأصبح الناس جميعا يتحدثون عن الحمار الذى تحول الى سيرته الأولى فكان السيد « لوسيوس » !

ولكنني لم أعد الى حياتي الأولى ، بل وهبت نفسي وكرست

حياتى للآلهة ، لا أتحول عن معبد الا الى معبد آخر ، أتلقى الوحى من الربة « ايزيس » ، ومن الاله « أوزيريس » — إله الحظ — الذى تولانى هو الآخر ، فبسط على الكثير من أسراره الالهية ..

وهكذا أودعت « ايزيس » قلبى سر المعرفة . أما «أوزيرس» فقد سلط على المحن ليبلو صدق اخلاصى ، ففقدت كل ثروتى . وأخيرا أوحى الى الرب بأن أبيع رداء الكهنوت الذى كنت أرتديه ، فلما ترددت قال لى : « **لماذا تترددفي أن تتخلص نفسك من غنى ليست بك حاجة الى أن تندم عليه ؟ .. اذا شئت أن تحظى بالصحة ، والسعادة ، والحظ الطيب ، فاعتمد على الآلهة واعمل بمشورتها .. واستجب لالهام نفسك مادمت طاهر القلب والروح !** »

وبعد ان كنت « حمارا » ، سمت بى الثقة فى الآلهة والاخلاص لها الى قمة الحكمة !




# "معجزات" العصر الذرّى



كما يتنبأ بها العالم الذائع الصيت
"البروفيسور ا. م. لو"

تلخيص : الدكتور محمد جلال الدين

## صور رائعة .. لعالم الغد !



◆ نحن الآن فى بداية العصر الذرى ! ولا بد أنك تسائل نفسك الآن عما ينتظر أن يكون عليه العالم بعد أن يتقدم هذا العصر ، وهو لابد أن يتقدم خلال حياتك . و « كتابى » يوفر عليك عناء التساؤل ، اذ ينقل اليك ـ تباعا ـ فصول أحدث كتاب عن عالم الغد ، وضعه العلامة الذائع الصيت « البروفيسور ا . م . لو » وتناول فيه :

١ ـ فجر العصر الذرى
٢ ـ الصحة والطب والتغذية فى عالم الغد
٣ ـ الحرب القادمة
٤ ـ الجريمة والعقاب والأخلاق فى المستقبل
٥ ـ الآلات والمواصلات فى دنيا الغد
٦ ـ الرياضة والفراغ والراديو فى عالم المستقبل

والمؤلف اذ يرسم لك صورا جد رائعة ، فاتنة ، لعالم الغد ، لا يستمد خطوط تلك الصور من خياله ، وانما هو يبنى تنبؤاته على أسس علمية عنى بتبسيطها الى الدرجة التى تمكن رجل الشارع من فهمها واستيعابها ، ويضفى عليها خبرته وتجاربه كعالم بحاثة ، وكمخترع قدم للانسانية أول طائرة تسير بتوجيه الموجات اللاسلكية ، وأكثر من خمسين اختراعا آخر !

.. ليس هذا فحسب . فان « البروفيسور لو » نشر فى سنة ١٩٢٥ كتابا عن « عالم الغد » ـ أى عالم اليوم ـ فاذا الأيام تحقق كل نبوءة أوردها فيه .. من تفتيت الذرة ، الى الصواريخ الموجهة .. الخ .

فتعال « نتفقد » الأساس الذى سيقوم عليه « عالم الغد » .. وهو : الطاقة الذرية .. أول فصول الكتاب :

# مقدمة المؤلف

• **لم** يكن أحد من ابناء العصور السالفة ليتصور ان العلم كان سائرا نحو التقدم الذى بلغه اليوم .. كان ثمة مليون متشائم فى مقابل كل متفائل واحد !.. وعندما قام « اورفيل رايت » بأول تجربة للطيران ، لم يصدق سوى نفر قليل من الناس انه طار ، ورفض رجال الصحافة نشر النبأ لأنه « شىء مضحك بعيد عن الاحتمال » !.. ومرت سنوات قبل ان يؤمن الملايين بما وقع اذ ذاك !

لذلك يحسن بك ـ قبل ان تحكم على اية نبوءة للعلم ـ ان تستعرض ما كان يقال فى الماضى ، ثم تقارنه بما هو قائم اليوم . لقد كتب وزير البحرية البريطانية الى الأخوين « رايت » فى سنة ١٩٠٧ ، يقول : « ان مجلس الامبرالية يرى ان الطائرات لن تكون ذات منفعة عملية للبحرية » .. وكتب البروفيسور ايرازمس ويلسون فى سنة ١٨٧٨ يقول : « أما عن الضوء الكهربائى ، فما أكثر ما قيل فى صفه وما قيل ضده ، على اننى أرى ان بوسعى أن أقول ان الضوء الكهربائى سينتهى بانتهاء معرض باريس ، ولن يسمع عنه بعد ذلك شىء يذكر » !.. فهل يكفيك هذا ، أم تحب أن نذكرك بأن نظرية البكتيريا كانت موضع سخرية واستهجان منذ مائة عام أو أقل !

ذلك لأن الانسان العادى لا يبهجه شىء قدر ان يكذب كل نبوءة ، ومن هنا كان طريق الأنبياء دائما محفوفا بالأشواك !..

**ولقد أثير موضوع التكهن بالمستقبل ـ منذ خمس وعشرين سنة ـ واتخذت منه الصحف والمجلات مادة للفكاهة . وأطرف ما فى الأمر ان الأغلبية الساحقة من التنبؤات التى قيلت اذ ذاك ، تحققت اليوم ، وأصبحت من الأشياء العادية : كالتليفزيون ، والرادار ، والصواريخ ، والطائرات التى تسبق**

## الصوت فى السرعة ، والتلقيح الصناعى ، وعلاج الجنون بجراحة المخ !

على ان المسألة ليست مجرد تكهن وخيال ٠٠ ان لدينا اليوم مئات من المخترعات « الوليدة » ، التى قد تصبح من الشوامخ خلال قرن ، أو أقل ، وربما أحدثت انقلابا فى الشطر الأكبر من حياة الجنس البشرى ٠ فكيف نميز بين الصالح الذى سيبقى وينمو ، وذاك الذى لن يقدر له ان يبقى ، من المخترعات الوليدة ؟٠٠ ان المرء حين يستعرض نبوءات العلم الماضية ، يلمس أن «نقص التقدير» كان أسهل من «الاسراف فى التقدير» بالنسبة لكل نبوءة ٠٠ فالبحرية البريطانية مثلا ، لم تحبذ « التلغراف » فى البداية ٠٠ وبعد عشرات من السنين ، قالت نفس الهيئة ان « التلغراف اللاسلكى » شىء لا قيمة له ، ولكنها اضطرت الى استخدامهما فيما بعد٠٠وقالت قبل ذلك وبعده أن المحركات قد لا تكون ذات نفع يذكر للبحرية ، ثم اعترفت بالانقلاب الذى احدثه « الطوربيد » و « الغواصة » ، عندما اضطرتها الغواصات بالذات الى ان تجثو على ركبتيها فى الحرب العالمية الأولى !

## سنرى الكثير ٠٠ خلال ربع القرن القادم !

◆ **وهذا** الكتاب ، يتطلع الى ما يرجى خلال خمس وعشرين سنة ، فى بعض الميادين ، وخمسين سنة فى ميادين أخرى ، ومائة سنة فى ميادين ثالثة ٠ وخليق بنا ان نعود الى مثل هذه المدة فى الماضى ، لنتبين ضخامة التطورات التى يمكن ان تحدث فى فترة كهذه ٠ فمنذ مائة سنة ، لم يكن لدينا من آلاف الأشياء التى نحظى بها اليوم سوى النذر اليسير٠٠لم تكن هناك اضاءة كهربائية ، ولا قوى محركة من المصادر المألوفة اليوم ، ولا وسائل للنقل تسير بقوة المحركات ، ولا تليفون ٠٠ ولم تكن

مولدات القوى البخارية الحالية ( التوربينات ) قد اخترعت بعد ، ولا المواد المتفجرة الشديدة ، ولا أسلحة الحرب الحديثة على تباين انواعها ٠ وكانت السفن تصنع اذ ذاك من الخشب ٠٠ ولم تكن الطائرات قد حلقت فى الجو ٠٠ ولم تكن هناك صناعات كيميائية تقوم على المواد البديلة ـ كصناعة اللدائن او البلاستيك ـ ولا صناعات لحفظ الأطعمة والتبريد ، بالنطاق المعروف حاليا ٠٠ وكانت الجراحة مغامرة يروح ضحيتها الكثيرون من المرضى ٠٠ وكانت الشموع ومصابيح البترول هى المصدر الوحيد للاضاءة ٠٠

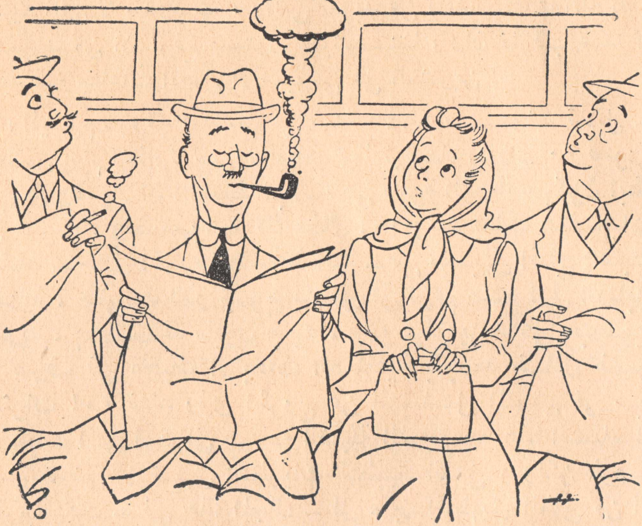
ومن الطبيعى ان يقال ان التقدم العلمى المادى قد لا يواصل سيره ، فى المائة العام القادمة ، بنفس المعدل الذى سار به فى المائة الماضية ٠ ولكن النظر الى الماضى يساعدنا على تقدير الفرص المحتملة للمستقبل ٠ ومع ذلك ، فليس من الضرورى ان نرجع مائة عام فى نظرتنا الى الماضى ، بل يكفى ان نستعرض ما كان منذ خمس وعشرين سنة ٠٠ **فاذ ذاك ، لم يكن ثمة وجود لكثير من الأشياء التى نتقبلها اليوم قضية مسلمة ، ومنها التليفزيون ، والرادار ، والفلوريسنت ، واللدائن ، وكثير من العقاقير والأدوية ـ كالسلفا والبنسلين ـ والمطاط الصناعى ٠٠ ولم تكن هناك خطوط جوية منتظمة لنقل الركاب عبر المحيطات ٠٠ وكانت كثير من الجراحات ـ لا سيما تلك التى تتعلق بالقلب ـ فى بدايتها ، تحف بها الهواجس والمخاوف** ٠ واذا قدرنا اليوم ان هذه الأشياء كلها لا تزال فى « طفولتها » ، فمن الخليق بنا ان نتوقع الكثير من ورائها حين تبلغ يفاعها ، بعد خمس وعشرين سنة أخرى

## لا مستحيل على الأرض !

٠ **وفى** سبيل التنبؤ بما سيبلغه العلم فى المستقبل ، يجب

أولا أن نميز بين : الحقائق الثابتة،والظواهر الطبيعية،والسلوك الانسانى ..

والأسلوب الذى انتهج فى هذا الكتاب ، يتناول الأحداث واتجاهاتها المحتملة ، اكثر مما يعنى بتحديد تواريخ وأوصاف الأحداث المقبلة ، بالتفصيل . والتنبؤ بما يرتقب فى المستقبل لا يتطلب من المتنبىء ان يكون اخصائيا فى فرع معين من العلم، والا تعرض لأن تقتصر نظرته على الزاوية التى يحددها له الفرع الذى تخصص فيه .. هذا الى اننا يجب – اذا شئنا أن نفحص المستقبل – ان نقر أولا بأن لا مستحيل على الأرض ! على اننا بجانب هذا يجب ان نستوثق من ان كل تطور مقبل يتمشى منطقيا مع الذى سبقه . ولقد كان تفتيت الذرة يعتبر – فى سنة ١٩٤٥ – تمشيا منطقيا مع الاكتشافات النظرية التى توصل اليها اللورد رذرفورد .. بل أن هناك من توقع فى سنة ١٩٣٠ امكان تفتيت الذرة ، ولكن احدا لم يجرؤ على ان يحدد تاريخ هذا الحدث بدقة . ومن ثم نرى ان البوادر المنبئة عما يحتمل ان يكون بعد مائة سنة ، موجودة بالفعل فى شكل من الأشكال .. ولو ان الناس وجهوا الى سير عقولهم دراسة تضارع تلك التى وجهوها الى سير الآلات ، لسهل التنبؤ بما سيكون عليه السلوك البشرى فى المستقبل ، بنفس الثقة التى نرقب بها الاتجاه المقبل للحضارة !



# فجر العصر الذرى

◆ **عندما** أيقن العالم أجمع – فى عام ١٩٤٥ – ان تفتيت الذرة أصبح حقيقة واقعة، وان العبقرية الآدمية قد توصلت الى اطلاق بعض الطاقة المكبوتة فى الذرة، بدأت التنبوءات الجريئة تترى عن ثورة صناعية على وشك الحدوث ٠ وارتأى البعض ان مشكلة الوقود قد حلت نهائيا ، وانه سيصير فى مقدورنا ان ندفع بسفينة كبرى – حمولتها ثمانون ألف طن – عبر المحيط الأطلسى ، بقوة منطلقة من قطعة صغيرة من الفحم ، وان ندع مصابيحنا مضاءة ليل نهار ، وان نستخدم القوى المحركة فى

كل غرض ، دون ان نكلف أنفسنا شيئا يذكر ٠٠ كما ان القوى الغنية التى لا حدود لها ، والتى تتولد عن المنشئات الذرية ، ستمكننا من ان نرفع مستوى معيشتنا ، وان نترقب عهدا لا تزيد فيه ساعات العمل الأسبوعى على العشرين !

واليوم – وقد انقضت على سنة ١٩٤٥ سنوات قلائل – تنعكس أمام أنظارنا صورة مختلفة عما ترقبناه اذ ذاك ٠٠ **صورة تبين فى وضوح ان الاستخدام السلمى للقوة الذرية سيكون ابطأ فى تطوره ، واصعب مما كنا نخال !٠٠ ولقد بذلت التضحيات بسخاء – خلال الحرب العالمية الثانية – فى سبيل انتاج القنبلة الذرية ، حتى لقد قدر مجموع ما انفق الى أن تم صنع أولى القنابل الذرية ، بخمسمائة مليون جنيه ، وهو مبلغ يزيد على مجموع ما صرف فى محيط الأبحاث الصناعية بأجمعه خلال خمس سنوات !٠٠** فلقد رؤى الخروج عن التسلسل المنطقى فى سير الأبحاث التى أدت الى صناعة القنبلة الذرية ٠٠ هذا التسلسل الذى يقتضى ان تسبق النظريات التطبيق العملى ٠ ولكن ظروف الحرب دعت – فى هذا المجال – الى تمكين التطبيق العملى من أن يسبق الأبحاث النظرية ، مما ترتب عليه الآن وجود حالة من الركود ، ريثما يسد الفراغ العلمى الذى نشأ عن هذا السبق ٠ واصبح على العلماء والفنيين ان يحلوا – خلال السنين القليلة القادمة – عددا من المشاكل ٠٠ وعندئذ فقط يمكننا التنبؤ بحق عن انشاء مؤسسات صناعية تدار بالقوة الذرية ٠٠

ومن هذه المشاكل ، تدبير مواد تستطيع تحمل درجات الحرارة الهائلة التى تتطلبها بعض العمليات الذرية ٠ ويجب ان تكون هذه المواد بحيث لا تتأثر بطول تعرضها للطاقة الاشعاعية الشديدة ٠ وتنبىء الأبحاث الجارية بأن التغلب على هذه المشكلة الفنية لن يستغرق وقتا طويلا ٠٠ وقد يحدث ان يحتاج عصرنا الذرى الى مواد لم تكن ذات شأن من قبل !

## مشكلة التخلص من مخلفات الأجهزة الذرية !

• على ان هناك مشكلة أخرى ، هى وسيلة التخلص من المواد العادمة التى تلفظها المنشئات الذرية ٠ فقد كانت القوى المولدة الى يومنا هذا ، مؤسسة على عمليات كيميائية هى فى مجملها اكسدة واحتراق ٠٠ ويصحب التفاعل الكيميائى تولد حرارة تؤدى الى تخلف مواد جديدة يسهل التخلص منها ، كالرماد فى حالة الفحم والخشب ، والغازات العادمة فى حالة البترول ٠ واسوأ ما يمكن حدوثه عندما تنبعث هذه المخلفات فى الهواء ، هو انتشار كمية من غاز ثانى اكسيد الكربون ، والروائح الكريهة ٠ **أما اهمال التخلص من نتاج الأفران الذرية ، فيؤدى الى قتل جميع السكان لمدى أميال عديدة ٠٠ فان اوقية واحدة من مخلفات الأفران الذرية لها خطرها بسبب نشاطها الاشعاعى ، لا سيما وان هذا النشاط قد يستمر ألف عام ٠ ولقد بلغت مشكلة التخلص من مخلفات الأجهزة الذرية في يومنا هذا حدا مربكا ، رغم انها لا تتجاوز بعد بضعة أرطال ، فما بالك اذا قدر لها مستقبلا ان تزن أطنانا ؟!** ٠٠ ومن الطريف ان البعض يفكر فى التخلص منها بوضعها فى صواريخ كبيرة تقذف الى الأجواء العليا ، حتى اذا تبعثرت المواد المشعة على بعد بضعة آلاف من الأميال من سطح الأرض ، انعدم خطرها ٠٠ ولكن مثل هذه الصواريخ يجب ان تتمكن من النفاذ من مجال الجاذبية الأرضية !

ومشكلة التخلص من المخلفات الذرية سيصير لها شأن يذكر اذا توصل العلم الى بناء « سفينة جوية » تسير بالصواريخ الذرية ٠ هذا فضلا عن ان الاستخدام الحر للوقود الذرى قد يتسبب فى تسميم الجو ، ومن ثم فالعالم فى حاجة لاتفاق دولى يمنع استخدام أنواع الوقود الخطرة لمدى بضعة آلاف من الأميال من الكرة الأرضية !

## استخدام الذرة فى التدمير ، أسهل منه فى التعمير !

◆ على ان الصعوبات التى أجملناها ليست سوى مشاكل فنية لابد وان تتغلب عليها عبقرية العلماء يوما ما . والمعضلة الرئيسية فى مجال استخدام القوى الذرية فى الصناعة هي انتاج الوقود الكافى لادارة الأفران الذرية بطريقة ناجحة اقتصاديا . والوقود الذرى الأول فى الوقت الحاضر هو عنصر «اليورانيوم ٢٣٥» . ولكننا بحاجة الى مايزيد على الموارد المعروفة - أو المرتقبة - لهذا العنصر ، اذا اريد استغلال الذرة على نطاق عالمى . ومع ان جميع الذرات قابلة للتفتت - من الوجهة النظرية - الا ان بعضها يتعذر استغلاله ، ومن ثم فان الطريق التجارى الوحيد لاستخلاص الطاقة الذرية هو استخدام « اليورانيوم ٢٣٥ » ، وهو موجود فى الطبيعة بكميات قليلة نسبيا .

ومن أهم الاجراءات فى عملية التفتيت ، فصل «اليورانيوم ٢٣٥ » عن سواه .. وهو اجراء بالغ التعقيد ، ويحتاج الى خامات جد غنية لا تتوفر فى العالم الا بكميات محدودة لا تساعدنا على تصور تعميم مولدات القوى الذرية . الا اننا قد نتغلب على هذه الصعوبة بعملية « توليد الوقود » ، وتتلخص فكرتها فى انه بالامكان حرق « اليورانيوم ٢٣٥ » فى فرن خاص ، لانتاج كمية من الوقود الثانوى - «البلوتونيوم» أو «الثوريوم» - أكبر من القدر الذى يستهلك كوقود أولى . وهنا تستخدم « النيوترونات » الزائدة فى تحويل الذرات غير القابلة للتفتيت الى ذرات قابلة له . وقد تقدمت الأبحاث فعلا فى هذا الطريق ، ومن المحتمل ان يتمكن العلماء - بعد سنوات قلائل - من انشاء أفران مولدة تنتج الوقود اللازم للمؤسسات الذرية الصناعة !

**ومن المحتمل كذلك ان نتمكن مستقبلا من انتاج الطاقة بتفتيت ذرات أخرى .. وان توقع تسيير سفينة من سفن المحيط**

**مسافة ألف ميل بواسطة مقدار من الماء لا يزيد على ملء ملعقة ، لأمر بعيد الاحتمال جدا ، رغم ان هذا القدر من الماء يحتوى على الطاقة المطلوبة لذلك ٠٠ الا ان الأمل لا يزال يحدونا فى التوصل الى اكتشاف كيفية استخدام طاقة عناصر أخرى غير « اليورانيوم » ٠ وتشير القنبلة الهيدروجينية الى شيء من النجاح فى هذا المجال ٠ ولكن استخدام هذا النوع من الطاقة فى أغراض التدمير أسهل جدا منه فى المجال الصناعى ! ٠٠** ومن المؤكد فى الوقت الحاضر ، ان المساهمة الفعالة للمنشئات الذرية ، فى توفير القوى العالية ، ستظل بعيدة الاحتمال ، الى ان نتوصل الى ايجاد وسيلة جديدة للحصول على الوقود الذرى ، لا سيما وان نسبة كبيرة مما يتيسر الحصول عليه من هذا الوقود ـ حاليا ـ ستقصر على انتاج الأسلحة الذرية المدمرة !

## رطل يورانيوم = ٧ آلاف طن فحم !

◆ **والطاقة** الذرية اذا أطلقت فى الفرن الذرى ـ دون أن تجمع الحرارة الناشئة ـ أو أطلقت عن طريق انفجار القنبلة الذرية ، لايمكن استخدامها بسهولة ، اذ اننا نحتاجها على هيئة حركة ميكانيكية أو كهرباء أو حرارة ، حتى نتمكن من مراقبتها وتوزيعها كيفما نشاء ٠ وهذا يخلق مشاكل هندسية ، منها ابتكار وسائل لنقل الحرارة بشكل يتناسب وانتاج الحركة الميكانيكية ٠ وقد لا يصعب ايجاد الناقل الحرارى ٠٠ ويمكن كخطوة أولى استخدام حرارة الأفران الذرية فى تدفئة المبانى !

**ولن يتسنى الاستغلال الحقيقى للطاقة الذرية الا عندما تتكشف الوسائل الكفيلة باستخدام الطاقة بشكل مباشر ، بدلا من الطريقة غير المباشرة ٠ فلو أننا تمكنا من تحويل هذه الطاقة الى كهرباء ، بعملية واحدة ، لاقتصدنا كثيرا ، ولاكتفينا بمحطات توليد أصغر بكثير من المحطات الحالية ٠** ويجب أن

نعترف بأن الاستخدام المباشر للطاقة النووية يبدو فى الوقت الحاضر على درجة كبيرة من الصعوبة ، ولكنه ليس أبعد احتمالا من توليد الكهرباء على نطاق واسع ، فى نظر علماء القرن الثامن عشر

على أنه يجب ألا يغرب عن بال المفكرين فى مستقبل الطاقة الذرية ، ان استخدامها كمصادر للقوى ، تكتنفه الصعاب ٠ ومن ثم فهى لن تستخدم فى وسائل النقل الشعبية العادية بطريقة مباشرة ، ولكن من المحتمل استخدامها فى هذا المجال بواسطة توليد الكهرباء منها ، وتخزينها ٠ ولكن الأمر يختلف فيما يتعلق باستخدام الطاقة الذرية فى السفن ، فهذه لن يعوقها كبر الحجم أو ثقل الوزن ٠ وتقدر الطاقة المتولدة عن رطل واحد من اليورانيوم ـ من الوجهة النظرية ـ بما يعادل سبعة آلاف طن من الفحم ، وهو ما يكفى لدفع سفينة كبرى من سفن المحيط مسافة طويلة ٠ وسيكون للمولدات الذرية ولا شك شأن كبير فى حرب الغواصات الطويلة الأجل

## مضار الطاقة الذرية ٠٠ ومزاياها

• **والاجراءات** الواقية للعاملين بالطاقة الذرية من المشاكل الرئيسية التى تتطلب عناية دائمة ٠ وتتضمن هذه الاجراءات: الفحص الجسماني ، واختبارات الدم ، وحمل الأجهزة الحساسة التى تقيس كمية ما يتعرض له العامل من اشعاع ، والملابس الواقية ، وغير ذلك ٠ والاشعاع الذرى خطر ، لاسيما وأنه يصيب دون أن ينذر ! فهو لا يحس ، ولا يشم ، ولا يذاق ، ويمكن أن يصدر عن كمية من التراب لا ترى بالعين المجردة ٠٠ ولا تظهر آثاره سريعا ، ولكنها تتراكم بمضى الوقت ٠ وقد تمتد هذه الآثار من جيل الى جيل !

**والاجراءات الوقائية المعقدة ، التى يستدعيها التفتيت الذرى، تجعل استخدام الطاقة الذرية كوقود للسيارات صعبا للغاية٠٠**

**فقد تصنع سيارة ذرية مع مراعاة جمع مخلفات التفتيت الذرى بواسطة أفراد مدربين ، ووضع حاجز واق بين المواد المشعة وبين السائق والركاب ٠ على أن تحطم السيارة فى أى حادث من الحوادث يصبح مصدر خطر كبير**

أما وقد سردنا بعض عقبات استخدام القوى الذرية فى المجال الصناعى ، فاننا نذكر الآن شيئا عن مزاياها ٠ وأولى هذه المزايا الاقتصاد الكبير فى الوقود وفى وسائل نقله ٠ ولهذا الاقتصاد أهميته القصوى فى بعض المناطق النائية ، اذ أن هناك من المشاريع الهندسية الضخمة - كرى الصحارى الكبرى - ما يتعذر تنفيذه فى الوقت الحاضر ، بسبب التكاليف الباهظة ، وصعوبة نقل الوقود

ومن المزايا الأخرى ، ان الوقود الذرى لن يحتاج لكثير من الأيدى العاملة التى تضطلع بعمليات مكروهة ٠ ففى السنوات الاخيرة ازدادت صعوبة اغراء العمال على العمل فى مناجم الفحم ، لما فى هذا العمل من قذارة وارهاق وخطر ٠ وكلما ارتفع مستوى المعيشة بين العمال ازداد نفورهم من الاشتغال بأعمال مناجم الفحم ، أو المعيشة فى مناطقها ٠ أما مناجم اليورانيوم فتحتاج لأيد عاملة قليلة نسبيا

**ومن مزايا القوة الذرية كذلك انها ستجعل فى الامكان تنفيذ مشاريع هائلة لا يمكن القيام بها الآن ، اعتمادا على ما بين أيدينا من مولدات القوى ٠ وفى الوقت المناسب ، سيصبح فى الوسع تنفيذ مشروع مثل اذابة الجليد القطبى ، لاضافة آلاف الأميال المربعة للأراضى المزروعة !٠٠** على أن العوامل الاقتصادية المرتبطة بالتفتيت الذرى تشير الى أن الفحم والبترول سيظلان فى مركزيهما سنوات عديدة ، قبل أن تنافسهما القوى الذرية منافسة فعالة

## الانسان لن يترك الشمس دون استغلال !

• **ويضاف** الى مصادر القوى أيضا ، الاستخدام المباشر لأشعة الشمس . ويبدو هذا لأول وهلة مبشراً باستغلال سريع ، لأنه ـ كما يظهر ـ لا يحتاج لنفقات باهظة . فلو أننا نجحنا فى تحويل الطاقة الشمسية التى تصل الينا الى نوع آخر من الطاقة ، يتناسب والقوة الحركية ، لكنا بذلك نستغل قوة ذرية ، لأن الطاقة الشمسية مصدرها التفتيت الذرى . ويقدر وزن الذرات الشمسية التى تتفتت بما يزيد على أربعة ملايين طن فى الثانية الواحدة ! .. ومن دواعى الطمأنينة أن الكتلة الشمسية تبلغ من الضخامة حدا يسمح لها بأن تظل آلاف الملايين من السنين ، دون أن يحدث بها تغيير يذكر . على أنه لا يصل الى الأرض الا جزء من مليون من الطاقة الشمسية.. ورغم هذا القدر اليسير ، فان معدله على سطح الكرة الأرضية يقدر بقوة حصان ونصف لكل ياردة مربعة . وبمعنى آخر ، لو تمكنا من استخدام الطاقة الشمسية التى تقع على أربع ياردات مربعة من سطح الأرض ، لتجمع لدينا من الطاقة ما يكفى لدفع دراجة بخارية !

**وقد صرح الروس ـ فى السنوات الأخيرة ـ بتقدمهم فى هذا المجال ، وساعدهم على ذلك وجود مناطق شاسعة فى بلادهم ، معرضة لقدر كبير من أشعة الشمس ، وتنقصها مصادر القوى الأخرى . وقد قالوا انهم يديرون مصنعا للأطعمة المحفوظة فى ( طشقند ) بواسطة الطاقة الشمسية ! .. كذلك صنعت فى الولايات المتحدة أجهزة لطهو الطعام تعمل بالطاقة الشمسية ، كما أن بيوتا كثيرة ـ فى ( فلوريدا ) ـ تزود بالماء الساخن بواسطة دائرة مقفلة متصلة بمصاص شمسى مركب على سطح البيت . ومن المتوقع أن تعم هذه الابتكارات فى تسخين الماء وطهو الطعام فى المناطق الحارة ، حيث تتوفر الأشعة الشمسية!**

وليس من المتوقع ادارة المصانع بواسطة الطاقة الشمسية مباشرة ، اذ أن الغلايات ( القزانات ) لا تعمل الا فى درجات عالية من الحرارة ٠ ولكن العلماء قد يتمكنون فى المستقبل القريب من حل هذه المعضلة عن طريق آخر ، وذلك بواسطة استخدام الطاقة الشمسية لتوليد الكهرباء ٠ ولقد تم بالفعل صنع بطاريات تولد قدرا يسيرا جدا من الكهرباء بواسطة الطاقة الحرارية أو الضوء ٠٠ فلو توصل العلماء الى ابتكار أنواع من البطاريات تستطيع تحويل الطاقة الشمسية الى قدر كاف من الكهرباء ، أمكن التنبؤ ببناء المصانع التى تدار بهذه القوة ، فى البقاع المناسبة ، كالصحارى ٠ كما أنه اذا توفرت القوى الكافية للرى ، لأمكن تحويل بقاع شاسعة جرداء الى أرض خصبة

## هل يعود عهد طواحين الهواء ؟!

◆ **ولقد** كادت القوى الهوائية أن تتوارى أمام قوى الفحم والبترول والقوى المائية ٠ ولكن المعلومات الحديثة فى رياضة الطيران ، مكنت من ابتكار نوع من المولدات يدور بالهواء ، وله من الكفاية ما يفوق « الطواحين الهوائية » القديمة ٠ وقد أنشىء ــ فى سنة ١٩٥٠ ــ مولد فى جزر ( أوركنى ) يبلغ طول الريشة منه ستين قدما ، على برج ارتفاعه مائتا قدم ، وفى بقعة يصل معدل سرعة الريح فيها الى أربعة عشر ميلا فى الساعة ٠ **وتقدر قوة هذا المولد بمائة كيلوات ٠ وينتظر انشاء مثل هذه المولدات على طول الساحل الغربى لبريطانيا ٠٠ وتبلغ تكاليف المولد الواحد نصف مليون جنيه ٠ وقد وجد أن خمسمائة مولد من هذا النوع توفر ثلاثة ملايين طن من الفحم فى العام !٠٠ وتساعد هذه المولدات على توليد قوى بتكاليف بسيطة ، فى أماكن لا تتوفر فيها قوى الفحم أو القوى المائية ٠ والبقاع القطبية ميدان ناجح لهذه المولدات ، ففيها تهب الرياح دواما ٠ ووجود**

**المولدات الهوائية بها يمهد السبيل لاستغلال الثروة المعدنية التى يعتقدون وجودها تحت الجليد المتراكم هناك !**

ويجرى التفكير الآن فى استغلال حرارة البحار والحرارة المتولدة فى باطن الأرض ، ولكن التكاليف الباهظة التي تحتاج اليها مثل هذه المشاريع تؤخر اتخاذ الاجراءات العملية فى هذا الشأن ۰ فان العامل الرئيسى فى تطور واستخدام مصادر القوى المختلفة ــ بما فيها التفتيت الذرى ــ هو تكاليف العمل ۰ وفيما عدا مجالات خاصة ، نجد أن تكاليف التفتيت الذرى قد تفوق تكاليف انتاج الفحم والبترول ۰ ونجد من ناحية أخرى أن احتياطى الفحم والبترول فى العالم قابل للنفاد ، ولذا فان الضرورة سوف تتطلب فى المستقبل البعيد البحث عن مصادر أخرى للقوى

## تأملات ۰۰ فى عالم الغد !

◆ **ان** الصورة التى ترتسم فى أذهاننا عن توليد القوى بعد قرن من الزمان ، تختلف كل الاختلاف عما هى عليه اليوم ۰ فلسوف تتركز الصناعات التى لن تستغنى عن الفحم حول مناجم جديدة له ، سهلة الاستغلال ۰ وستقتضى الضرورة المحافظة على محصول البترول العالمى ، وقصر استعماله على نواح خاصة ۰۰ بل سيحتاج الأمر الى انتاجه صناعيا من الفحم ! ۰۰ أما الأماكن التى لا يتوفر بها توليد القوى من الفحم أو الماء ، فستقام بها المولدات الذرية ، كما ستنتشر الأجهزة الذرية التى تولد القوى اللازمة للاستهلاك المنزلى ۰ **ولن يفكر انسان ، يعيش فى المناطق الحارة ، فى استخدام الفحم أو البترول أو الخشب للتدفئة أو التبريد ۰۰ ففضلا عن حرارة الشمس ، ينتظر أن ينتشر استخدام المضخة الحرارية التى تعمل بطريقة عكسية لدائرة التبريد ، والتى تمتص حرارة غرفة لتبريدها ، أو تدفع الحرارة اليها لتدفئتها !** وما وقودها الا مجرد كمية من

المياه ذات درجة حرارة تختلف عن حرارة الهواء المحيط بها ٠٠ وتستخدم هذه المضخات فى يومنا هذا فى ( سويسرا )

ولسوف يستمر استخدام الفحم كوقود لفترة ما ، ولكن استخدامه لن يلبث أن يقتصر على الصناعات الكيميائية وعلى انتاج الصلب ٠ أما النقص المنتظر فى موارد البترول ، فسوف يتأخر بعض الوقت ، بسبب الكشف عن منابع جديدة له ، وتحسين وسائل انتاجه واستخدامه ٠ وقد يتوصل العلماء الى انتاج نوع من البترول يكفى الجالون الواحد منه لدفع سيارة مسافة مائتى ميل ٠ أما الطائرات ، فستستخدم فيها المحركات النفاثة التى تعمل بأنواع من الوقود السائل أثقل وأرخص من البترول ٠ وقبل أن يأتى الوقت الذى نضطر فيه الى تحديد استهلاك البترول الطبيعى ، ينتظر أن تعمل المحركات ذات الاحتراق الداخلى بوقود صناعى على درجة عالية من الكفاية

هذه التأملات المختصرة فى مستقبل مصادر القوى لها ضرورتها اذا أردنا القاء نظرة صادقة على تفتيت الذرة كمصدر للقوى ٠ ومن المؤكد أن الأبحاث الذرية وانشاء الأجهزة المنتجة للمواد المشعة سيسير قدما ، حتى ولو فشلنا اقتصاديا فى تعميم استخدام التفتيت الذرى كمصدر للقوى فى الصناعة ٠ ولسوف تزودنا الأبحاث الأساسية فى تكوين المادة ، بالمعلومات الكافية لانتاج سلسلة من المواد الجديدة ٠ ثم انه من المعروف أن النشاط الاشعاعى يؤثر فى تفاعلات كيميائية وطبيعية عديدة ، ولذا فمن المؤكد أن يتوصل الاخصائيون الى الكشف عن عمليات صناعية أساسية جديدة متعددة

## النظائر المشعة ٠٠ أو « العيون السحرية » !

◆ **ومن** الأبحاث الجارية ما أظهر الأهمية البالغة لمنتجات الأفران الذرية ٠ فقد مكنت هذه الأفران من انتاج «النظائر»، التى صارت سلاحا جديدا فى أيدى الاخصائيين فى مختلف فروع

العلم . وهذا ينقلنا الى الحديث عن « النظائر »، وهى المجموعات المختلفة من ذرات المادة الواحدة . فان النظير اذا كان ذا نشاط اشعاعى ، سمى «نظير مشع» . وقد كانت النظائر معروفة قبل تفتيت الذرة ، ومن أمثلتها البارزة نظير « الأيدروجين » الذى يثقل « الأيدروجين » الطبيعى قليلا ، وفى اتحاده بالأوكسجين يكون « الماء الثقيل »

وترتكز قيمة النظائر المشعة ، فى مجال البحث ، على الكيفية التى تميز بها الذرات الفردية ، وعلى سهولة اقتفاء أثرها . وكمثال لذلك نذكر أننا نحتاج الى الفسفور فى طعامنا ، ونتناول قدرا منه فى غذائنا اليومى فعلا . ويتخذ الفسفور طريقه الى العظام والمخ وبعض الأعضاء الأخرى ، ثم يتخلص الجسم من بقيته . ولكى نلم بأطراف قصة الفوسفور منذ ابتلاعه الى وقت وصوله الى العظام ، كان الأمر يستدعى عمليات تشريحية وتحليلية معقدة ، ولا تفضى الى دراسات وافية . **أما اذا تناول الانسان فسفورا مشعا ، فانه يمكن تعقبه خلال الجسم ، بفضل ما له من خاصية الاشعاع . اذ أنه يعلن عن نفسه أينما حل ، ويمكن رسم حركته رسما دقيقا منذ دخوله فى الفم الى أن يصل مثلا لداخل الأسنان !**

وما يقال عن الفوسفور ، يمكن قوله عن غيره من العناصر وبعض المركبات الخاصة . والنظائر تزود رجال الأبحاث بوسيلة يعتمد عليها فى تعقب حركات الذرات الفردية أثناء العمليات الطبيعية أو الصناعية ، فكما أنه يمكن تعقب الفوسفور داخل جسم الانسان ، يمكننا أيضا تعقب ذرات أخرى مثل ذرات الكربون والمنجنيز فى سبيكة الصلب ، ومثل سماد الأرض الذى يجد طريقه الى النباتات ، مما يسمح لنا باستخدام السماد استخداما صحيحا .. فقد يثبت لنا الفحص أننا نضيع قدرا كبيراً من المواد والمجهود بوضع مواد على الأرض بشكل خاطىء وفى غير الوقت المناسب . وفى وسع المزارعين اليوم

كشف طريق الجذور تحت الأرض ، وفحص سنابل القمح ، بواسطة عداد « جيجر » - للاشعاع الذرى - وذلك لمعرفة كيفية امتصاص النبات لغذائه من تربة الأرض !

## معجزات العصر الذرى !

◆ **ويفيد** كل فرع من فروع العلم بهذه « المتعقبات » أو النظائر المشعة ٠ فهى تستطيع مساعدة الاخصائيين فى البترول - مثلا - فى زيادة تفهم عملية الاحتكاك التى كلما ازداد الحد من فعلها ، ازدادت صلاحية الآلات وتحسن انتاجها ٠٠ وفى امكانها المساعدة على متانة المنسوجات وخواص اللدائن ( البلاستيك )

**أما قيمتها فى عالم الطب فلا تخفى ٠ وقد ذكرنا الفسفور مثلا لها ٠ وخلال الخمسين عاما القادمة ، ستزودنا الأبحاث بمعلومات شاملة عن العمليات التى تجرى فى جسم الانسان ٠ كما أنها ستساعدنا على وضع التشخيص الدقيق للأمراض ٠٠ فالواقع أن نتاج الأفران الذرية سلاح جديد فى علاج المرض ومعرفة مكمنه !** وفى الامكان تحضير نظائر مشعة تدوم أياما قلائل ، قبل أن يقل نشاطها الاشعاعى وينعدم ٠ وبذلك تسنح لنا فرصة توصيل الاشعاع الى أعضاء فى صميم جسم الانسان ، فيمكن استخدام اليود المشع للتأثير على الغدة الدرقية مثلا ٠ كذلك توجد اليوم مواد متعددة لها أهميتها فى علاج أعضاء الجسم المختلفة ٠ ولا يغرب عن البال أن مثل هذا الطريق العلاجى يحتاج الى حرص زائد بسبب الآثار الضارة للنشاط الاشعاعى ، ولكننا لا نشك بتاتا فى اتساع نطاقه على مر الأيام ٠ ويزودنا الفرن الذرى أيضا بكمية غير محدودة من المواد المشعة التى يمكنها أن تحل محل عنصر الراديوم - الثمين النادر - فى علاج السرطان ٠ كذلك يمكن استخدام الأشعة النيوترونية القوية ، الصادرة عن الفرن الذرى ، بشكل يشبه استخدام

الأشعة السينية ، للكشف عن « المحجوبات » ‥ ولهذه العملية أهمية كبرى فى أبحاث معينة

وهكذا ، سيصير تفتيت الذرة بعد مائة عام شيئا عاديا ، وسيعتاد الناس النشاط الاشعاعى فى مختلف نواحيه ، بحيث يصبح تفاديهم لأخطاره سهلا طبيعيا ‥ تماما كما اعتدنا اليوم أن نعيش وقد امتدت حولنا ملايين الأميال من الأسلاك الكهربائية الخطرة ، والى جانبها عدد لا يحصى من الآلات والأجهزة . ومن ثم ، سينظر الناس - بعد مائة عام - الى الأخطار الكامنة فى الاشعاع الذرى ، كأمور طبيعية مألوفة. أما الفائدة التى ستعود عليهم منها ، فستفوق كثيرا مجموع ما أفدناه من الاكتشافات التى ظهرت فى النصف الأول من القرن الحالى !

( وفى العدد القادم ، نقدم لك الحلقة التالية من هذا الكتاب الشيق ، وفيها يتحدث المؤلف عن « الصحة والطب والغذاء » ‥ فى عالم الغد ! )

## الساحر ‥ والماردان !

◆ تباهى ساحر أمام مدرس بأنه قد خلص امرأة من ماردين سكنا بدنها ، فسأله المدرس :

- وأين ذهبا ؟

- لقد أرسلا الى البيت المجاور !

- ولم ؟ لقد كنت قادرا على ان تبعث بهما الى متاهة بعيدة !

- منعنى من ذلك أمران : الأول ، ان الماردين خليقان بأن يلوذا بالصمت حين يريان انهما قد استبدلا منزلا بمنزل ، ولكنهما حقيقان بأن يحلا بى النقمة المؤكدة لو قذفت بهما الى متاهة لا يجدان بها من الانس من يسكنان ! ‥ والامر الثانى ، ان انتقال العفاريت من بيت الى بيت هو شىء لا معدى عنه لأستطيع ان أمارس حرفتى ، ولأستطيع ان أعيش !

فقال المدرس معقبا :

- حتى الشياطين أصبحت تعتبر سلعا تجارية فى هذا العالم !




# نيكراسوف

## المسرحية التى تكشف تضليل الصحافة الفرنسية للشعب الفرنسى !

### لعميد الفلسفة الوجودية "جان بول سارتر"

تلخيص : فرج جبران

## هذه المسرحية الساخرة ..

◆ هى آخر مسرحيات « جان بول سارتر » ، التى يسخر فيها من الصحافة الفرنسية والأساليب التى تتبعها فى تقديم الأخبار لقرائها . أما المجنى عليه فى هذه المهزلة .. أما الذى يدفع الثمن وهو غافل ، فهو الرأى العام ، أو قراء الصحف الفرنسية ! ولا عجب فى الأمر .. فان الفساد لم يترك ناحية فى فرنسا - سواء أكانت عامة أو خاصة - الا وتسلل اليها .. لا ، بل انه كثيرا ما يجد الأبواب مفتوحة أمامه ، فلا يحتاج الى حذر أو تسلل ، بفضل « سماحة » أولاد السين واللوار والجارون ، و « تمدينهم » الذى فاق كل الحدود !!

وها هو ذا فيلسوفهم الوجودى يكشف الغطاء عن نوع جديد من الفساد الفرنسى ، فى المسرحية الساخرة التى يقدمها لك « كتابى » فيما يلى :

## الفصل الاول

◆ **تبدأ** القصة فى دار احدى الصحف الحكومية التى تناصر أحزاب اليمين فى فرنسا . ورئيس تحرير هذه الجريدة يفاخر بأن جريدته تناصر جميع الأحزاب وتؤيد جميع الحكومات .. وما دامت سياسة الحكومة القائمة هى محاربة الشيوعية ، فان جريدته تشترك أيضا فى هذه الحرب ضد الشيوعية !

ويتصفح رئيس التحرير العدد الأخير الذى صدر من الجريدة ، فيكتشف أن محررا من محرريه قد نشر صورة لامرأة روسية ، وكتب تحت الصورة العبارة التالية :

« ان المرأة الروسية ترتدى حذاء .. وهى باسمة الثغر !»

ويثور رئيس التحرير لنشر هذه الصورة ، ويأمر باستدعاء



المحرر الذى نشرها · ويبدأ فى استجوابه ، فيقول له :

ـ كيف تقول إن المرأة الروسية ترتدى حذاء ؟! ·· كان يجب أن تذكرأن النساء فى روسيا يسرن حافيات الأقدام!

**المحرر : ولكنها ترتدى حذاء بالفعل !**

**رئيس التحرير :** كان من الممكن أن تقطع قدمى صاحبة الصورة حتى لا تذكر أن النساء فى روسيا يرتدين أحذية !

**المحرر : وهل كان من الممكن أيضا أن أقطع رأسها حتى لا أقول انها باسمة الثغر ؟ !**

ولم يقنع رئيس التحرير بهذه الاجابات ، فقرر أن يجمع مجلس الادارة للنظر فى الموضوع الخطير ·· موضوع المحرر الذى يدعو للشيوعية فى هذه الصحيفة ، اذ يقول ان المرأة الروسية ترتدى حذاء وانها باسمة الثغر !·· سوف تغضب الحكومة كلها ، وسوف تصب جام غضبها على الجريدة!

فاذا اجتمع مجلس ادارة الجريدة ، أدرك هو الآخر خطورة الموقف ، وعرف أنه لابد من اتخاذ قرار حاسم · وينتهى الأمر باستدعاء المحرر المسكين الذى ذكر أن المرأة الروسية تنتعل حذاء وانها باسمة الثغر ·· ويهدده رئيس التحرير تهديدا حاسما : **فاما أن يأتى للجريدة بخبر صحفى من النوع الذى يعد فى مرتبة « السبق الصحفى » ، واما ان يفصل من وظيفته ·· ولكن الشرط الهام فى هذا السبق الصحفى ، هو أن يتضمن خبرا ضد الشيوعية ، حتى ترضي الحكومة عن الجريدة ، وتغفر لها ما سبق أن نشرته من دعاية شيوعية**

**سافرة ، عند ما ذكرت أن المرأة الشيوعية تنتعل حذاء وانها باسمة الثغر !**

ويمنح الصحفى المسكين مهلة لا تزيد على أربع وعشرين ساعة ٠٠ فاما الخبر الذى يناهض الشيوعية ، واما الطرد من الوظيفة !

## الفصل الثانى

◆ **ويعود** الصحفى الى منزله حزينا ، مكتئبا ، يائسا ٠٠ انه يعرف أن رئيس التحرير ، ومجلس الادارة ، قد طلبا منه شيئا يكاد يكون فى حكم المستحيل ، ومعنى هذا أنه سيفقد وظيفته ، اذ من أين له أن يأتى بسبق صحفى مناهض للشيوعية ؟! ٠٠ ان وسائله محدودة ، وهو يعيش فى فرنسا ، وليس فى روسيا ، حتى يتوصل الى خبر مناهض للشيوعية !

وتراه ابنته وهو على هذه الحال ، فتسأله عمابه ٠ فاذا أفصح لها ، وروى ما وقع له فى عمله مع رئيس التحرير ومجلس ادارة الجريدة التى يعمل بها ، ارتفع صوتها بالضحك الذى يكاد يبلغ حد القهقهة !

ويغضب الوالد لأن ابنته تسخر منه ، ثم يقول لها :

**ـ انك تسخرين لأنك شيوعية ، ولذلك لا يهمك ما يحدث لوالدك !**

ولا تدفع الابنة عن نفسها هذه التهمة ، وتقول له ان ما يذيعه عن شيوعيتها ليس سرا ، وانها مع ذلك على استعداد لمساعدته واخراجه من الورطة التى وقع فيها ٠ فيعرض عليها الوالد أن يتبادلا الأسرار فتدلى اليه بما لديها من أسرار الشيوعية ويدلى اليها هو بأسرار الرأسمالية ٠٠ ولكن الفتاة ترفض هذا العرض !

وتعترف الفتاة لوالدها بأنها تخفى فى حجرتها لصا يبحث عنه البوليس ، فما أن يسمع الرجل ذلك حتى يصاب بذعر

شديد ، ويهم بابلاغ الأمر للبوليس خوفا من المسئولية ٠ وتحاول الفتاة أن تثنيه عن عزمه ، فتقول له ان اللص سيغادر المنزل بعد أن تهدأ الحال ، ولكن الأب لا يقتنع بذلك ويصر على ابلاغ الأمر للبوليس ٠ وفى اثناء هذه المناقشة ، يخرج اللص من مخبئه ويشترك مع الفتاة فى اقناع والدها بعدم ابلاغ الأمر للبوليس ٠ ويعترف له خلال الحديث بأنه سمع كل شيء يتعلق بالأزمة التي يعانيها الصحفى ، ويعرض عليه أن يساعده للخروج من هذه الأزمة ٠٠

ويستمع اليه الصحفى فى اصغاء تام ٠٠ فقد خيل اليه أن هذا هو الرجل الذى يملك أن ينقذه من الأزمة التى يمر بها ٠ ويعرض اللص الحل المناسب ، وهو يتلخص فى أن ينشر الصحفى فى جريدته ، فى اليوم التالى ، ان اللص الهارب الذى يبحث عنه البوليس الفرنسى هو « نيكراسوف » ، وزير الداخلية الروسى الذى لجأ الى فرنسا ، وان هذا هو سر اهتمام البوليس بالبحث عنه ! وقد سبق للصحف أن نشرت نبأ هرب شخص من روسيا اسمه « نيكراسوف » ، ولذلك فمن السهل أن يصدقوا أن اللص هو وزير داخلية روسيا بالفعل، وانه جاء الى فرنسا لينشر مذكراته التى يفضح بها الشيوعية وأساليبها ، كما فعل « كرافتشينكو » عند ما نشر فى أمريكا كتابه المشهور « اخترت الحرية » !

## الفصل الثالث

◆ وتروق الفكرة التى يعرضها اللص للصحفى ٠٠ فلاشك فى أنه سينال رضاء رئيس التحرير ، اذا جاءه بالسبق الصحفى الرائع عن وجود « نيكراسوف » كلاجىء سياسى فى فرنسا ، ولا شك ان رئيس التحرير سينال بدوره رضاء مجلس ادارة الجريدة بعد نشر هذا السبق الصحفى الكبير !

ويسرع الصحفى بالنبأ الكبير الى جريدته :

## « نيكراسوف يهرب من روسيا ويلجأ الى فرنسا »

ويسعد رئيس التحرير بهذا السبق الذى سيهز الدوائر الصحفية والسياسية كلها ٠٠ ولكنه يريد أن يتأكد من صحة الخبر ، فيطالب المحرر بأن يريه « نيكراسوف » رأى العين ، حتى يصدق أن الخبر حقيقى بالفعل !

**ويقبل الصحفى ذلك عن طيب خاطر ، ويذهب الى منزله لكى يأتى بنيكراسوف « المزيف » ، فلا يمانع هذا فى زيارة دار الجريدة ومقابلة رئيس التحرير وتمثيل دور «نيكراسوف» الحقيقى !**

وكما سعد رئيس التحرير بخبر « نيكراسوف » ، فانه يزداد سعادة بلقائه ، بل انه يفاوضه فى شراء مذكراته وطبعها ونشرها فى فرنسا ، لتحدث ضجة كتلك التى أحدثها مؤلف « اخترت الحرية » ٠٠ ولا يمانع « نيكراسوف » فى ذلك البتة ، بل انه يرحب به ، ولكنه يشترط على الجريدة فى مقابل ذلك أن تدفع له أجر اقامته فى فندق من فنادق باريس الفاخرة الغالية الاسعار ، كما يشترط أن تكون له « حرية الطعام والشراب » فى ذلك الفندق !

ويقبل رئيس التحرير هذه الشروط كلها ، ثم يدعو « نيكراسوف » الى مقابلة أعضاء مجلس ادارة الجريدة ، الذين كانوا يتلهفون الى لقائه بعد أن سمعوا خبر وصوله الى جريدتهم ٠٠

**ويرحب أعضاء مجلس الادارة بدورهم بنيكراسوف ، كما رحب به من قبل رئيس التحرير ٠٠ بل انهم يتهافتون ـ كل بدوره ـ على سؤاله عن سياسة روسيا وماذا تبيت لفرنسا !**

ويتمهل « نيكراسوف » فى الاجابة عن هذا السؤال ٠٠ فانه بلا شك يتعلق بأسرار السياسة العليا لقادة الشيوعية ، ولكنهم يلحون عليه ، فيقول لهم : « **ان روسيا كانت تنوى**

**احتلال فرنسا ، وقد أعدت كشفا سريا بالزعماء الذين سيعدمون رميا بالرصاص بعد احتلال العاصمة الفرنسية !» .**

ويتظاهر نيكراسوف بأنه وان كان على علم بالأسماء المذكورة فى هذا الكشف الا انه لا يمكن أن يبوح بها !

ويزداد الحاح أعضاء مجلس الادارة على نيكراسوف .. فهم شديدو الرغبة فى معرفة الأسماء التى تتضمنها القائمة السوداء التى أعدها الروس ! .. حتى اذا ضيقوا عليه الخناق، بدأ يتطلع فى وجوههم واحدا بعد الآخر ، ويسأل كل واحد عن اسمه .. ثم يبتسم بعد أن يسمع كل اسم ، ويقول لصاحبه :

**ـ نعم .. نعم .. كان اسمك بينهم !**

واحد فقط من بينهم نظر اليه « نيكراسوف » مليا ، ثم هز رأسه بعد أن سمع اسمه وقال له :

ـ كلا .. لم يكن اسمك فى القائمة السوداء !

**وكان هذا الشخص هو .. رئيس تحرير الجريدة !**

**ويضطرب مجلس الادارة كله لهذا النبأ الغريب ، فان عدم وجود اسم رئيس التحرير فى قائمة الزعماء الذين كان الشيوعيون قد قرروا اعدامهم بعد احتلال فرنسا ، يدل على أنه كان جاسوسا للشيوعيين ، وأنه كان متصلا بهم دون شك ! .. وعلى هذا فلا بد من فصله من وظيفته !**



ويصدر القرار بالاجماع .. اجماع أعضاء مجلس الادارة الذين كانت أسماؤهم فى القائمة السوداء !

## الفصل الرابع

◆ **وهكذا** يطرد رئيس التحرير من وظيفته ، بعد أن أيقن أعضاء مجلس الادارة أنه يسارى المبادىء ، والا لما عفا عنه الروس وأغفلوا ادراج اسمه فى قائمة المحكوم عليهم بالاعدام بعد احتلال فرنسا !.. ولكن رئيس التحرير المطرود لايقبل الهزيمة لنفسه بهذه السهولة .. فانه يعرف جيدا أنه هو الذى دبر كل شىء ، وجر على نفسه هذا البلاء ، عندما هدد المحرر المسكين بالطرد اذا لم يوفق الى « سبق صحفى » يفضح أساليب الشيوعية !

ولكن من هو « نيكراسوف» الذى آمن به أعضاء مجلس الادارة ؟ وما هى حقيقة شخصيته ؟ .. أهو حقا وزير داخلية روسيا الهارب ، أم انه ممثل بارع أتقن تمثيل دوره ؟ واذا كان ممثلا ، فمن يكون هذا الممثل ، وما حقيقة شخصيته ؟

هذه هى الاسئلة التى يحاول رئيس التحرير أن يعثر على اجابات عنها .. وهو يعرف أنه بغير ذلك لا يستطيع أن يعود الى عمله أو أن يسترد وظيفته .. ومن هنا تبدأ مهمة دقيقة أمام رئيس التحرير ، هى مهمة اكتشاف حقيقة «نيكراسوف»!

فيلجأ الى المحرر الذى اكتشف « نيكراسوف » .. اذ أنه ولا شك أعرف الناس بحقيقته . ويعترف المحرر لرئيس التحرير بشخصية نيكراسوف ، وبأنه ليس الا «بول جيراد»، أذكى لص حير رجال البوليس السرى فى فرنسا !

ويسرع رئيس التحرير الى البوليس السياسى الفرنسى ليبلغه جلية الأمر ويكشف عن الحقيقة ، وهو يصارح رئيس هذا البوليس بأن « نيكراسوف » وزير داخلية روسيا لم يهرب ، ولم يلجأ الى فرنسا كما زعمت الجريدة التى نشرت الخبر ونقلت عنها الصحف الأخرى !

ولكن هذه الحقيقة - مهما تكن قيمتها - لا تسر رجال البوليس السياسى كثيرا ، ورئيسه يسأل رئيس التحرير فى شىء من الضيق : « اذن فمن يكون هذا الشخص الهارب أو اللاجىء الذى تقمص شخصية نيكراسوف ؟ »

**- انه ليس الا بول جيراد ٠٠ اللص الخطير الذى تبحثون عنه فى كل مكان !**

ويشتد الحرج برئيس البوليس ، فليس من شك فى انه وجهازه البوليسى بأسره سيغدوان أضحوكة الناس ومادة تفكههم وتندرهم ، لو أن الحقيقة انكشفت على هذا الوضع ، وادرك القوم أن « نيكراسوف » لم يكن سوى « بول جيراد »، اللص الخطير الذى غرر بالبوليس وخدعه!

**ولذلك يصر رئيس البوليس على أن نيكراسوف هو « نيكراسوف » ٠٠ وان نيكراسوف الذى ظهر كلاجىء سياسى فى باريس لهو نيكراسوف وزير داخلية روسيا بعينه !**

ولينفلق رئيس التحرير ، أو فليضرب رأسه فى الحائط٠٠ فنيكراسوف هو نيكراسوف !

## الفصل الخامس

◆ **ولكن** رئيس التحرير لا يتسرب اليأس الى قلبه ! ٠٠ واذا كان البوليس قد خذله ، فان الصحافة لا يمكن أن تخذله ! ٠٠ ومن ثم يتجه الى جريدته ، ويكشف للمسئولين فيها عن حقيقة شخصية « نيكراسوف » ، ويطالبهم باعلان ذلك فى عدد اليوم التالى بأحرف كبيرة وفى الصفحة الاولى !

ولكن المسئول عن التحرير يهز رأسه آسفا ٠ ٠ لأنه لا يستطيع أن يلبى هذا الطلب !

**ولماذا ؟٠٠ لأن وزارة الداخلية أصدرت تعليماتها المشددة**

**لكافة الصحف بعدم تكذيب خبر هرب « نيكراسوف » من روسيا ، أو الاشارة الى أن نيكراسوف ، اللاجىء فى فرنسا ، ليس فى حقيقة الأمر الا اللص بول جيراد !**

وأخيرا ، يضطر بول جيراد ـ اللص ـ الى الظهور بنفسه، لينقذ الموقف ٠ وهو يصيح فى المسئولين عن تحرير الجريدة:

ـ هأنذا ٠٠ اننى بول جيراد ، ولست نيكراسوف ، فماذا تريدون ؟!

ويعقد اتفاق بين الأطراف الثلاثة : البوليس السياسى ، والجريدة ، واللص بول جيراد ٠٠ حتى تحل الأزمة : فالناس جميعا قد سمعوا وصدقوا أن نيكراسوف قد هرب من روسيا، وانه لجأ الى فرنسا ٠٠ ولن يصدق أحد بعد ذلك أن القصة كاذبة أو مخترعة ، كما ان نشر هذا ليس فى مصلحة أحد٠٠ وليس فى مصلحة الدعاية المضادة للشيوعية ! ٠٠ واذن ، فليختف اللص بول جيراد من جديد ، أو فليختف نيكراسوف فجأة كما ظهر فجأة !

وتعليل اختفائه بسيط جدا فى نظر البوليس ، وسوف يصدق الجمهور هذا التعليل : **فليصدر بلاغ رسمي من وزارة الداخلية بأن الشيوعيين قد دبروا مؤامرة محبوكة الأطراف، وأنهم تمكنوا من اختطاف نيكراسوف ، ونقلوه بعد ذلك الى مكان مجهول !**

أما الجريدة ، ففى وسعها أن تعلن أنها تمكنت ، قبل اختفاء نيكراسوف ، من أن تشترى منه مذكراته ، وانها ستشرع فى نشرها منذ الغد على حلقات ينبغى على القراء أن يتتبعوها ، لما فيها من طرافة وغرابة !

وهكذا يرضى الأطراف جميعا ٠ **ويعود رئيس التحرير الى وظيفته ، ليباشر بنفسه كتابة « مذكرات نيكراسوف » ، ونشرها على القراء الذين ينتظرونها في لهفة !**



**صبيتان فى الأحراش**

من أجمل لوحات الرسام الخالد « رنوار » ( ١٨٤١ - ١٩١٩ )




# مصير البشرية

## أبقاء ونماء .. أم اندثار وفناء ؟!

للباحث العالمى : " ب . ل . دى نووى "

تلخيص : أنطون العبيدى

## تعال نعزز ايماننا !

◆ أجل ، هو العلم الذى استخدم فى زعزعة أركان الدين .. وهو هو نفسه الذى ينبغى ان يستخدم فى تدعيم هذه الأركان ذاتها ، وفى القضاء على هذا « الوحش » ـ وحش الالحاد ـ الذى بدأ يغـــزو قلوب الناس فى هذه الأيام غزوا سريعا خاطفا ، لينتزع لنفسه نصرا حاسما على البقية الباقية من الايمان والدين ، اللــذين بددت مظاهر حياتنا المادية والعلمية الحديثة الجزء الأكبر منهما

.. ذلك لأن لكل انسان دورا فى الحياة . وهو ليس قشة فى مهب الريح ، وانما هو حلقة فى سلسلة من القيم الأدبية والروحية . فلو أردنا للحياة الانسانية ان يكون لها معناها ، وللجهد البشرى ان تكون له قيمته ، وجب ان نعيد تقدير الآراء والمذاهب على أساس من العلم والعقل

.. وهذا ما يهدف اليه الكتاب الذى نقدم اليك الحلقة الثانية منه اليوم .. كتاب يهدف الى تعزيز الايمان والدين بالعلم والعقــل .. فتعال معى نعزز ايماننا بوجودنا ، وقيمنا ، وأهداف حياتنا !

## عملية الخلق الهائلة .. جديرة بالدراســة !

◆ **يقول** دعاة المذهب المادى الحديثون ان الحيــاة البشرية مجردة من الهدف والعلة ، وان الانسان ليس ســوى ذرة من المادة فى مهب الريح ، تتجاذبها قوى متعارضـــة ، دون أن تكون لها ارادة أو مسئولية . ومعنى هــذا أن تطور الحيـــاة يسير بفعل المصـــادفة وحـــدها ، فليس للانســـان ونواحى نشاطه الذاتية يد فيه .. كما ان النظرية تقصر عن تفسير النمو التدريجى الصاعد لأشكال الحياة . وعلى هــذا ، فلا

مناص من أن نجرب نظرية أخرى

**والنظرية الوحيدة التى لدينـــا ، هى التى تقول ان للكون هدفا وغاية يسعى لبلوغهمـــا ٠ ومن المؤسف ان كثيرين من العلماء لم يفهموا هذه النظرية عـــلى حقيقتها ، وما ذلك الا لأنهم اقتصروا على النظر الى الهدف والغاية للكائنات ٠٠ أى انهم تأملوا ظاهرة تكيف الكائنات ــ فى نشوئها وتطورها ــ فبهروا بها ، ومن ثم أهملوا ظاهرة أخرى ، أكثر منها خطرا، وهى تطور الجماعات الكبرى من الـــكائنات وانقسامهـــا الى طوائف متجانسة**

وهـــذا القصور ــ من جانب العلماء ــ عن فهم النظـــرية ، خليق بأن يحملنا على أن نبعثها فى صـــورة جـــديدة ٠ ولن يتسنى هذا الا بدراسة التطور منذ نشأته حتى حاضره ، أو بالأحرى ، دراسة عملية الخلق الهائلة دراسة كاملة شاملة تتناول دقائق سير العملية ــ أو ديناميكية العملية ــ بجانب تناولها للشكل العام ٠٠ ويجب أن نذكر دائما خلال هـــذه الدراسة ، ان التطور فى جوهره عبارة عن تبـــدل مستمر ومتعاقب للأشياء ، فعلينا أن نوجه أبصارنا دائما الى مراتب التطور الجوهرية ، ابتداء من الكائن العضـــوى البـــدائى الى الانسان ومظاهر عقله وآثاره ٠٠

ولو انك شاهدت أى «فيلم سينمائى» باستعراض مناظره صورة صورة ، خلال منظار مكبر ، لاستطعت أن تكتشـــف دقائق هامة فى كل صورة ٠٠ ولكن هـــذه المشاهدة لا تتيح لك فكرة عن معنى الفيلم فى مجموعه ، وذلك نظرا لسكون الصور ٠ اذ أن معنى الفيلم فى مجموعه انما يبرز عن طريق تتابع الصور فى حركتهـــا السريعة ، التى تراها بهـــا على الشاشة ٠٠ وكذلك حال التطور ، اذ انه يبـــدو لنا كفيلم ناقص ، لدينا حالته الراهنة ، كما توصلنا الى بعض قطاعات من الماضى ، وبقى علينا أن نربط بينها

## الانسان فى الأرض .. كالجرثومة فى جسد الفيل !

• **ولقد** تكدست بين أيدينا من الحفريات - التى بدئت فى مستهل القرن التاسع - معلومات غزيرة عن شتى الأجناس ، فى مختلف العصور الجيولوجية . وقد رتبت البقايا التى استخرجت من باطن الأرض وفقا لقدمها ، فأدى ذلك الى الحصول على مزيد من المعلومات . على أن من واجبنا - ونحن نسعى لتفسير طرق التطور وسيره - أن نتجنب ما استطعنا تلك الآراء المستمدة من تجاربنا البشرية وطريقتنافى التفكير . ذلك لأن الانسان يميل - عندما يدرس نفسية الحيوان مثلا - الى المقارنة بين تصرفات الحيوان ازاء الظروف والأحوال ، وبين التصرفات التى تصدر عن الانسان الراهن ، ناسيا ان الظروف والأحوال ليست واحدة تماما ، وان التركيب الطبيعى - أو الفسيولوجى - للحيوان ، يؤثر فى استجاباته للمؤثرات الخارجية بشكل بعيد عن متناول ادراك الانسان

ولكي نقرب الفكرة الى الأذهان ، نفترض أن ميكروبا ما يعيش فى أخدود بين تغضنات جسد فيل ، وانه أوتى عقلا كعقلنا ، وورث علما عن أجداده عبر الأجيال .. مثل هذا الميكروب ، لا يمكن أن تتسنى له فكرة واضحة عن الكون الذى يعيش فيه - وهو جسد الفيل - بالطبع ، لأنه انما يعيش فى واد عمقه ملليمتران . **وهو فى مكمنه ذاك ، لا يمكن أن يتمثل عالمه فى صورة تختلف عن الصورة التى نتمثل نحن فيها الكون الذى نعيش فيه .. ولو أن الفيل حك جلده ، أو اغتسل ، لخيل للميكروب أنه تعرض لكارثتين لم يكن يتوقعهما ، ولعزا أسباب الكارثتين الى غير الأسباب التى نعزوهما نحن اليها .. ولحسب أمدهما بغير الحساب الذى نحسبه نحن به ، لأن يومنا قد يكون فى اعتباره دهرا !**

فاذا تصورنا الانسان فى وضع هذا الميكروب ، والكون فى شكل ذلك الفيل ، لأمكننا أن نسلم بوجود تطور يمتد عبر حقب من الزمان لا سبيل للعقل البشرى الى تصورها ٠ ولن نعنى هنا بغير تطورنا ـ نحن البشر ـ ومشكلاتنا ٠ والظاهر ان تطور الحياة يخضع لنواميس غير تلك التى يخضع لها تطور المادة الجامدة ٠ وقد كان اغفال هذه الحقيقة هو السبب فى اخفاق العلم ، عندما حاول الجمع بين التطورين ٠٠ أما مراعاتها ، فسوف تيسر لنا الاهتداء الى نقطة جديدة لبداية تطور الحياة

## الانسان : هل هو مخير أم مسير ؟!

• **وهناك** خلاف ظاهرى أثار كثيرا من الجدل بين دعاة المذهب المادى ، وبين دعاة المذهب الروحى ٠٠ ويدور هذا الخلاف حول « حرية الاختيار » ٠ فان الأخيرين ـ ومنهم كل متدين ـ يرون أن الانسان « مخير وليس مسير » ، فهو ليس محض حيوان ، بل ان له يدا فى أن يصنع مصيره بنفسه !٠٠ أما دعاة المذهب المادى ، فلا يؤمنون بغير المصادفة ٠٠ ولكنهم ـ رغم ادعائهم بأن مذهبهم عقلى وعلمى محض ـ كثيرا مايقعون فى التناقض ٠٠ ولعل أوضح مثال على ذلك هو قولهم : « ان الحجر الذى يطوح به فى الفضاء ، قد يظن انه حر ٠٠ ولكننا ـ معشر الاحياء ـ نقول انه محكوم بقانون الجاذبية ، فهو لهذا لا يمكن أن يعتبر حرا ٠ وكذلك حال الانسان ، فهو قد يحسب نفسه حرا ، فى حين ان أى مراقب على دراية ببواطن الأمور ، لا يمكن أن يؤمن بواقعية هذا الاحساس بالحرية ، أو يرى فيه أكثر من مظهر لاستجابة ذاتية وهمية ، مرجعها الى قصور الانسان عن بلوغ الحقيقة فى أصولها الموضوعية »

والواقع ان هذه المقارنة خاطئة ، لأنها تجرى بين ظاهرتين

مختلفتين • فان الحجر السابح فى الفضاء ينتهى الى نتيجة محتومة ، وهى السقوط • **أما أفعال الانسان فتحتمل أكثر من نتيجة واحدة • ولو اننا نظرنا الى مسلك الانسان – من ناحية الانسان ذاته – لوجدنا ان مجال الاختيار متوفر له : فهو اما ان يتبع اهواءه ونزواته وغرائزه •• واما ان يقمع شهواته ليسمو الى ما نسميه المثل العليا ، مكافحا فى سبيل هذا السمو ، لكي لا تثنيه المرارة والألم عن الغاية التى اختارها •• أفلا يكفى هذا للدلالة على انه حر فى اختيار السبيل التى ينتهجها ؟!**

على اننا لن ندع مناقشة المذهب المادى تشغلنا عن غايتنا•• لذلك ننتقل الى دراسة الحياة على كوكبنا • وعسى أن يجد فيها القارىء ردا كافيا على ما يذهب اليه أنصار المذهب المادى

## عمر الأرض يتراوح بين ١٥٠٠ و ١٨٠٠ مليون سنة !

◆ **تجمع** أحدث المصادر العلمية ، وأجدرها بالثقة ، على أن مولد الأرض قد عاصر – بالتقريب – مولد الشمس والكواكب الأخرى فى المجموعة الشمسية ، وان ذلك حدث منذ مدة لا تزيد بأى حال على ألفى مليون من السنين • والطريقة العلمية لتحديد عمر الأرض تستند الى الاشعاع• وتتلخص فى أن بعض العناصر البسيطة تتحلل من تلقاء نفسها • فالنواة الذرية لأى عنصر تشع بعض ذاتها فتكتسب بذلك صفات فردية جديدة ، تميزها عن صفاتها السابقة من حيث الكتلة ، أو الشحنة الكهربائية ، أو كلتيهما معا • وبفضل طريقة « بيير كورى » ، أمكن قياس الاشعاع بدرجة دقيقة جدا ، فثبت أن ذرات بعض المواد – كالراديوم والاكتنيوم والثوريوم – تتحلل بنسبة تكاد تكون ثابتة ، وببطء شديد ، بحيث انها لا تفقد خلال عام بأكمله سوى

قدر ضئيل جدا من مادتها • فاليورانيوم الخفيف – مثلا – يفقد فى العام ذرة من ١٠٣٠ مليونا من الذرات••واليورانيوم الثقيل يفقد فى العام ذرة من ٦٥٧٠ مليونا من الذرات •• وهناك عدد من الأجسام المتوسطة تعمر نحو مليون سنة ، فى حين ان هناك اجساما لا تعيش أكثر من جزء من الثانية !

هذه الظواهر تتعاقب – بعضها آثر بعض – بمعدل من السرعة معروف تماما • وهى تتميز بأن سرعتها لا تتغير بأى حال ، تحت تأثير أى مؤثر خارجى ، كالحرارة والضغط • فاذا فرضنا معدنا يحتوى على مادة ( اليورانيوم ) كامنا فى احدى الصخور لمدة مليون مليون عام ، فانه يفقد بالاشعاع خلال هذه المدة حوالى ١٤ فى المائة من ذراته الأصلية ، وتحل محلها ذرات رصاص تعادل ١٢ فى المائة من وزن اليورانيوم الاصلى • أما الفرق – وهو ٢ فى المائة – فيمثل وزن الهليوم الذى شع طوال هذه المليارات من السنين • وكلما ازداد مقدار الرصاص فى المعدن ، كان معناه امعان ذلك المعدن فى القدم • وبتقدير النسبة بين ما يوجد من الرصاص وما يوجد من اليورانيوم ، نستطيع أن نحسب الوقت الذى انقضى منذ تكون الصخرة

**وبهذه الطريقة ، استطاع العلم أن يثبت أن الوقت الذى بدأ فيه تصلب الأرض ، يتراوح بين ١٥٠٠ و ١٨٠٠ مليون عام** • وكذلك أمكن تقدير أعمار البقايا التى آستخرجت من الحفريات ، بتعيين أعمار الصخور التى وجدت هذه البقايافيها

## هل يمكن ان « يكتشف » الكائن الأول ؟!

• **ونتحول** من هذا الى السؤال التالى : هل بدأت الكائنات كلها بخلية واحدة يمكن أن يقال انها « الخلية الاولى » ؟ •• أو أن ثمة مادة حية عديمة الشكل ، سبقت تكون الخلايا ؟ •• ان معظم البيولوجيين يرون أن كل مادة حية كانت مكونةمن

خلايا منذ البداية . ومن المحتمل أن يكون التطور قد بدأ من نقطة أولية مشتركة بين كافة الكائنات الحية ، من حيوان ونبات . **ومع انه من المستحيل تحديد التبادل الكيميائى بين الحيوان والنبات ، الا انه من المستحيل كذلك أن يقبل العقل الفرض القائل بأن الكائنات الحية ظهرت فجأة ! فلابد أن ثمة انتقالا قد حدث ، وان كنا لم نعرف بعد كنهه**

**والظاهر اننا لن نهتدى قط الى اكتشاف الكائن الأول ، ولا سلالاته الأولى التى لم تتعرض لتغيير كبير .** على اننا نجد فى كل مكان أشكالا غريبة يتعذر القول بما اذا كانت حيوانا أو نباتا . ومنها الكائن المعروف باسم « الألجا » ، والذى ينتشر فى المياه الراكدة ، ولا يرى بالعين المجردة ، ولكنك اذا تأملته خلال المجهر ، بدا لك فى حركة تدعو الى الدهشة ، فهو يسبح بسرعة فائقة ، ويقفز ، ويلف حول نفسه مستعينا بذيل طويل مرن .. وينتفخ جسمه وينكمش فى حركات متتابعة كما لو كان يتنفس .. وفى نقطة من هذا الجسم - الذى يتألف من خلية واحدة - ترى بقعة حمراء تتأثر بالضوء ، ويلوح عليها أنها أوتيت قوة مبصرة .. مثل هذا الكائن لا نستطيع الجزم بما اذا كان حيوانا أو نباتا . كما لا يمكن الجزم بما اذا كانت قد سبقته أنواع أخرى من الكائنات العضوية . وان كان بعض العلماء يرون أن قد سبقه نوع من البكتيريا ، يتمثل فى ميكروب على شكل عصا صغيرة ، كان يعيش فى المحيطات الكبرى - ذات الماء العذب - فى الأجيال الساحقة ، ولا يزال بعض أنواع منها يعيش الى اليوم فى المستنقعات دون أن يتطور !

وكل ما تتيحه لنا معلوماتنا الراهنة ، هو أن طائفة من الظواهر المجهولة قد أدت الى ظهور « الجا » بدائية لا تزال موجودة حتى اليوم ، هى « الألجا الزرقاء » .. وهى ذات شكل أنبوبى أوكروى ، وتشبه البكتيريا فى تكاثرها . كما

انها ترقى بنفسها نحو التحسن · وقد حدث ذات يوم تقدم كبير ، اذ ظهرت « الألجا الخضراء » فى المياه · وهكذا نشأ آخر الأمر أمل فى امكان حدوث تطور ما ·· فان هذه « الألجا » ذات نواة ، ولذلك يبدو أنها أول كائن عضوى يتكاثر جنسيا ·· وتلك هى المعجزة !·· فهل انحدرت «الألجا الخضراء» ذات الخلية والنواة ، من «الألجا الزرقاء»؟·· هذا ما لا يمكن الجواب عنه بعد ، اذ اننا لا نزال نجهل آلية التحول والانتقال !

## كانت الخلايا خالدة ·· ثم عرفت الموت !

◆ **ولم** تكن الخلايا المخصبة تعرف الموت كأفراد ، بل كانت خالدة على مر الزمن · ولكنها منيت فجأة بالموت ! ·· فعرف مولد الفرد وموته ·· تلك الظاهرة الدورية التى لم تكن متوقعة بحال من الأحوال ! ومن الواضح ان التكاثر الجنسى ـ عن طريق التلقيح ـ كان ضروريا لنماء طائفة من الكائنات تسير نحو التعقد · وهذا هو الانقلاب العظيم الذى يخفى علينا قدر ما يستغلق على أفهامنا ظهور الثدييات ··

**وهكذا ظهر مولد الفرد المتطور ، ثم موته بعد وقت يطول او يقصر حسب نوع الكائنات التى ينتمى اليها هذا الفرد · وبعد أن يكون قد نقل الحياة الى فرد أو أفراد أخرى ، يختفى عائدا الى الكون غير العضوى الذى جاء منه بمعجزة ! ·· ومن الممكن أن نقول ان أعظم كشف اكتشفته الطبيعة ـ فى سياق التطور ـ هو الموت · ومنذ ذلك الحين ، يسير التطور المطرد دائما عبر أفراد من الكائنات ، ينتقل ويتقدم بفضلها !**

ويقدر الوقت الذى انقضى منذ ظهور البكتيريا حتى ظهور الانسان ، بنحو ستمائة مليون من الأعوام · ونقف هنا لحظة لنقول ان الأرقام التى نوردها للدلالة على الحقب أو الأجيال ، انما نوردها لنرسم منها صورة تقريبية لسير التطور ، ولكن

هذه الأرقام ليست جازمة بحال من الأحوال ، وانما يقرها أكثر الكتاب والعلماء رسوخا فى العلم ..

## الفحم .. أصله نبات !

◆ **وليس** من شك فى أن مجموعات هامة من الظواهر قد حدثت خلال الحقب الطويلة التى انقضت بين ظهور البكتيريا وظهور الانسان . وهذا ما تؤيده دراسة البقايا التى كشفت عنها الحفريات . **فنحن نعرف الآن ان نمو الأنواع النباتية كان بطيئا ، فى حين ان الأنواع الحيوانية كانت قد بلغت درجة كبيرة من التقدم ، قبل أن تنتقل من الحياة فى الماء الى الحياة على اليابسة . واذا كان قد تعذر على الأرض – فى تلك الحقب السحيقة – ان تنتج نباتا واحدا ، فانها كانت تغص بأنواع عديدة من الحيوان ..** فكانت هناك بكتيريا ، و «ألجا زرقاء» ، و « ألجا خضراء » .. وظهرت كذلك حشرات أكثر تقدما ورقيا ، قبل أن يكتشف وجود أى أثر لنبات على اليابسة .. الا انه وجدت بقايا لنباتات مائية بدائية جدا ، مما يدل على أن الأنواع النباتية لم تبدأ تطورها الا فى عصور متأخرة جدا بالنسبة للأنواع الحيوانية التى عمرت الأرض .. واذا كان كلاهما من أصل واحد ، فان انتقال أحدهما من أصله الى الآخر ، لابد أن يكون قد حدث بسرعة فائقة . وهو أمر لم يتسن الوصول الى شىء قاطع عنه !

ولقد كانت البحار فى الأزمنة السحيقة – منذ أكثر من ثلاثمائة مليون عام – غاصة بأنواع من السمك مزودة بجهاز تنفسى ، وبأعضاء تشبه تلك التى نشاهدها فى الأنواع التى وصلت الينا – عبر الاجيال – من السمك .. بل ان منها أعضاء تشبه ما لدى الانسان : كالكبد ، والكليتين ، والقلب، وغيرها . وهى تذهب فى الشبه الى درجة انها تماثل تماما

ما لدى حيواناتنا الحديثة من الاعضاء ، سواء فى التركيب أو الوظائف

أما تكاثر الكائنات النباتية وبلوغها أوج انتشارها وازدهارها ، فقد حدث بعد ذلك بما يتراوح بين خمسة وسبعين مليون عام ، ومائة مليون ٠٠ فقد ظهر اذ ذاك نبات «الفوجير» الذى يبلغ ارتفاعه عشرة أمتار ، وغيره من النباتات الهائلة الحجم ، التى يبلغ ارتفاعها أكثر من خمسة عشر مترا ، والتى تعتمد معظم صناعاتنا اليوم على غاباتها التى أحالتها الطاقة الشمسية - على مر الأجيال - الى فحم !

## ظهور الزواحف الهائلة !

• **ومن** هذا العرض الخاطف لتعاقب الأنواع ، نستطيع أن نلمس أثر التطور ٠ ومن ثم نتطرق الى الحديث عن ظهور الانسان على الأرض ٠ ولا يسعنا أن ننظر الى الانسان الأول الا على أنه ثمرة مجموعات متعاقبة من الكائنات العضوية ، ظلت تتطور من أكثر أشكال الحياة بداوة ، على مر العصور ٠٠ ولكننا لا نملك أن نجزم بأن نوعا معينا من أنواع الحيوان ، التى عرفتها العصور الأولى ، هو الاصل الذى انحدر منه الانسان ، اذ اننا لم نوفق الى أى دليل قاطع فى هذا الشأن ، رغم كل ما قيل عن انحدار الانسان من القرد

**على انه من المحتمل كثيرا ان هناك أصلا واحدا لكافة الكائنات الحية ٠٠ ومن المحتمل كذلك أن يكون هذا الاصل الأول مادة حية ، أقرب الى المادة غير العضوية منها الى الكائن العضوى الذى قطع شوطا فى مجال التطور ٠ ولكن : كيف أمكن أن ينشأ الكائن العضوى من تلك المادة ؟**

لسنا نملك سوى أن نرجع الى الحفريات والبقايا التى كشف العلم عنها ، نلتمس فيها العناصر التى تعيننا على معرفة التسلسل الصحيح للانسان والحيوان ٠٠ ولقد رجعنا

الى هذه الحفريات بالفعل ، فأمدتنا بفكرة التطور ، ولكنها لم تستطع أن تمدنا بما يتجاوزها ، لأننا لا نصادف دائما الظروف والأحوال التى تمكن عظام وأنسجة الكائنات الحية من أن تبقى متماسكة سليمة على مر العصور ٠٠ اذ أن العظام تتحلل بتعرضها للهواء والضوء والرطوبة !

ولكن المصادفات تسعفنا ببعض العون أحيانا ، فنعثر على حيوان دفن فى مكان بمنأى عن الهواء والرطوبة ، نتيجة مصادفة بحتة ، كزلزال أو كارثة من الكوارث ٠٠ والحالات النادرة التى من هذا القبيل ، هى التى أتاحت للعلماء والباحثين الوقوف على التركيب التشريحى للأعضاء الداخلية لبعض الحيوانات ٠٠ **ومثل هذه الحالات ـ أو المصادفات ـ هى الكفيلة بأن تهدينا الى العثور على كائن عضوى وسط بين الزواحف والطيور ، فيمثل مرحلة الانتقال من الأولى الى الثانية !**

وهناك حالات نادرة أخرى تعيننا فى هذه الأبحاث كتحجر أحد الأجسام ٠٠ وقد عثر بالقرب من ( سيزان ) ـ بفرنسا ـ على زهور وحشرات تحجرت فى ماء نبع يحتوى على قدر كبير من الجير ، منذ قرابة أربعين مليونا من الأعوام٠ وكثيرا ما عثر العلماء والباحثون على حشرات دقيقة ـ محنطة على هذا النحو ـ منذ آماد بعيدة ٠ فضلا عن أن هناك كائنات عديدة مطمورة فى أعماق المحيطات ، ولم يتسن بعد الوصول اليها ٠ كما ان استغلال المناجم والمحاجر كشف لنا عن ظواهر هامة من هذا القبيل ٠ فاذا قارنا ضآلة الحيز الذى تشغله المناجم بالنسبة الى مساحات القارات ، أدركنا على الفور ان ما نعثر عليه من تلك الكائنات ، ليس سوى نسبة طفيفة جدا ٠٠ وهكذا الأمر بالنسبة لآثار الاقدام التى تركتها الحيوانات فى بعض بقاع الأرض ٠ **ومع ذلك كان لبعض آثار الأقدام أهمية كبرة ، ومنها آثار أقدام « الدينوصور » ، التى يبلغ طول القدم الواحدة منها ١٣٠**

**سنتيمترا ، وللقارىء أن يتصور ضـــخامة حيوان هـــذا طول قدمه !**

ومن هنا ندرك أن الحفـريات وضـــعت بين أيدينا وثائق وأسانيد عديدة ، يجب أن نلتزم الدقة والحرص فى تفسيرها .. ذلك لأننا نهدف الى تبين أساس التطور وهندسـة تدرجه ، والعناصر التى فى أيدينـا ناقصة الى حد كبـير ، وتتخللهـا ثغرات عديدة . وليس لنا أن نأمل فى أن تكشف لنا الحفريات الا عن أنواع الكائنات التى وجدت فى العصور السحيقة بأعـداد وفيرة جدا انتشرت فى مساحات شاسـعة من الأرض . أما الكائنات الانتقالية العابرة - أى التى كانت تبين بتركيبها الانتقال من طـور الى آخر - فانها جد نادرة ، وان كانت المصادفات البحتة تهدينا أحيانا الى أحد هذه الأنواع المنقرضة ، مثـل « الجرذون » ، وهو أحد أنواع الزواحف التى عاشت فى عصور غابرة ، ويمتاز بصفات فريدة ، منهـا وجود عين ثالثـة له فى أعلى الجبهة ، الى جانب العينين المعهودتين !

## الطبيعة تقضى على الأنواع الرديئة من الكائنات !

◆ **على** أن العلمـاء لايزالون حيارى - رغم الأبحـاث التشريحية - ازاء اللغز الأزلى : **كيف نشأت الأعضـاء التى تدفع الفرد الى تحسين نوعه والرقى به والامعان فى الاستقلال عن بيئته ؟ !**

لقد أوجدت الطبيعة فى الخليـة الواحدة جهازا هضميـا ، وجهازا عصبيا .. والكائنات ذات الخلية الواحدة ، هى التى نشأت فيها مشكلات التطـور الأساسية - من الناحيـة النفسية - وهى التى قامت الطبيعة باجراء التجارب عليهـا ، فى سبيل حل تلك المشكلات ، عند الانتقال الى أنواع معينـة من الكائنات الحية . وكلما أخفقت تجربة من تجارب الطبيعة ، أى كلما وضح أن نوعا من أنواع الكائنات الحيـة لم يتحسن

نتيجة مواجهته للبيئة المحيطة به ، ولم يبد تفوقا على هذه البيئة ، اضطر هذا النوع الى التلاشي والاختفاء ..

وعلى هذا ، يمكن القول بأن الخطوط العريضة للتطور ، انما رسمت منذ عصر « الألجا » الأولى . أى أن عجلة التطور تسير بغير توقف ، منذ حوالى خمسمائة مليون سنة ، منتجة كائنات غاية فى التعقد والتنوع ، بحيث تتوافق مع بيئتها الى أسمى الدرجات ، وبحيث تشبه وظائفها السيكولوجية — أى النفسية — وظائف الحيوانات التى نشاهدها فى أيامنا هذه ! .. وبهذا الاتجاه ، مضى التطور فى انتاج الكائنات مع اطراد التنويع والتباين ، وكأنه لا يقنع بخلق كائنات قادرة على مجرد الحياة فى توافق تام مع بيئتها فحسب ، وانما هو يرمى الى خلق كائنات تتفوق على البيئة . **وفى سبيل هذه الغاية ، بذلت الطبيعة محاولات لا حصر لها .. وكانت ثمة أنواع أو جماعات تختفى بأسرها من الوجود ، فى بعض الحقب ، وكأنما وجدت الطبيعة بها عيوبا أو أخطاء ، فرأت أن تمحوها !** .. وغياب هذه الأنواع هو الذى يجعلنا اليوم نرى النماذج الأساسية للأنواع الحيوانية — كما أمدتنا بها الكشوف الحفرية — ناقصة ، اذ لا تكاد توجد بين بعضها وبعض روابط ما ..

**وفى الحلقة التالية ، نمضى مع المؤلف فى هذا التدرج الرائع ، الذى يقودنا فيه خلال عصور التاريخ ، مستعرضا أمامنا الكائنات التى ظهرت فى مئات الملايين من السنين ، ليصل بنا الى المرحلة التى انتهى فيها التطور الى .. ظهور الانسان !**

## أعظم بحث جنسي .. في تاريخ البشرية !

◆ ترى هل يدرك الانسان ما قد يترتب على سؤال بسيط يلقيه على آخر ؟.. لقد ألقى طالب بجامعة أنديانا -بأمريكا- سؤالا على المرحوم الدكتور الفريد كينزي ، أثناء درس كان يلقيه عن السلوك الجنسي للحيوان ، فاذا بالسؤال يدفع حياة هذا العالم وجهوده نحو ميدان كان كل امرىء يظن أنه على دراية تامة به ، فاذا البحث العلمي يثبت العكس .. يثبت أن الانسان أجهل ما يكون بالسلوك الجنسي .. لدى الانسان !

وكان كينزي يخال أن البحث لن يستغرق منه أكثر مما استغرقه أي بحث آخر ، فاذا به يستنفد من عمره خمسة عشر عاما ، أسلمه بعدها الى أبحاث أخرى تفرعت عنه وظلت تستأثر باهتمام العلامة الكبير الى أن مات في الصيف الماضي .. وتناول البحث أكثر من ١٦٫٠٠٠ ذكر وأنثى ، كما استعان فيه صاحبه بعشرات من الخبراء في كل ناحية من نواحي العلم والحياة ، ومئات من المساعدين .. ومدت جامعة أنديانا ومجلس الأبحاث القومي بأمريكا ومؤسسة روكفيلر ، أيدي العون ، فاذا السؤال البسيط الذي ألقاه الطالب يؤدي الى انشاء أول معهد من نوعه في العالم ، وهو « معهد الأبحاث الجنسية » .. وأعظم بحث من نوعه في تاريخ البشرية ، وهو « السلوك الجنسي لدى الانسان »

وعندما صدر الجزء الأول من هذا البحث - وهو الخاص بالسلوك الجنسي لدى الذكور من البشر - ظن « كينزي » أنه لن يلقى اهتماما الا من الأوساط العلمية ، فاذا الملايين من غير رجال العلم يتخاطفون الطبعات المتتالية .. وقامت ضجة في أمريكا ، فانقلب الرأي العام بين مستهجن - رأى فيما نشر من حقائق ، مخازي تصم الأمريكيين أو تخدش الحياء ! - وبين محبذ رأى أن من واجب كل انسان أن يعرف الحقائق عن الجنس بوصفه عنصرا من أهم عناصر الحياة ، وان من واجب المجتمع أن يعنى بالتربية الجنسية حتى يستطيع أن يصل الى الكمال ..

وكان الاهتمام الذي استقبل به الجزء الأول - رغم احتشاده بالاحصاءات والبيانات العلمية - سببا في ان انتهج « كينزي » في الجزء الثاني نهجا جديدا ، اذ عنى في تحليله للبيانات العلمية ، بالتوسع في بيان الآثار الاجتماعية والخلقية للجنس في الحياة العادية للفرد والمجتمع ..

ولقد قدم لك « كتابي » الجزء الأول في حلقات متوالية ، من العدد ٥٢ الى العدد ٥٩ .. وهو اليوم اذ يشرع في تقديم الجزء الثاني - السلوك الجنسي لدى اناث البشر - يوجه أنظار المعنيين بالاصلاح الاجتماعي وبشئون التربية ، الى الحقائق الخطيرة التي أسفر عنها هذا البحث الجليل الفائدة

## كل الناس .. فى حاجة الى هذه المعرفة !

◆ **اقتبست** البيانات الاحصائية التى قام عليها هذا المجلد ، من البيانات التى أدلت بها ٥٩٤٠ أنثى من البيض ، فضلا عن المعلومات التى تناهت الينا من مصادر أخرى . ولقد بدأنا فى تحرى حالات الاناث اللائى اتخذناهن « عينات » لهذا البحث ، فى يوليو سنة ١٩٣٨ ، واستغرق البحث خمسة عشر عاما ، عكفنا خلالها على جمع بيانات الذكور ـ التى ضمناها الجزء الأول ـ وبيانات الاناث ، وفحصها وتحليلها ودراستها ..والى جانب الاناث البيض ، فحصنا حالات ١٨٤٩ أنثى من جماعات أخرى ، لم نتجه بعد الى تحليلها ، ومن ثم فهى لم تذكر فى هذا الكتاب ،وان كانتقد ألقت أضواء علىالنتائج التى استخلصناها هنا

ومما يجدر بالذكر ، ان الهدف الأصلى لدراستنا هذه هو التوسع فى الالمام بناحية من نواحى المعرفة العلميـــة ، كانت محدودة النطاق . ولكننا تبينا اثناء الدراسة ان للبيـــانات التى حصلنا عليها قيمة كبيرة بالنسبة لبعض المسائل الاجتماعيـة أيضا ، وان لم تكن هذه غايتنا الأولى . على اننا نرى ان بين العلماء والنظام الاجتماعى عقدا يتكفل المجتمـع ـ بمقتضاه ـ بتوفير العون والحماية والتشجيع ، تمكينا للعلماء من القيـــام بالابحاث العلمية ، على أن يلتزم العلماء ـ فى مقابل ذلك ـ بأن يبسطوا النتائج التى يخرجون بها من أبحاثهم لكل من يستطيع أن يفيد منها

**والعالم الذى يبحث فى الســلوك الجنسى بالذات ، يرتبط بالتزام خاص ، يتطلب منه ان يعرض نتائج ابحـاثه على أكبر عدد من الناس ! فان معظم الرجال والنســاء والمراهقين ، بل ومن هم دون سن البلوغ ، يواجهـــون ـ من وقت لآخر ـ مشكلات قد تساعد الاستزادة من المعرفة بالجنس على حلها**

ذلك لأنقصر المعرفة الجنسية علىعدد محدود من الاخصائيين،

والأطباء ، ورجال الدين ، واولئك الذين يستطيعون قراءة الابحاث التى تكتب بالاسلوب العلمى ، لا يتيح النفع الكافى لملايين الصبية والصبايا ، والرجال والنساء ، الذين يحتاجون الى مثل هذه المعرفة ليسترشدوا بها فى شئون حياتهم اليومية .. ومن هنا - ومن هذه الناحية بالذات - ندرك الآن السر فى ان الملايين قد تخاطفت الجزء الاول من بحثنا ، رغم ان الناشر الذى أخرجه عرف بالاقتصار على نشر الكتب الطبية العلمية ، ورغم ان الصحف وصفته بأنه « جاف » ، « كئيب » ، مثقل بالجداول الاحصائية والرسوم البيانية التى تنفر القارىء العادى !

## مشكلة التوافق الجنسى فى الزواج

• **ومن** الأمثلة الدالة على مدى حاجة الناس عامة الى المعرفة الجنسية ، مشكلة التوافق الجنسى فى الزواج . فما أقل المتزوجين الذين لم يشعروا - ولو فى بعض المناسبات ، على الأقل - بشدة الحاجة الى مزيد من المعرفة ، لمواجهة بعض المشكلات الجنسية التى تنشأ عن الزواج ! .. وقد يتوقف استقرار الزواج ورسوخ اسسه على حل هذه المشكلات ، فى بعض الأحيان ، وان كنا لا نؤمن بأن العوامل الجنسية هى العناصر الأولية التى كثيرا ما تحدد مصير الزواج . بل اننا لا نرى عنصرا أهم فى صيانة الزواج من العزم والارادة اللذين يوجهان منذ البداية الى صونه .. اذ ان كل الخلافات التى تدب بين الزوجين ، سرعان ما تتلاشى وتنزوى فى أركان النسيان ، اذا ما واجهتها هذه الارادة وذاك العزم !

**على ان العوامل الجنسية تعتبر من العوامل التى تساهم فى السعادة أو الشقاء .. وبالتالى ، فى بقاء الزواج او انهياره . ذلك لأن الزوجين خليقان بأن يصلا الى المستوى العاطفى الذى يضمن بقاء ارتباطهما ، اذا هما توصلا الى تحقيق مصالح**

**جنسية مشتركة ، او الى ان يفهم كل منهما الميـــول الجنسية للآخر ٠٠ وحيثما يتسنى توفير العلاقات الجنسية الكافيــــة لارضاء كل من الزوجين ، فان الملل الذى ينشأ عن تواتر الحياة الزوجية ورتابتها ، لا يلبث ان يقل ويتضاءل**

وتدل البيانات التى لدينا على ان حوالى ثلثى الزيجـــات تتعرض ـ فى بعض المناســـبات التى تعرض لها على مر الأعوام ـ لشقاق خطير ينشأ عن العـلاقات الجنسية ٠ كذلك نجد ان العوامل الجنسية كانت من العـــوامل التى افضت الى الطلاق فى حوالى ثلاثة أرباع حالات الطـــلاق التى وردت فى الحالات التى درسناها

## نضال بين أنصار العلم ٠٠ وأنصار الجهل !

◆ **ويعتبر** الزواج وبقاء الأسرة ـ فى كل المجتمعـــات تقريبا ـ من المسائل ذات الأهمية العظمى بالنســـبة للنظام الاجتماعى فى مجموعه ٠٠ **وقد تبين كثيرون من المعنيين بمعالجة مشكلات الانسان فى أوربا وأمريكا ـ خلال نصف القـــرن الأخير ـ ان تحسن العلاقات والروابط الجنسية قد يساهم الى حد كبير فى تحسين زيجاتنا الحديثة !** ٠٠ على ان البحث العلمى قد تجاوز بكثير نطاق المعرفة العلمية الراسخة فى أذهاننا منذ البداية ٠٠ فكان من العسير علينا ان نفسر المسائل الجنسية ، اللهم الا بعد أن أدركنا مدى تقارب وتشابه الذكر والانثى فى استجاباتهما الجنسية ٠٠

ولو اننا وضعنا فى اعتبارنا ان الهدف الأساسى لدراستنا للسلوك الجنسى لدى الانسان ، هو ان نعنى مباشرة بمســـائل التوافق الجنسى بين الزوجين ، لكان من المحتمل ان نتجه الى ما يتجه اليه غيرنا ، من التأويلات القديمة لطبيعة وكنه الاستجابة الجنسية ٠٠ ولكن اتجاهنا الى البحث العلمى المجرد ـ كهدف أول ـ أتاح لنا من البيانات الخاصة بجميع نواحى الســـلوك

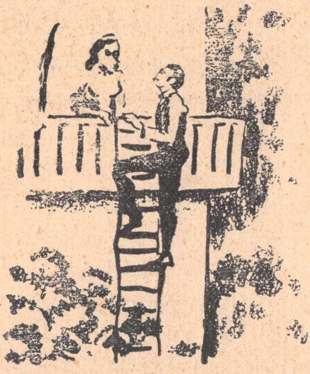
الجنسى ما مكننا من ان نتعرف على المــوارد الرئيسية لبعض الصعاب التى تبرز أثناء العلاقات الجنسية فى الزواج

ومن الناس من يخشى أن يؤدى علاج مسائل الجنس - عن طريق البحث العلمى - الى تهديد كيان نظم الزواج ٠٠ كما ان من الناس من ينصحون بالاستمرار فى الجهل خشية ان تؤدى المعرفة الى زعزعة الآراء والمعتقدات القائمة عن الزواج ، مهمـا تكن مخالفة للحقيقة ٠٠ على ان الذين يعتقدون أن زيادة المعرفة بالجنس يساعد على تعزيز الزواج ، يفوقون فى العدد هـؤلاء واولئك

## لا تستهتروا بمشاعر المراهقين !

◆ **وهناك** دليل آخر على احتياج كل فرد لمزيد من الادراك العام بالسلوك الجنسى للانسان ٠٠ ويتمثل هذا الدليــل فى المشكلات الجنسية لغير المتزوجين فى نظامنا الاجتماعى ، لاسيما الشبان منهم ٠ وتنجم هــذه المشــكلات لأن الذكر والأنثى البشريين يصلان الى مرحلة البلوغ - من الوجهة البيولوجية - فى سن تسبق بسنوات تلك التى يعترف فيها العرف السياسى والقانون الوضعى ببلوغهما ٠٠ كذلك تنجم المشــكلات لأن حضارتنا تصر باطراد عـــلى أن تقتصر الوظائف الجنسية على الأشخاص الذين يعترف ببلوغهم قانونا ٠٠ وعلى المتزوجين منهم بوجه خاص !

**والتغاضى عن الاعتراف بنضوج الطاقة الجنسية لدى الفتيان الذين هم فى العقد الثانى من العمر - أى فوق العاشرة ودون العشرين - حديث العهد نسبيا ٠ فقد كان من الشائع قبيــل القرن الأخير ، ان هؤلاء بالذات هم الذين يحرزون أقصى طاقة جنسية ، ومن ثم كانت القصص الغرامية تدور حـول الفتيان والفتيات الذين يجتازون العقد الثانى** ٠٠ والأساطير الاغريقية حافلة بالأمثلة على ذلك : فان « أخيل » - ( أحد أبطال الالياذة



والأوديسة ، ملحمتى هوميروس الخالدتين ) ـ اتصل بديدامبا ولما يبلغ الخامسة عشرة من عمره ، وانجب منها ولدا ٠٠ وكانت « كيونى » تفتن ألف معجب تسابقوا على الظفر بيدها ، وهى بعد فى الرابعة عشرة ٠٠ وكان « نارسيس » ـ الذى سمى النرجس باسمه ، والذى خلد فى علم النفس اذ أطلق اسمه على عقدة « حب النفس » ـ فى السادسة عشرة من عمره عندما تهافت الفتيان والفتيات على حبه ٠٠ وكانت « هيلين » ـ حسناء طروادة ـ فى الثانية عشرة من عمرها حين اختطفها « باريس » من ( اسبارطة ) وقامت من أجلها حروب دامية ! ٠٠ واذا مضينا قدما مع الأدب عبر العصور ، وجدنا ان «دافنى» كانت فى الخامسة عشرة وكان «كلو» فى الثالثة عشرة ٠٠ وكانت «هلويز» فى الثامنة عشرة عندما وقعت فى حب « ابيلارد » ٠٠ وكانت « جولييت » دون الرابعة عشرة عندما أحبت « روميو »

## الشباب الحائر ٠٠ بين الطبيعة وبين الدين والمجتمع !

◆ **كل** هؤلاء الشبان ـ الذين يعتبرون أعظم العشاق فى تاريخ الأدب ـ كانوا خليقين بأن يعتبروا غير ناضجين ، بل أحداثا منحرفين ، لو انهم كانوا يعيشون اليوم ! ٠٠ والواقع أن ازدياد عجز الكبار عن ادراك الطاقة الجنسية للصغار ، هو المسئول عن الفكرة الشائعة التى توحى بأن انحراف الأحداث فى ازدياد ٠٠ ولو انهم ادركوا ان ثمة تغيرات قليلة طرأت على السلوك الجنسى للشباب ، لما انساقوا لهذه الفكرة !

كذلك يزداد الاتجاه الى الاعتقاد بأن على الشباب ان يتجاهلوا نوازعهم الجنسية ، وان يعزفوا عن النشاط الجنسى قبل

الزواج .. وهذا يشمل الشبان والفتيات الذين تتراوح أعمارهم بين الحادية والعشرين والثالثة والعشرين ، فى أمريكا. **على أن القانون والعرف لا يملكان ان يغيرا سن البلوغ ، ولا نمو الطاقة الجنسية لدى ابناء العقد الثاني من العمر .. وهما العاملان اللذان يؤديان الى استثارة الشباب باستمرار ، والى استجابتهم للنوازع الجنسية .** ولسنا نجد قرينة واحدة تؤكد أن من الممكن لأى ذكر بالغ ، غير مصاب بعجز بدنى ، ان يمضى فى الحياة بغير تفريج منتظم لطاقته الجنسية الى ان يوهن كبر السن من استجابته وقدرته على اداء الوظيفة الجنسية . واذا كانت كثيرات من الاناث يستطعن ذلك - قبل بلوغهن العشرين من العمر - الا ان البيانات الدقيقة تدل على أن هذا المسلك يوهن قدرتهن على التكيف أو التوافق الجنسى بعد الزواج !

والواقع ان الشبان - فيما بين سن العاشرة وسن العشرين - اكثر استجابة للجنس ممن يكبرونهم فى السن ، وهم اكثر بلوغا لذروة اللذة من الكبار ، رغم ما يلقونه من صعاب فى ايجاد موارد التفريج . وقد رأينا فى الجزء الأول من بحثنا ، ان الذكر الأعزب يبلغ أوج نشاطه الجنسى فيما بين السادسةعشرة والثامنة عشرة من عمره .. **وقد أدى تجاهل وكبت الحاجات البدنية لهؤلاء الذين يمثلون اشد طاقة جنسية بين سكان الولايات المتحدة ، الى تعقيدات واشكالات .. وهذا هو السر فى ان كثيرين من الشباب الامريكى - ذكورا واناثا - يعتمدون على الاستمناء ، أى العادة السرية ، فى التفريج الجنسى قبل الزواج ..**

كذلك نجد ان القيود المفروضة على الاتصال بين الجنسين قبل الزواج هى السبب الأول فيما يبدو لنا من نمو عشق الجنس - أى الشذوذ الجنسى الذى يشمل اللواطة والسحاق ! - بين شباب أمريكا . كما ان ازدياد الغزل والمعابثة بين الجنسين قبل الزواج - وهو ما يستلفت انتباه كثيرين من الأغراب فى

سلوكنا الجنسى فى أمريكا ! - يعتبر نتيجة من نتائج القيود المفروضة على الجماع قبل الزواج ٠٠ واذا كان القانون ينص على حق البالغ المتزوج في ان يمارس الجماع بانتظام ، الا انه لا ينص على شيء بالنسبة لحوالى ٤٠ فى المائة من اهل أمريكا ، وهو الفريق البالغ غير المتزوج ٠ وكم من متاعب يعانيها غير المتزوجين - من الشباب والكبار - لأن موارد التفريج الجنسى الميسورة لهم تحاط بالاستهجان من القانون ومن المجتمع !

## الشباب يريد أن يعرف !

◆ **ومعظم** هؤلاء الأعزاب من الذكور - ونسبة غير قليلة من الاناث غير المتزوجات - يتوقون الى ان يعرفوا كيف يتغلبون على هذا الخلاف بين طاقتهم البدنية وبين القوانين القضائية والاجتماعية ٠٠ انهم يتوقون الى ان يعرفوا ما اذا كان للاستنماء ضرر يصيب اجسامهم ، وما اذا كانت له معقبات تؤثر فى استجابتهم للطرف الآخر فى حالة الزواج ! ٠٠ انهم يودون ان يعرفوا ما اذا كان ينبغى لهم - أو لا ينبغى - ان يقبلوا على الغزل والمعابثة ، وهل يؤثر ذلك فى استعدادهم للتوافق الجنسى فى الحياة الزوجية ، بغض النظر عن الاعتبارات الأدبية والخلقية !

بل انهم يريدون ان يعرفوا ما اذا كان لهم ان يمارسوا الجماع قبل الزواج ، أو انه لا يجدر بهم ذلك ، وما أثر مثل هذه الممارسة على استعدادهم للتوافق الجنسى بعد الزواج ، وما الأشياء العادية والأشياء غير العادية - أى التى تعتبر من قبيل الشذوذ - فى كل لون من ألوان النشاط الجنسى ، وما التجارب التى مر بها غيرهم من الشباب ازاء هذه المشكلات بالذات !

**ان معظم الشباب على استعداد لمراعاة القيم الاجتماعية والخلقية فى كل هذه المسائل ، ولكنهم يريدون ايضا ان يعرفوا الروابط - التى يبينها البحث العلمى - بين التجارب الجنسية**

**قبل الزواج ، والتجارب الجنسية بعده !** ٠٠ وقد حاولنا ان نلم بهذا كله فى دراستنا وبحثنا ، وان نستخلص العلاقات بين أنواع السلوك الجنسى قبل الزواج ، وأثرها فى التوافق الجنسى بعد الزواج

## على الآباء ان يرشدوا أولادهم ٠٠ والا ؟!

◆ **ولقد** ازداد ـ خلال الثلاثين عاما الأخيرة ـ عدد الآباء الذين ادركوا أهمية تلقين ابنائهم شئون الجنس ، فى سن مبكرة ٠ ولكن : ما الذى يجوز ان يتعلمه الأطفال ؟ ومن الذين يتولى تلقينهم اياه ؟ وفى اية سن يبدأ هذا التعليم ؟ وكيف تزجى اليهم المعلومات ؟ ٠٠ كل هذه أمور لم تخرج عن حيز البحث النظرى ، فلسنا نجد من الأبحاث العلمية فى هذا الصدد سوى نذر يسير لا يكفى لأن يكون أساسا لأى برنامج للتربية الجنسية

ومن ثم فقد عنينا فى سنوات البحث بسؤال الأفراد الذين قمنا بأبحاثنا عليهم ، عن : **السن التى حصلوا فيها على أول معرفة بمختلف نواحى الجنس ، ومصادر هذه المعرفة الأولى ، والسن التى مارس كل منهم عندها كل لون من ألوان النشاط الجنسى لأول مرة** ٠ وبجانب هذه الجهود ، عمدنا الى دراسة مفصلة للأطفال الصغار ـ ولا سيما الذين تتراوح أعمارهم بين الثانية والخامسة ـ ولابد لنا من ان نمضى قدما فى هذه الدراسة اذا شئنا ان نضع تقريرا مفصلا فى هذا الصدد ٠٠ على اننا ـ فى هذه المرحلة من الدراسة ـ استطعنا ان نخرج ببعض معلومات واضحة

**فمن الجلى ان معظم الأطفال يحصلون على قدر من المعرفة بالظواهر الجنسية قبل البلوغ ! ٠٠ على ان ثمة نسبة لا بأس بها من الأطفال ، يحصلون على هذه المعرفة فى سن جد مبكرة ٠٠ بمجرد ان يستطيعوا الكلام !** ٠٠ ومع ان بعض الناس يصرون

على ان الآباء ـ او معلمى الدين ـ هم الذين يجب ان يتولوا التربية الجنسية للأطفال ، الا ان حوالى ٩٥ فى المائة من الأطفال الذين دخلوا فى نطاق هذه الدراسة ، لم يتلقوا معلوماتهم عن أى من هذين المصدرين ، بل ان معظم الأطفال أخذوا معرفتهم الأولى عن أطفال آخرين ! ‥ فهل من الأفضل ان يتلقى الأطفال المعلومات الجنسية عن كبار ذوى تجربة ، أو عن اطفال مثلهم ؟ ‥ هذا هو السؤال الذى لم تتسن بعد الاجابة عنه !

## أطفال فى الثالثة ‥ يصفون انفعالاتهم العاطفية !

◆ **على** أنه من الواضح انه اذا قدر للآباء ـ أو لغيرهم من الكبار ـ ان يكونوا مصدر المعلومات الأولى التى يتلقاها الصغار عن الجنس ، فمن الواجب ان تزجى هذه المعلومات عندما يبلغ الصغار سن العاشرة ، أو الثانية عشرة ـ أو قبل ذلك فى بعض الحالات ـ والا فقد يحصل الصغير على بعض المعلومات الخاطئة من زملائه ، مهما يحتاط ابواه !

وتدل دراساتنا على ان تأثر الطفل بالمعلومات الجنسية التى يتلقاها ، وللنشاط الجنسى الذى قد ينساق اليه فيما بعد ، انما يتوقف على الاتجاهات التى تتولد فى نفسه ازاء هذه النواحى فى باكورة عمره ‥ الاتجاهات ازاء العرى ، والفوارق العضوية بين الجنسين ، والوظيفة التناسلية ـ ( كيف يأتى الأطفال ؟ ) ـ والاشارات بالقول الى الجنس ، والصفات والمطالب التى تعتبر فى ثقافتنا مميزة لكل من الذكور والاناث ‥ وما الى ذلك من نواح جنسية . **ولقد استطعنا ان نميز الانفعالات العاطفية ، المترتبة على هذه المسائل ، لدى أطفال فى العام الثانى من أعمارهم ، كما استطاع أطفال فى الثالثة ان يصفوها لنا بالقول !!**

ولا يستبعد ان تؤثر هذه الاتجاهات على تصرفات الطفل ازاء الظواهر الجنسية فى جسمه ، اذا ما كبر ، وان تؤثر كذلك على

مقدرته على مواجهة المواقف الجنسية دون متاعب أو اضطرابات خطيرة .. وعلى قبوله ، أو عدم قبوله ، للاحتكاك بالجنس الآخر .. بل وعلى مقدرته على ان يعد نفسه الاعداد الجنسى الملائم عند الزواج !

**ولما كان التعليم المبكر يؤدى الى نتائج لها كل هذه الاهمية ، لذلك بات من الواجب على الآباء ان يعرفوا أنسب الأساليب وأصلحها لاطلاع الطفل على الحقائق الواقعية الخاصة بالجنس ..** وان يلموا بأهمية العبث الجنسى قبل البلوغ ، وألوان النشاط الجنسى التى يتورط فيها الأطفال ، واحتمالات اندماج أطفالهم فى علاقات جنسية مع أفراد بالغين ، وآثار مثل هذه العلاقات على الاستعداد الجنسى للأطفال فيما بعد . كذلك يجدر بالآباء ان يعرفوا ما اذا كانت الاستجابات الجنسية للأطفال مشابهة لاستجابات الكبار ، وما الفوارق بين مشكلات المراهقة لدى البنين ، ومشكلاتها لدى البنات ، وما الذى ينبغى عمله ازاء كل منها

وفى دراستنا الحالية ما يوفر مادة كافية لبعض هذه المسائل .

## سلطان المجتمع على السلوك الجنسى

◆ **تدرك** معظم المجتمعات ضرورة حماية أعضائها من أولئك الذين يفرضون العلاقات الجنسية على الغير بالقوة .. بل ان ثقافتنا ـ لا القانون وحده ـ تفرض مثل هذه الحماية لتقييد النفوذ غير المشروع ، الذى قد يفرضه شخص بالغ على طفل ، أو الذى قد يفرضه شخص ذو وضع اجتماعى معين على شخص فى وضع أقل منه !

**كذلك يحاول المجتمع ـ بتشجيعه للزواج ـ أن يوفر موردا للتفريج الجنسى .. وهو يعتبر النشاط الجنسى الذى يتعارض مع الزواج والأسرة ، والنشاط الجنسى الذى يؤدى الى انجاب أطفال خارج نطاق الزوجية ، ألوانا من النشاط غير المرضى عنها**

**اجتماعيا**

ويحاول **المجتمع** أيضا ان يسيطر على الأشخاص المزعجين ، كأولئك الذين يكشفون أعضاءهم التناسلية للغير ، أو الذين يسترقون النظر الى أعضاء سواهم ! ٠٠ وبالاضافة الى ذلك ، نجد ان الثقافة الأمريكية ترى في انحراف اى فرد عن العرف الجنسي الذى فرضته الديانتان اليهودية والمسيحية مساسا بالمصالح الاجتماعية ، كأن يمارس الفرد الاستمناء أو الاتصال الجنسي بفرد من نفس جنسه أو بحيوان ٠٠ أو أى لون من النشاط الجنسي لا يتسق ووظيفة الجنس لدى الأديان ، وهى : انجاب النسل !

ولقد ازداد الاهتمام فى أمريكا ـ خلال ربع القرن الأخير ـ بما تبدى من الاطراد الواضح فىعدد الأشخاص الذين يمارسون ألوانا من النشاط الجنسي تتعارض مع العرف والقانون ٠ ولكن الواقع ان هذا التقدير غير دقيق ، لأن الاهتمام اتجه ـ فى هذا الصدد ـ الى عدد المقبوض عليهم لجرائم جنسية ، دون مراعاة لنسبتهم الى عدد السكان الذى يتزايد هو الآخر باطراد ، ودون مراعاة الى ان وسائل المعرفة بالجرائم الجنسية ـ وهى الصحف ومكاتب الاحصاء وغيرها ـ ازدادت فى السنوات الأخيرة عما كانت عليه من قبل ، فضلا عن ان القوانين الأخيرة ادخلت تحت طائلة العقاب تصرفات جنسية لم تكن تعرض مرتكبيها للعقاب من قبل ، أو كانت مجرد جنح بسيطة ٠ كذلك لم يوضع فى الاعتبار ان ازدياد عدد المقبوض عليهم لجرائم جنسية قد يرجع الى ازدياد نشاط الموكلين بتطبيق القوانين !

**وتدل التحليلات الأولية للبيانات التى تحت ايدينا ، على أن عدد من يقعون فى أيدى القانون ، من مرتكبى التصرفات الجنسية غير المشروعة ، لا يكاد يجاوز جزءا من واحد فى المائة ، من مجموعهم !** ٠٠ أما الضجة التى تثار بهذا الصدد ، فمرجعها الى عوامل أخرى تختلف عن مطاردة مرتكبى المخالفات والجرائم

الجنسية ٠٠ ومن هذه العـوامل : « الهستيريا » التى تملكت الصحافة فى نشر الجرائم الجنسية ، والضجة التى تثيرها بعض الجماعات الاصلاحية ، وتظاهر بعض السلطات التى تتولى الادارة فى المدن بشن الحملات على الرذيلة لتشغل الاذهان عن تقصيرها فى مسائل أخرى !

## الدراسات المقارنة ٠٠ واجبة

◆ **ومن** الأخطاء الأولية فى معظم الدراسـات التى توجه الى الخارجين على القانون والعرف ـ فى الناحية الجنسية ـ ان هذه الدراسـات تقصر على الأفراد الخارجين بالذات ، دون محاولة ادراك أو فهم السلوك الجنسى لكل فرد منهم ٠ ولقـد أتاح لنا علماء النفس ، والأطباء النفسيون ، وعلماء الاجتماع ، والاخصائيون فى دراسة الاجرام ، معـلومات تمكننا من فهم شخصيات المجرمين ، بما فيهم مرتكبو الجرائم الجنسية ٠ ولكن هذه الدراسات قل ان قارنت الأفراد الذين من هذا النـوع الأخير بالأفراد الذين يمارسون مثل تصرفهم بين سكان البلاد فى مجموعهم ٠ فليس يكفى أن يكتشف العالم الاخصائى ما اذا كان المتهم قد تغذى على لبن امه ، او على لبن صناعى ، دون ان يعنى بمعرفة عدد الأشخاص ـ بين مجموع السـكان ـ الذين تغذوا بنفس الطريقة دون أن يصبحوا فى كبرهم متهمين بجرائم جنسية ٠٠ وليس يكفى ان يقال ان المتهم نشأ فى بيت يسوده الشقاق وعدم الاستقرار ، دون ان يقال كم غيره نشـأوا نشأته دون ان ينتهوا الى ما انتهى اليه هو !

أجل ، ليس يكفى ان نعـرف ان الشخص الذى يمارس اللواطة كان يفضل أمه ـ فى صغره ـ على أبيه ، اذا عرفنا ان الدراسة العامة تبين ان معظم الأطفال يتعلقون بأمهاتهم لأسباب واضحة ٠٠ **انما الذى نريد ان نعرفه ، هو السبب فى ان بعض الأفراد ـ دون سائر من هم على شاكلتهم ـ يتورطون فى أعمال**

**منافية للقانون ٠٠ نريد ان نعرف المزيد عن ظروف التصرفات الخاصة التى اوقعتهم تحت طائلة القانون ، وكيف عاملهم الشرطة الذين ألقوا القبض عليهم ، ووكيل النيابة الذى حقق معهم ، والطبيب النفسى الذى فحصهم ، والقاضى ، والصحافة المحلية !**

ولقد أتيح لنا فى الدراسة الراهنة ان نحصل على قصص حوالى ١٣٠٠ شخص قضى عليهم بالسجن لفترات مختلفة ، بسبب جرائم جنسية ٠ ولكن من العسير ان نخرج من هذه القصص بنتائج عامة ، مالم ندرس حالات أكثر من اربعة عشر الف شخص نشأوا مثل اولئك الأشخاص ، ولكنهم لم يخرجوا على القانون !

## هل يسن قانون خاص للنشاط الجنسى ؟!

◆ **ولقد** حرصنا فى أبحاثنا مع أولئك الذين سجنوا لجرائم جنسية ، ومع غيرهم من المواطنين عامة ، على أن نوضح لهم أننا لا نبغى سوى فهم أعمالهم كما فهموها هم ٠ وكان من جراء ذلك، اننا لم نقابل بانكار الذنوب ، أو محاولة تبريرها ، بل حصلنا على بيانات فاقت بكثير اية بيانات حصلت عليها السلطات ٠٠ وهذا اللون من دراسة الخارجين على القوانين الجنسية ، ودراسات السلوك الجنسى للاناث والذكور الذين لم يخرجوا قط على القانون ، لابد ان يمدنا ببيانات قد يستخدمها المشرعون يوما فى اعداد قانون خاص بالجنس ، يهيىء للمجتمع حماية من الأنواع الخطرة من مرتكبى الجرائم الجنسية ، تفوق الحماية الموجودة الآن فى دقتها وكفايتها ! ٠٠ **على ان المعرفة التى لدينا حاليا تبين لنا بجلاء ان قوانين الجنس الراهنة لا تطبق ، ولا تردع اذا طبقت ، لانها تتنافى تنافيا تاما مع الحقائق الواقعة للسلوك الجنسى ، ولأنها تبالغ فى سلطان المجتمع ٠٠ بل ان كثيرين من الاناث والذكور ـ فى أمريكا ـ يمارسون ألوانا من النشاط الجنسى تحرمها قوانين معظم الولايات ٠٠ وتبلغ نسبة**

**هؤلاء ـ الى السكان عامة ـ حدا كبيرا يتعذر معه تطبيق القانون عمليا !** •• فضلا عن ان الطريقة التى ينفذ بها القانون حاليا ، تتيح الفرصة لاساءة تنفيذه واستغلاله !

وكثيرون من الناس لا يخطر ببالهم قط ان نشاطهم الجنسى العادى مخالف للقانون فى واقعه •• كما ان كثيرين غيرهم يعيشون فى خوف دائم من ان تكتشف اعمالهم الجنسية ـ مهما تكن من النوع المألوف لدى كثيرين من الاناث والذكور ـ وان تزج بهم فى متاعب اجتماعية أو قضائية • ذلك لأن المجتمع ، فى محاولته ان يحمي نفسه من مرتكبى الجرائم الجنسية الخطيرة ، قد زعزع طمأنينة معظم أفراده ، بما بثه فيهم من أوهام أوهنت قدرتهم على النشاط الجنسى !

**أوضاع اجتماعية يجب ان تتغير !**

◆ **بل** ان القانون ، فى عقابه للمعتدى ، يوقع فى كثير من الأحيان أبلغ الأضرار بعدد من الأشخاص يفوق بكثير ذلك الذى آذاه عمل المجرم • فالذكر الثمل الذى قد يكشف أعضاءه التناسلية لطفل ، يسجن ، فيترك أسرته بلا عائل ، وبلا استقرار ، لعدة سنوات •• وقد يؤدى هذا الى انفصام عرى الزوجية ، والى ترك أولاده عالة على الدولة ، دون ان تتاح لهم أية رعاية عائلية !•• **والعوانس المسنات اللائى يثرن ضجة حول رجل فاجأنه يسبح عاريا ، قد يفقدنه عمله ، ويحملن زوجته على طلب الطلاق منه ، ويوقعن بأولاده من الاضرار ما يفوق بكثير الأذى الذى مس شعورهن اذ رأينه عاريا !!**



والفتاة التى انشأها أهلها على الخوف من الأغراب ، ومن كل

مظهر للعطف ، قد تفسد على رجل كهل حياته ، لمجرد أنه أراد ان يظهر لها عطفا كعطف جدها عليها ! ٠٠ والرجل الذى قد يدان لأنه حاول التقرب الى ذكر مثله ، قد يعاقب بارساله الى اصلاحية أو سجن يمارس ثلاثة أرباع نزلائه اللواطة بين جدرانه ! ٠٠ **فان القانون لا يفرق بين الذى « يسعى » الى اللواطة ، وبين الذى « يرتكبها » ، ومن ثم فقد يدفع بشخص الى ان يبتلي بها طوال حياته ٠ فضلا عما قد يتعلمه فى السجن، من جراء اختلاطه باللصوص والمجرمين ٠٠ فاذا خرج من السجن بعد ذلك ومارس ما تعلم ، ثم اكتشف أمره ، أعيد الى السجن ٠٠ وبذلك يعاقبه المجتمع على ما كان هو ذاته ـ اى المجتمع ـ سببا فيه !**

وخليق بنا ـ فى عصر يدعو نفسه عصر العلم والانسانية ـ ان نبتكر وسائل أذكى واكثر حماية لمصالح المجتمع ، دون ان نلحق اضرارا لا سبيل الى علاجها بكثير من الأشخاص ، وبالنظام الاجتماعى الذى ينتمون اليه

**وفى عدد الشهر القادم ، يلخص لك « كتابى » حلقة جديدة من هذا المرجع الهائل ٠٠ فينقل اليك ما كشف عنه البحث العلمى ـ الذى قام به كينزى وزملاؤه ـ من حقائق خطيرة عن ممارسة الأطفال للعادة السرية فى سن مبكرة لا تتجاوز العام الثالث من أعمارهم ٠٠ وما تتعرض له الفتيات فى لعبهن مع لداتهن ومع الغلمان ـ قبل سن البلوغ ـ من أمور قد تؤثر فى سلوكهن الجنسى مدى العمر !**



« ديانا » الهة الصيد

لوحة خالدة للرسام « رنوار » ( ١٨٤١ - ١٩١٩ )